

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
الدراسات العليا الشرعية
فرع العقيدة



رسائل وقفية من القرآن الالهية والأنبياء

رسالة دكتوراه

مقدمة من

عبد الشكور بن محمد أمان بن عبد الكريم العروسي

إشراف الأستاذ الدكتور

عبد العزيز بن عبد الله حميد

سنة ١٤٠٢ هجرية

١٩٨٢ ميلادية

مكة المكرمة

٤٨٤

٢٤٨٢

الجزء الثاني



الباب الثالث

بيان موقفهم من الانبياء عليهم السلام وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول:

في تعريف الوحي والنبوة والرسالة وآيات الانبياء
وموقف بنى إسرائيل من الانبياء على وجه العموم
وبيات أسماء بعض الانبياء الذين قتلوهم

الفصل الثاني:

بيات موقفهم من قبلهم من الانبياء عليهم السلام

الفصل الثالث:

بيات موقفهم من عاصروهم من الانبياء عليهم السلام

الفصل الأول

في تعريف الوحي والنبوة والرسالة وبيان صفات الأنبياء
وموقف بنى اسرائيل من الأنبياء على وجه العموم
وبيان أسماء بعض الأنبياء الذين قتلوهم .

وفيه

تمهيد و أربعة مباحث :

- المبحث الأول : تعريف الوحي والنبوة والرسالة وآيات الانبياء .
- المبحث الثاني : بيان صفات الأنبياء ،
- المبحث الثالث : بيان موقف بنى اسرائيل من الأنبياء على وجه العموم .
- المبحث الرابع : بيان أسماء بعض الأنبياء الذين قتلوهم .

تمهيد :

لما كان البحث في هذا الباب قصد منه ايضاح موقف بنى اسرائيل من الانبياء عليهم السلام ، كان من المناسب ان يتقدم تعريف الوحي والنبوة لما بينهما من تلازم ، لان النبوة لا توجد الا حيث يوجد الوحي وكذلك الوحي الخاص بالانبياء لا يوجد الا حيث توجد النبوة . ثم يلى ذلك تعريف آيات الانبياء التى تعتبر دليلا على نبوتهم وصدقهم فيما يبلغونه عن ربهم . ثم يأتى عقب ذلك بيان صفات الانبياء الواجبة لهم والصفات الممتنعة عليهم لتعرف على ضوء ذلك موقف بنى اسرائيل من الانبياء عليهم الصلاة والسلام في المباحث التالية لهذا البحث وذلك باتباع ثلاثة مسالك :

المسلك الاول : في بيان موقفهم من الانبياء على وجه المصوم كتكذيبهم وقتلهم ووصفهم بصفات تنافى عصمتهم ولا تتفق مع ما ثبت من مكانتهم الرفيعة .

المسلك الثانى : فى بيان موقفهم من بعض الانبياء الذين سبقوهم على وجه الخصوص كنوح وابراهيم ولوط واسماعيل واسحاق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام .

المسلك الثالث : في بيان موقفهم ممن عاصروهم من الانبياء على وجه التخصيص أيضا كموسى وهارون وداود وسليمان وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام الى يوم الدين .

*

البحث الاول

في تعريف الوحي والنبوة والرسالة

أ - تعريف الوحي :

الوحي فى اللغة مأخوذ من قولهم أوحيت ووحيت الى فلان اذا كلمته بما تخفيه عن غيره أو القيت اليه مكتوبا أو رسالة ليعلمها . ثم غلب فيما يلقى الوحي الانبياء من قبل الله تعالى .

والوحى في الشرع كلام الله تعالى المنزل على نبي من أنبيائه . فقد يكون بواسطة أو بغير واسطة والواسطة هي ملك الوحى الذى يأتى النبي فيبلغه أو امر به . وأما ما يكون بغير واسطة فنوعان :

الأول : الكلام المباشر من وراء حجاب كما حصل لموسى عليه السلام . ولمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج (١) .

والثاني : الإلهام ، وهو وجدان تستيقنه النفس وتنتساق الى ما يطلب منها مع اليقين أنه من قبل الله تعالى (٢) .

ب - تعريف النبوة والرسالة :

النبوة في اللغة اما مأخوذة من النبأ وهو الخبر والشأن ، وعليه فالنبي هو من يخبر عن الله تعالى ، أو هو الذى يخبر من قبل الله عز وجل . وهو فاعل بمعنى مفعول بضم الميم وكسر العين أو فعيل بمعنى مفعول بضم الميم وفتح العين فالأول اسم فاعل والثاني اسم مفعول وكلا المعنيين صحيح في النبوة . وعلى هذا يكون الاسم مهموزا . واما مأخوذة من النبوة على وزن صفوة ، وهو المكان المرتفع من الأرض . فالنبي على هذا من علا وشرف على الناس . وعلى هذا فهو غير مهموز (٣) .

(١) انظر تفسير ابن كثير في ان الله كلم محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ج١ ص ٣٠٤ وتفسير الشوكاني ج١ ص ٢٦٩ وغرائب القرآن للنيسابورى ج٣ ص ٨٠ .

(٢) انظر رسالة التوحيد للشيخ محمد عده الطبعة الرابعة بدار الفكر بيروت ص ٨٢ . والوحى المحمدى للسيد محمد رشيد رضا المطبوع بالقاهرة بشركة الطباعة الفنية المتحدة الطبعة السادسة سنة ١٣٨٠ هـ - ص ٣٤ - ٣٥ .

(٣) انظر غرائب القرآن وغرائب الفرقان ج١ ص ٢٣٠ - ٢٣١ .

وقيل مأخوذة من النبي ، وهو الطريق الواضح ، لأن الانبياء عليهم

السلام طرق الهداية الواضحة الى الله عز وجل (١) .

والنبي من أتاه الوحي من الله عز وجل ونزل عليه الملك بالوحي (٢) .

أو هو من نبي من قبل الله تعالى فسأبأ بما أنبأ الله به (٣) .

والرسول مأخوذ من رسل اللين اذا تتابع دره . وهو الذى يتتابع عليه

الوحي من قبل الله عز وجل ويفرق بينه وبين النبي بأن النبي من أتاه الوحي

من ربه والرسول من يأتي بشرع على الابتداء ، أو يشخ بعض أحكام شريعة

قبله (٤) . أو بايضاح ما التبس فيها من الحق بالباطل ، أو ما اختلف الناس

فيه منها (٥) ،

هذه التعريفات للنبوة والرسالة وكذلك تعريف الوحي قبلهما خاصة

بالمسلمين ، ولم أقف على تعريف اليهود لهذه اللفاظ غير ان الذى يطلع

على كتبهم يجد فيها أن النبوة عندهم تعلق الاخبار عن الغيبات والحوادث

التي ستقع في المستقبل ولذلك أدخلوا في الانبياء الصرافين والنجمين والكهان .

بل وطلبوا من بعض أنبيائهم ما يطلبونه من الصرافين كاخبارهم بمكان وجود

دوابهم الضالة (٦) كما جاء ذلك في سفر صموئيل حيث صرح أن النبي كان

(١) انظر غرائب القرآن وغرائب الفرقان ج ١ ص ٢٣٠ - ٢٣١ . والمواقف

للإيجى ص ٣٣٧ والوحي المحمدى للسيد محمد رشيد رضا ص ٣٧ .

(٢) انظر اصول الدين لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي المتوفي

سنة ٤٢٩ هـ ص ١٠٥ طبعة بيروت سنة ١٤٠٠ هـ الطبعة الثانية بدار

الكتب العلمية .

(٣) وانظر كتاب النبوات لابن تيمية ص ٢٧٢ - ٢٧٣ .

(٤) انظر اصول الدين ص ١٥٤

(٥) وهناك تعريفات اخرى واقوال مختلفة في الفرق بين النبي والرسول وليس

هذا موضعه .

(٦) انظر كتاب عصمة الانبياء للدكتور محمد ابي النور الحديدي ص ٣٩ - ٣٠ طبع

سنة ١٣٩٩ هـ بمطبعة الامانة بمصر .

قبل ذلك يسمى "الرائى" غير أنه عرف بالنبى في عصر صموئيل . فقد ذهب شاول بن قيس اول ملوك بنى اسرائيل قبل ملكه مع احد غلمان أبيه لبحث عن أتن ضلت فتوجه لطلبها بأمر من أبيه الذى كلفه بالبحث عنها . فلما لم يجدها بعد البحث الطويل قال شاول للغلام : " تعال نرجع لئلا يترك أبي الاثن ويهتـم بنا . فقال له : هوذا رجل الله في هذه المدينة والرجل مكرم كل ما يقوله يصير لنذهب الآن الى هناك يخبرنا عن طريقنا التى نسلـك فيها . فقال شاول للغلام : هوذا نذهب فماذا نقدم للرجل لأن الخبز قد نفذ من أوعيتنا وليس من هدية نقدمها لرجل الله ؟ ماذا معنا ؟ ... هوذا يوجد بين يدي ربع شاقـل فضة فأعطيه للرجل الله فيخبرنا عن طريقنا . سابقا في اسرائيل هكذا كان يقول الرجل عند ذهابه ليسأل الله . هلم نذهب الى الرائى . لأن النبى اليوم كان يدعى سابقا الرائى" (١) .

وتدل نصوص كتبهم على أن النبوة قد تنال بالكسب ، وقد تكون بالاصطفاء ، وذلك على خلاف ما عليه المسلمون من أن النبوة اصطفاء من الله تعالى واختيار منه فقط . فلا يستطيع أحد ان يبلغ بصلاحه وتقواه مهـمـا كان الى مقام النبوة . وقد توسعوا فى معنى اسم النبوة حتى اطلقوها على سـدنة الاـصنام كما جاء ذلك في مواضع من أسفارهم وكما جاء على لسان ايليا : " أنا بقيت نبيا للرب وحـدى وأنبياء البعل اربعمـائة وخمسون رجلا" (٢) أى أنبياء الوثن .

تعريف آيات الانبياء :

اصطلح المتكلمون على تسمية آيات الانبياء المعجزة . أخذوا من عجز البشر من غير الانبياء ، عن الاتيان بمثلها أو عن معارضتها . وعرفوها

(١) صموئيل الاوّل ٩ : ٥-٩

(٢) الملوك الاوّل ١٨ : ٢٢

بأنها " أمر خارق للعادة يجريه الله على يد مدعى النبوة على وجه يمجز المنكرين عن الاثيان بمثله " (١) .

وآيات الانبياء أو معجزاتهم ، هي العلامات الواضحات البينات الدالة على صدقهم في دعوى النبوة ، وفيما يبلغونه عن ربهم . بحيث لا يقف في سبيل دعوتهم صاحب شبهة أو شك . وهي مؤيدة للنبي ودليل للمهتدين ، وحجة على المعاندين . وقد سماها القرآن الكريم آيات بينات ، وبرهاناً . أما تسميتها بينات فقد جاءت في قوله تعالى : " وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس " (٢) . وفي آيات آخر . وأما تسميتها آية فقد جاءت في قوله تعالى : " ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين " (٣) . وفي مواضع كثيرة أخرى . وأما تسميتها برهاناً فقد جاءت في قوله تعالى : " فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملائه " (٤) . ومع أن اصطلاح المتكلمين على تسمية آيات الانبياء معجزة ليس فيه معنى فاسد ، فان الأولى والأفضل الاكتفاء بما ورد في القرآن الكريم من ألفاظ أطلقها الله تعالى على علم منه بأوليتها .

(١) انظر اصول الدين لأبي منصور البغدادي ص ١٧٠ وعصمة الانبياء ص ٥١ ومحصل افكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٢٠٧ الناشر مكتبة الكليات الازهرية وشرح الفقه الاكبر للملا على القاري ص ٦٣ طبعة بيروت سنة ١٣٩٦ هـ بدار الكتب العلمية .

(٢) سورة البقرة ٨٧ و ٢٥٣ (٣) سورة الشعراء ٤

(٤) سورة القصص ٣٢ .

المبحث الثاني

صفات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

قبل أن يخلق الله آدم عليه السلام ، أنبأ ملائكته الكرام أنه (جاعل في الأرض خليفة) . ومن شأن من يقوم بأعمال الخلافة أن يكون على هدى ومنهج ممن استخلفه . فهذا هو الذي وقع . ان خلق الله آدم عليه السلام وزوجه في الجنة (فأخرجهما الشيطان مما كانا فيه) فأمرهما الله بالهبوط إلى الأرض لحكمة أرادها في سابق علمه . وكان آدم نبياً يوحى إليه . ففشأت ذريته على الفطرة السليمة والمعقيدة الصافية . غير ان تلك الفطرة السليمة والمعقيدة الصافية قد تعرضتا بمرور الأيام لشيء من الكدر والشوائب . فاختلقت ذرية آدم بعد أن كانت أمة واحدة . وما كان الله ليتركهم على تلك الحالة من الاختلاف وقد خلقهم الله لعبادته . ولذلك بعث إليهم رسلاً منهم يندرونهم سوء العاقبة ، ومضار الاختلاف ، ويبشرونهم بالحياة الطيبة في الدنيا ، وبالنعيم الأبدى في الآخرة ، ان هم اعتصموا بحبل الله وتمسكوا بهداه كما قال تعالى " كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه . وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات ^{بأبصارهم} / فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بآذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم " (١) .

وقال تعالى : " وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما كانوا فيه يختلفون " (٢) .
ومنذ ذلك الحين ، لم تخل فترة من الزمن إلا وفيها رسل يملفون البشر هدى ربهم ، وينذرونهم لقاء الله وعقابه الشديد . وإذا كانت عادة ملوك الدنيا وسلطينها قد جرت باختيار من يكون واسطة بينهم وبين رعيهم

من له صفات جديدة بذلك . فان الله سبحانه وتعالى وله المثل الأعلى لا يصطفى
للمرسالة الى خلقه الا من له من الصفات ما يجعله في أعلى مراتب العبودية
صدقا في القول والعمل . لأنهم انما يبحثون لاصلاح ما فسد من أحوال
الناس في الاعتقاد والسلوك والمعاملات فيما بينهم ، فلا بد أن يكونوا في
أعلى درجات الصلاح والتقوى لتحقيق فيهم القدوة الحسنة . لذلك اقتضى
البحث هنا أن يكون في هذا الموضع بحث صفات الانبياء عليهم السلام وفي
مقدمتها صفة العصمة .

العصمة :

العصمة في اللغة النع . قال في القاموس : " العصمة بالكسر النع
والقلادة ، واعتصم بالله : اعتصم بلفظه من المعصية " . هذا معناها في
اللفظة . ومنه قول ابن نوح لا نبه / " سآوى الى جبل يعصنى من الماء " (١)
أى يعصنى منه .

وأما معناها في الاصطلاح ، فهي " لطف من الله تعالى يحمل النبي
على فعل الخير ويحجزه عن الشر مع بقاء الاختيار تحقيقا للابتلاء " (٢) أى ان
النبي صلى الله عليه وسلم بمنه الله تعالى بلفظه من المعاصى بأن يعينه
على فعل الخير ومحبة وتجنب الشر وكراهيته على سبيل الاختيار ، لا إلجاء ،
لأن علمهم بما يحسن من الطاعات وما يقبح من المعاصى اكمل . وكذلك علمهم
بما وعد الله على فعل الخيرات والحسنات من الأجر العظيم ، وما أوعده به على
المعاصى من العذاب الأليم ، اكمل ايضا من علم سائر البشر . فالرغبة في
رضوان الله وجزيل عطائه ، تدفعهم الى الطاعات والفضائل من الأقوال والأفعال .
والرهبة من غضب الله وعقابه ، تزجرهم عن المعاصى ما ظهر منها وما بطن . وهكذا
يحول الله تعالى بينهم وبين المعاصى ويباعد بينهم وبينها .

(١) سورة هود ٤٣

(٢) عصمة الانبياء للدكتور محمد ابي النور الحديدي المطبوع سنة ١٣٩٩ هـ
بمطبعة الأمانة بمصر ص ٦٣ ونقله عن الشهاب الخفاجي .

متعلق العصمة :

للعصمة متعلقات متعددة أهمها ثلاثة أمور وهي : ١ - العصمة من الكفر ٢ - العصمة من المعاصي ٣ - العصمة من الخطأ في التبليغ .
٨- وأما عصمتهم من الكفر والكبائر من المعاصي فهو موضع اتفاق بين العلماء إلا ما كان من المعاصي على سبيل السهو . وأما الصفائر من الذنوب على سبيل الصد فقد جوز وقوعها عنهم الجمهور ، وأما سهوا فقد جوز الاكثرون وقوع الكبائر منهم ، وجوزوا وقوع الصفائر باتفاق . غير ان الذي يميل اليه قلبى انهم معصومون من الصفائر والكبائر لأنهم قدوة للناس . وأما ما يقع على سبيل النسيان فليس من المعاصي لأن الله يعفو عن ذلك لخروجه عن طاقة الانسان (١) . وهذا كله في حال الانبياء بعد النبوة . وأما قبل النبوة فالمسألة خلافية ولا يتعلق بها أمر ذو فائدة . وانما يعنى الباحث النظر في حال الانبياء وهم انبياء يقتدى بهم . وأما قبل النبوة فهم ليسوا قدوة (٢) . وليس هناك شرع توزن به اعمالهم قبل الوحي اللهم الا من كان مثل انبياء بنى اسرائيل بعد موسى لوجود شريعة التوراة فيهم .
ويدخل تحت عصمتهم من المعاصي ، كل ما نهى الله عنه وزجر من كذب في التبليغ وسائر الاخبار كما يدخل تحت ^{ذلك} عصمتهم من الخيانة وهي كتمان ما أنزل الله عليهم لتبليغه للناس . وبهذا يتبين أن العصمة تشتمل على ثلاث صفات وهي :

١ - الصدق ٢ - التبليغ ٣ - الأمانة .

وتضاف الى هذه الصفات صفة رابعة وهي الفطانة .

وأما الصدق : فهو مطابقة الخبر والعمل للواقع ، وهو نوعان :

١ - الصدق في القول . ٢ - الصدق في العمل . أما الصدق في القول ،

فيتناول ثلاثة أمور : الأمر الأول : الصدق في دعوى النبوة . والأمر الثاني :

الصدق في التبليغ . والأمر الثالث : الصدق في سائر الاخبار .

وأما الصدق في العمل ، فهو ان يكون عمل الرسول مطابقا لما يدعو اليه من مكارم الاخلاق . بل سباقا الى ذلك بحيث يعمل بالطاعات على أحسن الوجوه وأفضلها . ويجتنب المعاصي وما يخل بالمروءة من الاعمال المباحة . ويشهد لهذا ما قاله ^{رسول} الله شعيب عليه السلام لقومه : " يا قوم رأيتم ان كنت على بينة من ربي ورزقتى منه رزقا حسنا ، وما أريد ان اخالفكم الى ما أنهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله ، عليه توكلت واليه أنيب " (١) .

وأما التبليغ : فهو ايصال شرع الله تعالى المتضمن لأوامره ونواهيه ووعدده ووعيدة واخباره الى من أرسلوا اليهم بلا زيادة ولا نقصان ، ولو كان فيما يبلغونه ما يؤدى الى عتابهم ، أو يدعو الى اذائهم وعقابهم من أرسلوا اليهم . ويشهد لهذا قول الله تعالى في حقهم : " الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله " (٢) .

وأما الأمانة : فهي تحمل الوحي الالهي وتبليغه للناس دون زيادة أو نقصان . أو هي ان يكون النبي أمينا على ما يوحي اليه من ربه . ويشهد لهذا قول الله تعالى في وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم : " وما هو على الغيب بضنين " (٣) أى ليس يخيل على الناس بما أوحي اليه ، بل يهذله لكل أحد ولا يسأل عليه أجرا ، وقرئ بالظاء المعجمة " بضنين " أى انه ليس يستهم على ما أوحي اليه ، بل امين عليه يبلغه للناس كما أنزل عليه .

وأما الفطنة : فهي الذكاء وسرعة الادراك ، واليقظة الدائمة ، وقوة الحجة ، وفصاحة اللسان . ولا يمكن ان يتمكن رسول من تبليغ الرسالة الا اذا اکتملت فيه هذه الصفات . ليبين للناس ما أرسل به على خير وجه وليدحض ما يتمسك به أهل الضلال بعبارات جامعة مانعة ، ولهذا طلب موسى عليه السلام من ربه

أن يجعل أخاه هارون عليه السلام وزيراً له لأنه فصيح اللسان حيث قال :
 " وأخى هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي رداً يصدقني اني أخاف
 أن يكذبون " (١) . ودعا ربه عز وجل أن يزيل ما بلسانه من عقدة ليفقهه
 من أرسل اليه قوله حيث قال : " رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل
 عقدة من لساني يفقهوا قولي " (٢) .

وما من نبي مرسل الا وقد اتصف بهذه الصفات الأربع على اكل
 وجه وأبلغ معنى ان لو لم يكن كذلك لما أمكن أن تثبت الرسالات .
 وهناك أمور يجوز ان يوصف بها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وهي
 الصفات الجبلية التي جبل البشر عليها ، كالجوع والعطش والشبع والروى والنكاح
 والمرض الخفيف الذي لا ينفر ولا يفوت مصلحة الرسالة . وسائر الصفات البشرية
 التي لا منقصة فيها ولا تقدر في مكانتهم عليهم الصلاة والسلام .
 قال أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف السنوسي : " وأما الرسل
 عليهم الصلاة والسلام ، فيجب في حقهم الصدق والأمانة وتبليغ ما أمروا بتبليغه
 للخلق . ويستحيل في حقهم عليهم الصلاة والسلام أضرار هذه الصفات .
 وهي الكذب والخيانة بفعل شيء ما نهوا عنه نهى تحريم او كراهة ، أو كتمان
 شيء ما أمروا بتبليغه للخلق . ويجوز في حقهم عليهم الصلاة والسلام ما هو
 من الأعراض البشرية التي لا تؤدي الى نقص في مراتبهم العلية ، كالمريض
 ونحوه " (٣) .

وبعد ، فهذه هي صفات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الواجبة لهم
 والممتنعة عليهم والجائزة في حقهم . وعلى ضوء تصورنا لهذه الصفات ننقل الى
 استعراض موقف بنى اسرائيل من الأنبياء من واقع نصوص أسفارهم وبالله التوفيق .

(٢) سورة طه ٢٥-٢٨

(١) سورة القصص ٣٤

(٣) شرح ام البراهين ص ٥٥ الطبعة الاولى بمطبعة الاستقامة بحمص سنة ١٣٥٣ هـ .

مكانة الانبياء في الاسلام :

سبق أن بينا صفات الانبياء عليهم الصلاة والسلام ما يجب لهم ، وما يجوز عليهم وما يمتنع في حقهم . وعلى ضوء ذلك نسير ونوضح هنا ما يجب لهم على الناس من حقوق .

وتتلخص تلك الحقوق في وجوب الايمان بأنهم أنبياء الله ورسله الصادقون المخلصون المعصومون من كل ما لا يليق بمنزلتهم الرفيعة ، أمروا بالخير كله ونهوا عن الشر فكانوا مخلصين لله تعالى في دينهم ، وناصحين لأممهم التي بعثوا فيها نصحاً أميناً ، ولا يقبل من احد ايمان اذا لم يؤمن بهم جميعاً ، لأنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بعثوا بعقيدة واحدة هي الاسلام ، وان اختلفت شرائعهم ومناهجهم في طرق العبادات والمعاملات وغير ذلك ما دون العقيدة التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان . ولذلك كانت دعوة كل نبي : " يا قوم اعدوا الله ما لكم من اله غيره " . ومن كفر بأحد منهم فقد كفر بالجميع . وذلك لأنهم :

أحدهما : أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام بعثوا وبعضهم يصدق بعضاً ، فمن آمن باحدهم وصدق بنبوته ، وجب عليه أن يؤمن بجميع الانبياء ويصدق بهم تصديقاً مجعلاً الا فيما يلفه عن نبوه مفضلاً فيؤمن به على الوجه الذي يلفه أي مفضلاً . ومن كذب بأحدهم وكفر به فقد كذب جميع الانبياء وكفر بهم لهذا السبب .

ثانيهما : ان اصول الدين من اركان الاسلام والايمان هي دعوة كل نبي من أولهم الى آخرهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، فمن صدق بدعوة احدهم ، وجب عليه ان يصدق بدعوة الجميع تصديقاً مجعلاً ، ومن كذب بذلك وكفر به ، فقد كفر بدعوة الجميع وكذب بها .

وكما يؤدى الكفر بأحدهم الى الكفر بجميعهم ، فانه يؤدى ايضا الى الكفر بالله تعالى الذي نبأهم ، فمن كذب بالنبي النبأ ، فقد كفر بالنبي تبارك وتعالى .

ولخطورة هذا الأمر وعظم شأنه ، أمر الله تعالى المؤمنين في كتابه العزيز أن يكون إيمانهم بالله تعالى متبوعا بالإيمان برسله جميعا ، ووعدهم على ذلك اجرا عظيما ، فقال تعالى : " .. فأمنوا بالله ورسله وان توبوا سنؤتيكم أجر عظيم " (١) .

وحكم بالكفر على من ادعى أنه يؤمن بالله مع كفره ببعض أنبيائه وتوعدده بالعذاب السهين ، فقال : " ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا . أولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا " (٢) . ثم أعقب ذلك بالشأن على من آمن بالله وجميع رسله بلا تفريق بين أحد منهم فقال : " والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما " (٣) .

وقال تعالى : " آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير " (٤) .

والأنبياء عليهم السلام - وان اشتركوا جميعا في فضل النبوة - فان الله تعالى فضل بعضهم على بعض وليسوا في درجة واحدة لقول الله تبارك وتعالى : " ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا " (٥) . وكذلك الرسل عليهم الصلاة والسلام لقوله تعالى : " تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس " (٦) .

(٢) سورة النساء ١٥٠-١٥١

(٤) سورة البقرة ٢٨٥

(٦) سورة البقرة ٢٥٣

(١) سورة آل عمران ١٧٩

(٣) سورة النساء ١٥٢

(٥) سورة الاسراء ٥٥

ولقد قص الله علينا اسما خمسة وعشرين من الانبياء وهم :

- | | | | |
|---|-------------|-------------|-------------|
| ١ - آدم | ٢ - ادريس | ٣ - نوح | ٤ - هود |
| ٥ - صالح | ٦ - ابراهيم | ٧ - لوط | ٨ - اسماعيل |
| ٩ - اسحاق | ١٠ - يعقوب | ١١ - يوسف | ١٢ - أيوب |
| ١٣ - شعيب | ١٤ - موسى | ١٥ - هارون | ١٦ - اليسع |
| ١٧ - ذو الكفل | ١٨ - داود | ١٩ - سليمان | ٢٠ - الياس |
| ٢١ - يونس | ٢٢ - زكريا | ٢٣ - يحيى | ٢٤ - عيسى |
| ٢٥ - محمد صلى الله عليه عليه وسلم وعليهم أجمعين . | | | |

هو " الانبياء " يجب الايمان بهم على وجه التثمين . وأما غيرهم من الانبياء الذين لم يقصصهم الله علينا في كتابه فيكفى أن نؤمن بهم ايماناً مجملأ أي نؤمن بأن الله بعث غير هؤلاء من الانبياء عددا كثيرا لقوله تعالى :

" ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك " (١) . وقوله تعالى :

" ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك " (٢) .

ولم يرد في القرآن الكريم ذكر العدد الاجمالي لانبياء الله ورسله .

ولكن السنة النبوية بينت ذلك . قال الامام الحافظ احمد بن علي بن حجر المسقلاني رحمه الله تعالى : " ووقع في ذكر عدد الانبياء حديث ابي ذر مرفوعا " انهم مائة الف وأربعة وعشرون الفا ، الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر " صححه ابن حبان " (٣) .

وأفضل من ذكرنا منهم خمسة ، وهم معروفون بانهم أولو العزم من الرسل ، أي اصحاب الصبر والثبات في مواجهة الشدائد وهم : ١ - نوح ٢ - ابراهيم ٣ - موسى ٤ - عيسى ٥ - محمد صلى الله عليه وعليهم وسلم . وقد جمعهم قول الله تعالى : " واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم منك / نوح وابراهيم وموسى وعيسى واخذنا منهم ميثاقا غليظا " (٤) .

(١) سورة النساء ١٦٤ (٢) سورة غافر ٢٨ (٣) فتح الباري مقدمة كتاب الانبياء ج٦ (٤) سورة الاحزاب ٧

ومما يثبت على هذا ان بعض الكتاب من المسلمين سمحوا
لا قلامهم ان يكتب ما لا يتفق مع العقيدة الاسلامية في الانبياء ، حيث
دفعتهم نظرتهم الى جرائم اليهود في أرض فلسطين وما جاورها من الهلاك
الاسلامية في هذا القرن الى أن يطعنوا في بعض الانبياء من بنى اسرائيل
ولم يعلموا ان ذلك أمر خطير جدا ، وتأكيذا لما ذكرته أثقل للقارى الكريم
نص ما قاله محمد على الزهبي تحت عنوان ! (يوسف طليعة المحتكرين) قال :
" وهكذا ترى اسرائيل منذ لجله يوسف ، يستطيع تمثيل دور احتكار ، ويقوم
قدوة لأحفاده الذين اتخذوه أسوة ، واتخذوا من سيرته نمونجا ، ونفذوا
توجيه اله اسرائيل الذي يرى ذهب العالم وفضته ومواشيه و أرضه ورقابته
ملكاً له . وقد وهبه لابنه البكر وشعبه المختار ، وأمرهم باسترجاعه واصطياده
ولو اختلفت الوسائل وتعددت الشباك . ذلك لأن نيل الغاية ! يمرر
حقارة الواسطة ، ودناءة الوسيلة " (١) .

ولقد ذكر الله اسرائيل وابنه يوسف في جملة من الانبياء الصالحين ،
وأثنى عليهم ثناء عظيما ، ثم أمر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان يقتدى
بهدهام قائلا : " أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده " (٢) . فدل هذا
على ان من كان له هذان النبيان قدوة ، فقد هدى الى صراط مستقيم ،
وأما المحتكرون من بنى اسرائيل فهم أبعد الناس عن الاقتداء بهما . فكيف
يعتبر هذا الكاتب ان اسرائيل ويوسف مثلا دور احتكار فصارا قدوة
لمن جاء بعدهما ؟ !

ومثل هذا ما فعله المقدم أمين سامى الغمراوى حيث صرح بعدم تصديقه
ما ورد في الرواية اليهودية من ان موسى عليه السلام القى الاكواح غاضبا مما وقع
فيه قومه من الكفر بعده بعبادة العجل ، مع أن ذلك ثابت في القرآن الكريم .

قال الكاتب المذكور :

"واننى لا يمكن أن اصدق أن موسى رعى بلوحي الشهادة في لحظة غضبه على بنى اسرائيل وهو الذى تلقاها من عند الله" (١).

وهذا وأمثاله مما ينكره الاسلام أشد الانكار ، بل ان انكار ما ثبت في القرآن الكريم كفر صريح يخرج صاحبه من ملة الاسلام . والعياذ بالله تعالى . ان ما فعله اليهود بالمسلمين قديما ، وما يفعلونه بهم في عصرنا

هذا من جرائم لا تقرها شرائع الانبياء ، ينبغى أن لا يخرجنا عن الصواب حتى نقع في شباك ابليس ونكون مثلهم والعياذ بالله . وعندها تكون الخسارة أفدح واعظم . فان خسارة العقيدة الالهية الصحيحة لا تقاس بها خسارة

الأرض التى تفتنى ويفتنى ما عليها . فكراهيتنا لليهود وأخلاقهم الخبيثة وسلوكهم المنحرف ، ينبغى أن لا تثيرنا وتجربنا الى عدم الانصاف والعدل في القول والعمل عملا بقول الله تعالى : " ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تمدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون " (٢) . فيوسف عليه السلام حينما طلب من ملك مصر أن يجعله على خزائن الأرض ،

لم يكن منه ذلك للاحتكار ، وانما كان للحوص على المحافظة على بقاء مستوى المعيشة في مصر في يسر وسهولة في سنوات المجاعة المقبلة ، حتى يجتاز الناس تلك السنوات المجاف في طمأنينة ورخاء . وكان مؤهل يوفى في ذلك خير مؤهل وهو الأمانة والعلم ، ولقد علم الملك بأمانته ومكانته حينما كلمه فقال له : " انك اليوم لدينا مكين أمين " (٣) . ولا أجل تلك الأمانة التى أنعم الله بها عليه والعلم الذى خصه الله به ، طلب يوسف عليه السلام من الملك ان يوليه على خزائن الأرض فقال : " اجعلنى على خزائن الأرض انى حفيظ عليم " (٤)

(١) كتاب : لهذا أكره اسرائيل ٣٤ طبعة اولى سنة ١٩٦٤ م

(٢) سورة المائدة ٨

(٤) سورة يوسف ٥٥

(٣) سورة يوسف ٥٤

فقام يوسف بتلك المهمة خير قيام ، فعبر المصريون بسبب ذلك فترة المجاعة الى فترة الرخاء . ولولا ما قام به يوسف من نصح للملك وتدبير حسن لشؤون الموءن على خير وجه ، لكانت سنوات المجاعة قد قضت على المصريين وغيرهم . فكيف يظن من في قلبه ايمان ان من اثمنه الله على وحيه وشريعته ، لم يكن أميناً على الطعام ؟ .

وأما القاء موسى الألواح في حالة الغضب ، فقد قصه الله علينا في كتابه العزيز بقوله : " ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفاً ، قال بشما خلفتموني من بعدى أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره اليه ^(١) الآية . وهو أمر وقع من موسى غضبا لله تعالى ، وغيرة على دينه ، وحماية لأئمة من الكفر والزيغ . فكيف يستسيغ من في قلبه ذرة من ايمان ان يقول جهرا : " واننى لا يمكن أن اصدق ان موسى رضى لوحى الشهادة في لحظة غضبه على بنى اسرائيل . . . " بمجرد ان ذلك ورد في أسفار اليهود ؟ ! وقد علمنا موقف الاسلام من كتب اليهود في البحث الأخير من الفصل الأول من الباب الأول ، وهو موقف يعصم الموءن من زلة الأقلام التى تؤدى الى زلة الأقدام فليتأمل .

المبحث الثالث

بيان موقف بنى اسرائيل من الانبياء على وجه الاجمال

الموقف الاجمالي من أنبياء الله تعالى الذى وقفه بنو اسرائيل في تاريخهم الطويل وشهدت به عليهم أسفارهم ، أنهم لا يراعون لأنبياء الله حرمة ولا يمتقدون فيهم العصمة . بل كانوا يكفرون بهم ويؤذونهم ويرمونهم بعظام الامور من الصفات القبيحة ، والخصال الشنيعة ، ولم يقتصروا على الايذاء والتكذيب والتجريح ، بل اعتدوا على عدد كثير من أنبياء الله بالقتل غير مبالين بغضب الله وسخطه . هذا ما ذكرته أسفارهم ، وبينه لنا القرآن الكريم وشهدت به عليهم أناجيل النصارى . وايضا هذا الموقف نستعرض النصوص اليهودية تسم المسيحية ، ثم الآيات القرآنية الدالة على ايذائهم الانبياء وكفرهم بهم وقتل عديد منهم .

١ - من الأسفار اليهودية :

أما الأسفار اليهودية فقد ذكرت كفر بنى اسرائيل ومقاومتهم للأنبياء ومطاردتهم لهم في كل مكان انتصارا لعبادة الأوثان التى اصبحت الجماعات الاسرائيلية لا تنفك عنها منذ عهد موسى عليه السلام ، وحتى أخذوا أسرى الى بلاد آشور . فأكثر ما وقع من قتل الانبياء كان في عهد الملك أخاب بن عمى ملك يهوذا الذى توغل في عبادة الأصنام وتشبيدها اكثر من سبقه من ملوك يهوذا ، والذى تزوج امرأة تدعى ايزابل بنت ملك الصيدونيين التى قامست بقتل عديد من أنبياء الله كما جاء ذلك في سفر الملوك الاول في قوله :
 " وكان حينما قطعت ايزابل أنبياء الرب أن عوبيدا أخذ مائة نبي وخبأهم خمسين رجلا في مغارة ، وعالهم بخبز وماء " (١) .

ونسب هذا السفر أيضا الى عوبيديا أنه قال لا يليا وهو النبي الياس عليه السلام : " ألم يخبر سيدي بما فعلت حين قتلت ايزابل أنبيا الرب ان خبأت من أنبيا الرب مائة رجل ، خمسين ، خمسين رجلا في مفارة وعسلتهم بخبز وماء " (١) .

وجاء في سفر أرميا أن الرب قال لنبى اسرائيل على لسان ارميا : " فمن اليوم الذى خرج فيه آباؤكم من أرض مصر الى هذا اليوم أرسلت اليكم كل عبيدى الانبيا مكررا كل يوم ومرسلا ، فلم يسمعو لى ولم يميلوا أذنيهم بل صلبوا رقابهم ، أساءوا أكثر من آبائهم " (٢) .

وجاء في سفر الملوك الثاني أن النبي اليسع أرسل احد ابنا الانبيا الى ياهو بن يهوشافاط ليمسحه ملكا على يهوذا عوضا عن يهورام بن أخاب الذى ورث عن أبيه عادة الأوثان ، واصبحت أمه ساعده الايمن في ذلك : " هكذا قال الرب اله اسرائيل قد مسحك ملكا على شعب الرب اسرائيل فتضرب بيت أخاب سيدك وانتقم لدماء عبيدى الانبيا ودماء جميع عبيد الرب من يد ايزابل " (٣) .

٢ - من أناجيل النصارى :

وأما أناجيل النصارى فقد نسبت الى المسيح ابن مريم عليه السلام أنه خاطب اليهود وعنفهم وذكرهم بمواقفهم السيئة من رسل الله الأعظماء كما خاطب مدينة اورشليم ووصفها بأنها قاتلة الانبيا وراجمة المرسلين . وهذا يؤكده اضطهاد اليهود لانبيا الله وقتلهم بغير حق . جاء ذلك في انجيل متى (٤)

(١) الملوك الاول ١٨ : ١٣ (٢) ارميا ٧ : ٢٥-٢٦ (٣) الملوك الثاني ٩ : ٦-٧ (٤) متى : أحد تلاميذ المسيح الاثنى عشر كان من جباة الضرائب للرومان وعرف بمتى العشار فلحق بالمسيح وكان من تلاميذه المقربين وبعد رفع المسيح قام بالتبشير في بلاد كثيرة . ثم توفي بالحبشة - على ما يقال - سنة ٧٠ م على أثر ضرب صرح تعرض له من أحد اعوان ملك الحبشة وقيل أنه طعن برمح سنة ٦٢ م بعد ان أقام بها نحو ثلاث وعشرين سنة وبه سمى السفر لأنه هو الذى كتبه . انظر محاضرات في النصرانية للشيخ محمد أبى زهرة ص ٤٦ الطبعة الرابعة بدار الفكر العربى سنة ١٣٩٢ هـ ١٨١-١٨٢ .

حيث قال : "ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون ، لا تتركتم تبنون قهصور
الانبياء وتزينون مدافن الصديقين وتقولون : لو كنا في أيام آبائنا لما
شاركناهم في دم الانبياء . فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلته
الانبياء . فاملاؤا أنتم مكياك آبائكم . أيها الحيات أولاد الافاعي كيف تهريون
من دينونة جهنم . لذلك ها أنا ارسل اليكم انبياء و حكماء و كتبة فمنهم
تقتلون وتصلبون ومنهم تجلدون في مجامعكم وتطردون من مدينة الى مدينة
لكي يأتي عليكم كل دم زكي سفك على الأرض من دم هابيل الصديق السوي
دم زكريا بن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح . يا اورشليم
يا اورشليم يا قاتلة الانبياء وراجمة المرسلين . . . " (١) .

وجاء في انجيل مرقس (٢) أن المسيح عليه السلام ضرب لليهود مثلا
يدل على ايدائهم وقتلهم للانبياء حيث قال : " انسان غرس كرما وأحاطه بسياج
وحفر حوض معصرة وبنى برجاً وسلمه الى كرامين وسافر ثم أرسل الى الكرامين
في الوقت عدا لياخذ من الكرامين من ثمر الكرم . فأخذوه وجلدوه وأرسلوه
فارغاً ثم أرسل اليهم عدا آخر فرجموه وشجوه وأرسلوه مهاناً . ثم أرسل
أيضاً آخر فقتلوه ثم آخرين كثيرين فجلدوا وبعضاً وقتلوا بعضاً . فإذا كان له
أيضاً ابن واحد حبيب اليه أرسله ايضاً اليهم اخيراً قائلاً : انهم يهابون
ابني . ولكن أولئك الكرامين قالوا فيما بينهم هذا هو الوارث هلموا نقتله
فيكون لنا الميراث فأخذوه وقتلوه . وأخرجوه خارج الكرم فماذا يفعل صاحب
الكرم ؟ يأتي ويهلك الكرامين ويعطي الكرم الى آخرين . أما قرأتم هذا
المكتوب (٣) : الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية . من
قبل كان هذا وهو عجيب في أعيننا " (٤) .

(١) متى ٢٣ : ٢٧ - ٣٩

(٢) مرقس ليس من الحواريين الاثنى عشر ولكنه تلميذ بطرس الحوارى ، وأحد السبعين
الذين قيل ان المسيح أرسلهم للتعليم والتبشير . وفي نسبة هذا الانجيل اليه
خلاف ليس هذا موضع بحثه . انظر مقارنة الانجيليان ١٨٨ - ١٨٩

(٣) المراد بالمكتوب ما جاء في سفر المزامير وهو قوله " الحجر الذي رفضه البناؤون
قد صار رأس الزاوية من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا " مزامير

(٤) انجيل مرقس ١ : ١٢ - ١٢ ٢٣ : ٢٢ - ٢٣

وفي هذا دليل واضح على أن بنى اسرائيل آذوا انبياء الله واعتدوا عليهم . فريقا كذبوا وفريقا جلدوا وفريقا رجموا وفريقا قتلوا حتى سخط الله عليهم وأقام أمة أخرى مقامهم وأرسل فيهم رسولا ختم به النبوات . وهو المعنى بالحجر الذى صار رأس الزاوية . كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضرب مثلا لذلك فيما رواه جابر بن عبد الله وأبو هريرة واللفظ له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ان مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله الا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين " (١) .

وفي هذا شهادة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وختم الرسالة به . والنص المسيحى شاهد على اليهود والنصارى بأنهم كفروا بنبي يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، لأنهم يحملون الى يومنا هذا هذه النصوص وأمثالها . وهى تنادى بانتقال النبوة من بنى اسرائيل الى أمة أخرى . وختام النبوة بذلك النبي الذى يكون رأس الزاوية كما هو في كتبهم ، وهو اللبنة التى ختم بها النبوة كما جاء ذلك عن صاحب الرسالة الخاتمة محمد صلى الله عليه وسلم .

وفي انجيل لوقا (٢) ورد هذا النص أيضا باختلاف في الألفاظ دون المعانى وجاء في آخره قوله : " فماذا يفعل بهم صاحب الكرم ؟ يأخذ ويهلك

-
- (١) أخرجه البخارى في كتاب المناقب باب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم .
 (٢) لوقا لم يكن من تلاميذ المسيح ولا من تلاميذ تلاميذه باتفاق ولكنه تلميذ بولس الملقب عند النصارى ببولس الرسول الذى أسس المسيحية على شكلها الوثنى الحالى مدعيا انه تلقى تعاليمه من الروح القدس وذلك بعد رفع المسيح عليه السلام . انظر محاضرات في النصرانية ص ٥٢ - ٥٤ والمسيحية للدكتور احمد شليى ص ٧٧ .

هو* الكرامين ويعطى الكرم لاخرين . فلما سمعوا قالوا حاشا . فنظر اليهم وقال : اذا ما هو هذا المكتوب : الحجر الذى رفضه البنائون هو قد صار رأس الزاوية . كل من يسقط على ذلك الحجر يترضى . ومن سقط هو عليه يسحقه " (١) .

وهذا هو الذى وقع لمن ناصب رسول الله صلى الله عليه وسلم العداء من اليهود وغيرهم ، فانهم ترضوا وسحقوا على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه الابطال بما كفروا وحاربوا الله ورسوله وهم على يقين من صدقه صلى الله عليه وسلم .

وفي موضع آخر من انجيل لوقا جاء أن بعض الفريسيين نصح المسيح عليه السلام أن يذهب من المكان الذى يعلم فيه خارج أورشليم لأن الحاكم الرومانى هيروودس يريد أن يقتله . فقال المسيح عليه السلام : " امضوا وقولوا لهذا الشعب ها أنا اخرج شياطين وأشفى اليوم وغدا وفي اليوم الثالث أكمل . بل ينبغى أن أسير اليوم وغدا وما يليه لأنه لا يمكن ان يهلك نبي خارجا عن أورشليم . يا أورشليم يا قاتلة الانبياء وراجمة المرسلين " (٢) .

وهذا النص يدل أيضا على ان بنى اسرائيل قد قتلوا الانبياء ورجموهم في مدينة أورشليم التي أسند اليها قتل الانبياء ورجم المرسلين لكثرة ما أريق فيها من دمائهم الزكية .

٣ - من القرآن الكريم :

وأما القرآن الكريم فقد ذكر ان بنى اسرائيل كانوا يكفرون بأنبياء الله ويقتلونهم . فقد جاء ذلك في تسعة مواضع من صوره . وهذا بيانها :

(١) لوقا ٢٠ : ١٥ - ١٨

(٢) لوقا ١٣ : ٣٢ - ٣٤

- ١ - " ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق " (١)
- ٢ - " أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون " (٢) .
- ٣ - " قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين " (٣) .
- ٤ - " ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقطط من الناس فيشرهم بمذاب أليم " (٤) .
- ٥ - " ضربت عليهم الذلة أينما شفقوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وبأمر من الله وضربت عليهم المسكة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون " (٥) .
- ٦ - " لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول لدوقوا عذاب الحريق " (٦)
- ٧ - " قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم ، فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين " (٧) .
- ٨ - " فيما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق " (٨) .
- أى ان الله تعالى عذبهم بسبب نقض الميثاق والكفر بآيات الله وقتل أنبيائه عليهم السلام .
- ٩ - " لقد أخذنا ميثاق بنى اسرائيل وأرسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون " (٩) .

(١) سورة البقرة ٦١	(٢) سورة البقرة ٨٧
(٣) سورة البقرة ٩١	(٤) سورة آل عمران ٢١
(٥) سورة آل عمران ١١٢	(٦) سورة آل عمران ١٨٨
(٧) سورة آل عمران ١٨٣	(٨) سورة النساء ١٥٥
(٩) سورة المائدة ٧٠	

قال ابن القيم رحمه الله : " ومن تلاعبه (أى الشيطان) بهم أيضا :
أنهم كانوا يقتلون الأنبياء الذى لا تنال الهداية الا على أيديهم . . . وهذا
من أعظم تلاعب الشيطان بالانسان : ان يقتل أو يقاتل من هداه على
يديه " (١) .

ان القرآن الكريم لم يسم احدا من الأنبياء الذين قتلهم اليهود ، ولكنه
ذكر قتلهم للنبيين فقط ، كما هو واضح من الآيات التي سبق عرضها . وكذلك
الانجيل لم تذكر على وجه التعمين من قتله اليهود من الأنبياء الا زكريا بن
برخيا ويوحنا المعمدان وهويحيى بن زكريا عليهما السلام (٢) .

(١) اغاثة اللهفان ج٢ ص ٣١٩ - الطبعة الثانية بدار المعرفة في بيروت سنة ١٣٩٥ هـ

(٢) انظر متى ٢٣ : ٣٥ و ١٤ : ٣ - ١٢

البحث الرابع

بيان أسماء بعض الأنبياء الذين قتلهم بنو إسرائيل

١ - أشعيا :

كان أشعيا أحد أنبياء بني إسرائيل الذين بعثوا^{فيهم} بعد موسى . فقد كان يوبخ قومه على معاصيهم المتزايدة فكان ذلك سببا لقتله .

قال زكي شنودة : " وقد ورد في تاريخ اليهود " أن منسى قتل اشعيا^١ بأن نشره بمنشار من خشب (١) وجاء في السنن القويم : " أن اشعيا قتل منشورا شطرين بأمر منسى الملك الذي تمرغ في حمأة الفواحش لأنه بكتسه بعنف على شره " (٢) .

وقال متى بهنام : " وقد ذكر في تقاليد التلموديين وغيرهم من آباء اليهود انه بقي يتنبأ الى أيام منسى الملك ، وأنه قتل نشرًا بأمر ذلك الملك في أيام شره " (٣) .

٢ - أوريا بن شمعي :

وقال سفرارميا : " وقد كان رجل ايضا يتنبأ باسم الرب أوريا بن شمعي من قرية يعاريم ، فتنبأ على هذه المدينة وعلى هذه الأرض بكل كلام ارميا . ولما سمع الملك يهوياقيم وكل ابطاله وكل الرؤساء كلامه طلب الملك أن يقتله . فلما سمع أوريا خاف وهرب وأتى الى مصر . فأرسل الملك يهوياقيم أناسا الى مصر ، الناثان بن عكبور ورجالا معه الى مصر ، فأخرجوا أوريا من مصر ، وأتوا به الى الملك يهوياقيم ، فضره بالسيف وطرح جثته في قبور بني الشعب " (٤) .

(١) موسوعة تاريخ الاقباط والمسيحية ج ٧ ص ١٢٩ .
(٢) السنن القويم ج ٨ ص ٦
(٣) مفاتيح كنوز الاسفار ج ٢ ص ٢٢٥
(٤) ارميا ٢٦ : ٢٠-٢٣

٣ - حزقيال :

قال زكى شنودة : " وقد ظل حزقيال يوبخ اليهود الذين فسقوا
السبي ... وينذرهم ويحذرهم ، ويدعوهم الى التوبة ثلاثين سنة . ومن
ثم حنقوا عليه وقتلوه " (١) .

٤ - زكريا بن يهوياح :

وقال زكى شنودة : " فعاد الملك واليهود جميعا بعد موته (أى
يهوياح) ، الى عبادة الاصنام ، فقام زكريا بن يهوياح ليوبخهم
على ذلك . فأمر الملك بقتله مع أنه ابن الرجل الذى كان صاحب الفضل
عليه ان أجلسه على العرش وكان بمثابة معلمه وأبيه ، فرجم اليهود زكريا
بالحجارة داخل الهيكل فمات " (٢) .

وجاء الحديث عن قتل زكريا في سفر اخبار الايام الثاني حيث قال :
" وليس روح الله زكريا بن يهوياح الكاهن فوقف فوق الشعب وقال لهم :
هكذا يقول الله : لماذا تتعدون وصايا الرب فلا تفلحون ، لأنكم تركتم الرب
قد ترككم . ففتنوا عليه ورجموه بحجارة بأمر الملك في دار بيت الرب . ولم
يذكر يوآش الملك المعروف الذى علمه يهوياح أبوه معه بل قتل ابنه .
وعند موته قال : الرب ينظر ويطالب " (٣) .

وجاء في انجيل متى عندما وبخ المسيح فرقة الفريسيين من اليهود
أنهم قتلوا زكريا بين الهيكل والمذبح وذلك حيث قال : " ... لكي يأتي
عليكم كل دم زكى سفك على الأرض من دم هابيل الصديق الى دم زكريا بن
برخيا الذى قتلتموه بين الهيكل والمذبح " (٤) .

(١) موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية ج ٨ ص ١٤٢

(٢) موسوعة تاريخ الأقباط ج ٨ ص ١١٦

(٣) اخبار الايام الثاني ٢٤ : ٢٠-٢٢

(٤) متى ٢٣ : ٣٥

وبالمقارنة بين ما جاء في سفر اخبار الايام الثاني من العهد القديم وما جاء في انجيل متى من العهد الجديد نجد ان اسم والد زكريا في سفر الاخبار يهوياذا ، وفي انجيل متى برخيا ، ومن الصعب التوفيق بين النصين الا ان يكون لوالد زكريا اسمان عرف بهما . وما يدل على أن زكريا بن برخيا هو نفس زكريا بن يهوياذا هو أن يهوياذا قتل في بيت الرب على ما جاء في الروايتين . وفي السنن القويم قال : " والارجح ان القول " ابن برخيا " في متى ... ليس بالاصل بل هو زيادة تفسيرية من ناسخ " (١) .

وفي موضع آخر من السنن القويم قال وهو يتحدث عن عظم جرم قاتل زكريا : " وكانت خطيئته اعظم لأن زكريا كان ابن يهوياذا (أو حفيده) الذي كان قد حفظه من الموت في طفولته ورباه كاب حنون وجعل له ملكا وكان مشيرا له اكرحياته " (٢) ، وزكريا هذا هو صاحب السفر المسقى باسمه في العهد القديم وان كان المحققون من مفسري الاسفار يرون أن كاتبه غير زكريا بل كان بعد زمانه (٣) .

٥ - ارميا :

قال حبيب سميد : " وكانت حياة ارميا استشهادا طويلا فلم يكن العبء ثقيلًا الى حد يحطم أقوى الأرواح فحسب ، ولم يكن مضطرا الى ان يقف بمفرده فقط ، بل كان هدفًا لاضطهاد مر ، قاس ، وكانت حياته في خطر مستمر . وحاول جيرانه في عناث أن يقتلوه " فكروا عليه أفكارا قائلين : لتهلك الشجرة بثمرها ونقطعه من أرض الأحياء ، فلا يذكر بعد اسمه " (١٩ : ١١) ... ومرة ضربه رئيس كهنة الهيكل ووضعه في المقطرة ، لأنه (كما زعم) دنس الهيكل بنذر الشر التي كان ينادى بها (١ : ٢٠)

(١) السنن القويم ج ٥ ص ٦١ (٢) انظر السنن القويم ج ١٢ ص ١٤٥
(٣) الأنبياء الاقدمون يتكلمون ص ١١٣ - ١١٤ طبع بالمطبعة الفنية الحديثة بالقاهرة . وانظر ارميا تاريخ شعب العهد القديم ص ٢٧٦ - ٢٩٩ .

تصايح الكهنة والأنبياء... يطلبون حياته لأنه تنبأ عن خراب المدينة والهيكل ، وقد حاول يهوياقيم الملك أن يقبض عليه... وكان يلقي مصير ذلك النبي الآخر المدعو "أورنا" الذي تنبأ بما تنبأ به ارميا ، فأثار سخط الملك . ومع أنه هرب إلى مصر ، فقد قبض عليه هناك وجيء به ليقطع رأسه بالسيف ، وتلقى جسده باحتقار في قبور عامة الشعب (٢٦ : ٢٠) ولم يكن لحياة النبي كرامة في ذلك العصر الذي ساد فيه الفساد والاحاد والفجور (١) ومع أن هذا النبي لاقى من الشدة من قومه ما يطول ذكره ، فإنه لم يمت على أيديهم لأن الله تعالى حماه ونجاه من أن يموت بأيديهم كما جاء ذلك في قوله : " وأجعلك لهذا الشعب سور نحاس حصينا فيحاربونك ولا يقدرون عليك لأنني معك لا أخلصك وأنقذك يقول الرب . فأنقذك من يد الأشرار وأفديك من كف المتاة " (٢) .

٦ - يوحنا المعمدان أو يحيى بن زكريا عليهما السلام :

ومن قتله بنو اسرائيل من أنبياء الله الكرام يحيى بن زكريا عليهما السلام وهو المعروف عند اهل الكتاب باسم يوحنا المعمدان . جاء ذكر قتله في العهد الجديد في انجيل متى ومرقس على يد هيروودس رئيس الربع . وذلك بتحريض من امرأة اخيه المدعوة هيروديا التي أراد ان يتزوجها هيروودس فنهاه يوحنا عن ذلك فقبض عليه وسجنه . وفي عيد ميلاد هيروودس قامت ابنة هذه المرأة بالرقص امانه فسر ذلك كثيرا فوعدها أنه ينفذ لها ما تطلب منه مهما كان . فطلبت منه رأس يوحنا بتحريض من أمها هيروديا ، وبعد تردد وتخوف من تحقيق رغبتها أرسل زبائنته ، فقطعوا رأسه ، وأتوا به على

(١) الانبياء الاقدمون يتكلمون ص ١١٣-١١٤ طبع بالمطبعة الفنية الحديثة

بالقاهرة . وانظر ارميا في تاريخ شعب العهد القديم ص ٢٧٦-٢٩٩

(٢) ارميا ١٥ : ٢٠-٢١

طبق في المحفل ثم دفعوا لها رأسه فذهبت به الى أمها . ^{وهذا} نص كلام متى في ذلك : " فان هيرودس كان قد أمسك يوحنا وأوثقه وطرحه في سجن من اجل هيروديا امرأة فيلبس أخيه . لأن يوحنا كان يقول له : لا يحل ان تكون لك . ولما أراد ان يقتله خاف من الشعب . لأنه كان عندهم مثل نبي . ثم لما صار مولد هيرودس رقصت ابنة هيروديا في الوسط فسرت هيرودس . من ثم وعد بقسم أنه مهما طلبت يعطيها . فهي اذ كانت قد تلقت من أمها قالت : أعطني ههنا على طبق رأس يوحنا المعمدان . فاغتم الملك ولكن من اجل الاقسام والمتكئين معه امر ان يعطى . فأرسل وقطع رأس يوحنا في السجن . فأحضر رأسه على طبق ودفع الى الصبية فجاءت به الى أمها . فتقدم تلاييمذه ورفعوا الجسد ودفنوه ثم أثوا وأخبروا يسوع^(١) . هكذا كان الاعتداء على هذا النبي الكريم في حياته ومماته ، سجنوه مكبلا لأنه نهى عن المنكر ثم ذبحوه كما تنحر الشاة ، ثم قدموا رأسه الطاهر لتلك المرأة الفاجرة ، وكأنه رأس شاة يهدى لمن يأكله . وهذه غاية القسوة ونهاية الشقوة .

وجاء هذا النص في انجيل مرقس بعبارة أوضح وأدل على تدبير هيروديا قتل ذلك النبي الكريم حيث قال : " لأن هيرودس نفسه كان قد أرسل وأمسك يوحنا وأوثقه في السجن من أجل هيروديا امرأة فيلبس أخيه اذ كان قد تزوج بها . لأن يوحنا كان يقول لهيرودس : لا يحل ان تكون لك امرأة أخيك فحنقت هيروديا عليه وأرادت ان تقتله ولم تقدر لأن هيرودس كان يهاب يوحنا عالما انه رجل بار وقديس وكان يحفظه . واذ سمعه فعل كثيرا وسمعه بسرور ، واذ كان يوم موافق لما صنع هيرودس في مولده عشاء لعظمائه وقواد الاكوف ووجوه الجليل دخلت

ابنة هيروديا ورقصت ، فسرت هيرودس والمتكئين معه . فقال الطيبك
للصبية : مهما أردت اطلبى متى فأعطيك وأقسم لها ان مهما طلبت
منك لا أعطيك حتى نصف ملكتي فخرجت وقالت لا لها ماذا اطلب ؟
ف قالت : رأس يوحنا المعمدان . فدخلت للوقت بسرعة الى الملك وطلبت
قائلة : أريد ان تعطيني حالا رأس يوحنا المعمدان على طبق ، فحزن
الملك جدا ، ولا أجل الاقسام والمتكئين لسم يرد ان يرد لها ، فللوقت أرسل
الملك سيافا وأمر ان يؤتى برأسه ، فمضى وقطع رأسه في السجن وأتى
برأسه على طبق وأعطاه للصبية والصبية أعطته لا لها . ولما سمع تلاميذه
جاءوا ورفعوا جثته ، ووضعوها في قبر (١)

الفصل الثاني

بيان موقفهم من قبلهم من الأنبياء عليهم السلام

وفيه

تمهيد و أربعة مباحث :

- المبحث الأول : بيان موقفهم من نوح عليه السلام ودعوته .
- المبحث الثاني : موقفهم من إبراهيم عليه السلام ودعوته .
- المبحث الثالث : موقفهم من إسماعيل عليه السلام .
- المبحث الرابع : موقفهم من لوط عليه السلام .

تمهيد :

الاعتناء بالأنبياء وقصصهم والايمان بهم أو الكفر بهم لم يكن من أجل نسبهم أو حسبتهم أو غناهم أو فقرهم ، وإنما كان من أجل تلك النعمة الجليلة التي أنعم الله بها عليهم وعلى أتباعهم بإحسان . وهي الأمانة التي حملوها ، والدعوة التي بلغوها إلى الناس ليخرجوهم باذن الله من الظلمات إلى النور ، وهم جميعا يأخذون من مشكاة واحدة . لذلك وجب على من آمن بأحدهم وأبعده أن يؤمن بجميعهم على وجه الأجمال بلا تفريق بين أحد منهم لأن النبوة والصلح للناس والثغاني في طاعة الله والحرص على ما يتفع أممهم ، جمعت بينهم جميعا وأن كانوا في عصور متعاقبة وأمم مختلفة . ويمتثل الكفري واحد منهم كفرا بجميعهم ، ولهذا الشرايط الوثيق بين دعوات الأنبياء ، قص الله تعالى علينا من قصصهم ما يدعوا إلى العبر ، ويثبت القلوب على تحمل الأذى في سبيل دعوة الحق . فالقرآن الكريم قص علينا كثيرا من قصص الأنبياء ، وذلك فيما يختص بشؤون الدعوة ومواقع العبر ، ولم يتعرض لحياتهم الخاصة المنفصلة عن الدعوة ، كالنسب ، والمال ، والزواج ، والرحلات ، وغير ذلك . لأن هذه الأمور لا فائدة من ذكرها ، وهي أمور يشترك فيها الأنبياء مع غيرهم من البشر . هذا ما تركه القرآن وذلك ما ذكره .

وأما الأسفار اليهودية فقد اهتمت من قصص الأنبياء بالأمور المادية فحسب ، فذكرت الأسماء والأنسب والأعمار والرحلات والأماكن ذكرها تفصيلا يخرجها من أن تكون على ما هي عليه كتب هداية أوحى الله بها إلى الأنبياء ، إلى أن تمتلئ أسفار تاريخ مادي فقط . اللهم إلا ما يوجد في تلك الأسفار المنسوبة إلى بعض الأنبياء والمعروفة

بالأنبياء الصفار (١) من مواعظ ونصائح . أضاف الى ذلك بعض الأنبياء الكبار مثل أشعيا وارميا وحزقيال . ولننظر فيما يأتي من الفصول الى اهتمام بني اسرائيل وحرسهم الشديد على الحياة الدنيا . واغفالهم ما يختص بالجانب الديني في معظم أسفارهم في عرض قصص الأنبياء ، إضافة الى المواقف الخاصة من كل من سيأتي ذكرهم من الأنبياء عليهم السلام . وقد سبق أن بينا انهم لا ينظرون الى الانبياء نظرة احترام ولا يعتبرونهم معصومين عن الوقوع في الكبائر وسيجلى لنا ذلك فيما يأتي :

*

البحث الأول

موقفهم من نوح عليه السلام ودعوته

جاء الحديث اليهودي عن نوح عليه السلام في أول سفر من اسفار العهد القديم ، وهو سفر التكوين المنسوب الى موسى عليه السلام . واستفرد الحديث عنه جزءا يسيرا من الاصحاح الخامس ثم الاصحاحات الأربعة التي تليه . وقد تناول الكاتب خلال تلك الاصحاحات ولادة نوح وبنيه ، وصلاحه ، وفساد قومه ، وبناء الفلك بأمر ربه ، ونجاة من الطوفان الذي أهلك قومه ومعه امرأته وبنوه ونسأوه هم . الى غير ذلك على النحو التالي :

(١) الاسفار المعروفة بالانبياء الصفار عددها اثنا عشر سفرا ووصفت بالصفار نظرا لصفرة حجبها لا لعدم اهميتها كما سبق توضيحه في الباب الأول .

انظر السنن القويم ج ١٢ ص ١ وتاريخ شعب العهد القديم ص ٢٤٢ .

أولا - صلاح نوح عليه السلام:

١ جاء الحديث عن صلاح نوح عليه السلام في المواضع التالية من سفر التكوين +

- ١ - "وأما نوح ، فوجد نعمة في عيني الرب" (١) .
- ٢ - " كان نوح بارا كاملا في أجياله وسارنوح مع الله " (٢) .
- ٣ - " وقال الرب لنوح : ادخل أنت وجميع بيتك الى الفلك لانني اياك رأيت بارا لدى في هذا الجيل " (٣) .

ثانيا - وحى الله الى نوح عليه السلام :

وفيما يخص جانب الوحي الالهي الى نوح عليه السلام جاءت نصوص

عديدة في سفر التكوين تدل على أنه يأتمر بأمر الله تعالى كما دل على ذلك النص السابق وهذه هي مواضعها :

- ١ - " قال الله لنوح : نهاية كل بشر قد أتت أمامي لأن الأرض امتلأت ظلما منهم فيها أنا مهلكهم مع الأرض اصنع لنفسك فلكا " (٤)
- ٢ - " وقال الرب لنوح : ادخل أنت وجميع بيتك الى الفلك " (٥)
- ٣ - " وكلم الله نوحا قائلا : اخرج من الفلك أنت وامراتك وبنوك ونساء بنيك معك " (٦) .
- ٤ - " وبارك الله نوحا وبنيه وقال لهم : اثمروا واكثروا واملاؤا الأرض " (٧)
- ٥ - " وكلم الله نوحا وبنيه معه قائلا : وها انا مقيم ميثاقي معكم ومع نسلكم من بعدكم " (٨) .

وفي هذه النصوص دلالة واضحة على ان نوحا عليه السلام ينسب يوحى اليه من ربه تعالى . ولذلك وصف بأنه كامل وبار ، وأنه سار مع الله من بين قومه الذين عمهم الظلم والفساد .

(١) تكوين ٨: ٦ (٢) تكوين ٩: ٦ (٣) تكوين ١: ٧ (٤) تكوين ٦: ١٣-١٤
(٥) تكوين ١: ٦ (٦) تكوين ٨: ١٥-١٦ (٧) تكوين ٩: ١ (٨) تكوين ٩: ٨-٩

ذكر فساد قومه :

وبجانب ما جاء ذكره من صلاح نوح عليه السلام وخطاب الله تعالى اياه بأوامره ، ذكر سفر التكوين ان قوم نوح قد كثر الشرف فيهم . وذلك في النصوص الآتية :

١ - " ورأى الرب ان شر الانسان قد كثر في الأرض ، وان كل تصور افكار قلبه انما هو شرير كل يوم " (١) .

٢ - " وفسدت الأرض امام الله وامتلات الأرض ظلما . ورأى الله الأرض فاذا هي فسدت . ان كان كل بشر قد أخذ طريقه على الأرض فقال الله لنوح : نهاية كل بشر قد أتت أمامي ، لأن الأرض امتلات ظلما منهم فها أنا مهلكهم مع الأرض " (٢) .

ومع ما جاء في هذين النصين من الإشارة الى فساد أهل الأرض في عهد نوح ، فان السفر اليهودي لم يبين ما هو ذلك الفساد . هل كان بعبادة الأوثان ، او بظلم الناس بعضهم بعضا ، أو لم يقتصر ^{الفساد} على ناحية من النواحي بل شمل العقيدة والسلوك ، والمعاملات . هذا كله محتمل ولكنه ليس مما يفهم من النص عند سياقه لأنه موجز ايجازا شديدا .

اغفال دعوة نوح عليه السلام :

وصف سفر التكوين نوحا بالصلاح والبر والاستقامة كما سبق ذكر ذلك . وسبق أيضا بعده ما يدل على نبوة نوح عليه السلام . ثم ما يدل على فساد أهل الأرض فسادا شاملا حيث لا يوجد في ذلك العصر بار غير نوح الذي كان على صلة بربه . ومع هذا فليس في سفر التكوين ما يدل على ان نوحا أرسل الى أولئك الناس ودعاهم الى الصلاح والاستقامة . وهذا موقفهم من دعوته عليه السلام حيث أغفلوها بالجملة . ثم ذكروا ان الله تعالى أهلكهم بالطوفان بسبب فسادهم وظلمهم بعد ان أمر نوحا ان يصنع الفلك لينجوفيه هو

وامراته وأبنائه ونسأوه هم مع أصناف من الحيوانات التي كتب الله لها البقاء . وليس من المعقول أن يعاقب الله تلك الامة بالطوفان الا بعد أن انذرهم سوء العاقبة لقوله تعالى : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) (١) .

ابرار الجانب المادي في قصة نوح عند اليهود :

كان الحديث عن صلاح نوح ويره وفساد الناس في عصره حديثا ذلك قريبا

موجزا جدا . وقد مر/ كما سبق ايضاح ان السفر اليهودي لم يشر/ بصفة موجزة الى ان نوحا صاحب رسالة . وان الله ما أهلك قومه الا بعد اقامة الحجة عليهم . هذه الجوانب الروحية ، ليس لها اى شأن في هذا السفر . وانما الجانب الذى استحق الاهتمام والاسهاب في الذكر في هذا السفر هو الجانب المادي الذى أصبح سمة هذا الشعب الاسرائيلي الذى تميز به عن سائر شعوب الدنيا على مر الأجيال ،

ولكى يتضح للقارىء هذا الموقف اليهودي المادي من قصة هذا النبي الكريم ، أقدم فيما يأتي بعض النصوص التي تبرز الجانب المادي .

أ - الأسماء والأنسب والأعمار :

١ - " وعاش لامك مائة واثنين وثمانين سنة (٢) وولد ابنا . ودعا اسمه نوحا قائلا : هذا يعزينا عن عملنا وتعيب أيدينا من قبل الأرض التي لعنها الرب . وعاش لامك بعدما ولد نوحا خمسمائة وخمسا وتسعين سنة (٣) . وولد بنين ونساء فكانت كل ايام لامك سبعمائة وسبعين سنة ومات (٤) . وكان نوح ابن خمسمائة سنة وولد نوح ساما وحاما ويافت (٥) .

- (١) سورة الاسراء ١٥
- (٢) في التوراة السامرية : " وعاش لامك ثلاثا وخمسين سنة وأولد ابنا " .
- (٣) في السامرية : " وعاش لامك بعد ايلاده نوحا ستمائة سنة " .
- (٤) في السامرية : " وكانت كل ايام لامك ثلاثا وخمسين سنة وستمائة سنة ومات " .
- (٥) تكوين ٥ : ٢٨ - ٣٢

- ٢ - هذه مواليد نوح ، كان نوح رجلاً باراً كاملاً في أجياله وسار
نوح مع الله ، وولد نوح ثلاثة بنين ساماً وحاماً ويافث* (١) .
- ٣ - ولما كان نوح ابن ستمائة سنة صار طوفان الماء على الأرض* (٢) .
- ٤ - وعاش نوح بعد الطوفان ثلثمائة وخمسين سنة . فكانت كل أيام
نوح تسعمائة وخمسين سنة ومات* (٣) .

انظر الى هذا التفصيل في الأسماء والأعمار والأنساب ، وتصور منه ومن الخصوص
السابقة موقف هؤلاء القوم من الجوانب الروحية ، والجوانب العادية ، تجد
الحكم على موقفهم في غاية السهولة .

ب - السفينة وما فيها :

- ١ - « اصنع لنفسك فلكاً من خشب جفر ، تجعل الفلك مساكن ، وتظليه
من داخل ومن خارج بالقار . وهكذا تصنعه . ثلثمائة ذراع يكون طول
الفلك وخمسين ذراعاً عرضه وثلاثين ذراعاً ارتفاعه . وتصنع كوا للفلك وتكمله
الى حد ذراع من فوق وتضع باب الفلك في جانبه . مساكن سفلية ومتوسطة
وعلوية تجعله ، فيها اناآت بطوفان الماء على الأرض لا هلك كل جسد فيه
روح حياة من تحت السماء كل ما في الأرض يموت . ولكن أقيم عهدي معك
فتدخل الفلك انت وبنوك وامراتك ونساء بنيك معك . ومن كل حي من كل
جسد اثنين من كل تدخل الى الفلك لاستيقائها معك تكون ذكراً أو أنثى .
من الطيور كاجناسها . ومن البهائم كاجناسها ، ومن كل دبابات الأرض
كاجناسها . اثنين من كل تدخل اليك لاستيقائها . وأنت فخذ
لنفسك من كل طعام يوم كل واجمه عندك فيكون لك ولها طعاماً .
ففعل نوح حسب كل ما أمره به الله هكذا فعل* (٤) .

(١) تكوين ٩: ٦-١٠	(٢) تكوين ٧: ٦
(٣) تكوين ٩: ٢٨-٢٩	(٤) تكوين ٦: ١٤-٢٢

٢ - "وقال الرب لنوح ادخل انت وجميع بنيك الى الفلك لاننى اياك رأيت بارا لدى في هذا الجيل . من جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة ذكرا وأنثى . ومن البهائم التي ليست بطاهرة اثنين ذكرا وأنثى . ومن طيور السماء أيضا سبعة سبعة ذكرا وأنثى لاستبقاء نسل على وجه الأرض . لاننى بعد سبعة أيام أيضا امطر على الأرض أربعين يوما وأربعين ليلة وأمحو عن وجه الأرض كل قائم عملته . ففعل نوح حسب كل ما أمر به الرب . . . فدخّل نوح وبنوه وامراته ونساء بنيه معه الى الفلك من وجه مياه الطوفان . ومن البهائم الطاهرة والبهائم التي ليست بطاهرة ومن الطيور وكل ما يدب على الأرض دخل اثنان الى نوح الى الفلك ذكرا وأنثى كما أمر الله نوحا " (١) .

وفي هذا الوصف الدقيق المسهب للسفينة وما حوته من انسان وحيوان ما يدعو الى القول ان بنى اسرائيل كتبوا تاريخ الانبياء وسيرهم بدافع مادي . ولذلك لم يعنوا بدعوتهم وما جرى بينهم وبين أممهم من نزاع . لأنهم لو فعلوا ذلك بجانب هذا التعارض مع ميولهم المادية ورغباتهم الدنيوية .

ج - وصف مياه الطوفان وهلاك النفوس بها :

١ - "وحدث بعد السبعة الأيام أن مياه الطوفان صارت على الأرض . في سنة ستمائة من حياة نوح في الشهر الثاني في اليوم السابع عشر من الشهر . في ذلك اليوم انفجرت كل ينابيع الخمر العظيم ، وانفتحت طاقات السماء . وكان المطر على الأرض أربعين يوما وأربعين ليلة في ذلك اليوم عينه ودخل نوح وسام وحام ويافت ، بنو نوح وامرأة نوح وثلاث نساء بنيه معهم الى الفلك . هم وكل الوحوش كأجناسها وكل البهائم كأجناسها ، وكل الدبابات التي تدب على الأرض كأجناسها وكل الطيور كأجناسها كل عصفور كل ذى جناح . ودخلت الى نوح الى الفلك اثنين اثنين من كل جسد فيه روح حياة .

والداخلات دخلت ذكرا وأنثى من كل ذى جسد كما أمره الله وأغلق الرب عليه ، وكان الطوفان أربعين يوما على الأرض وتكاثرت المياه ورفعت الفلك فارتفع عن الأرض . وتعاضمت المياه وتكاثرت جدا على الأرض . فكان الفلك يسير على وجه المياه . وتعاضمت المياه كثيرا جدا على الأرض فتغطت جميع الجبال الشامخة التي تحت كل سماء . خمس عشرة ذراعا في الارتفاع تعاضمت المياه . فتغطت الجبال . فمات كل جسد ^{ذى} كان يدب على الأرض من الطيور والبهائم والوحوش . وكل الزحافات التي كانت تزحف على الأرض وجميع الناس ، كل ما في أنفسه ^{روح} نسمة/حياة من كل ما في اليابسة مات . فمحا الله كل قائم كان على وجه الأرض ، الناس ، والبهائم ، والذبابات ، وطيور السماء فانمحت من الأرض وتبقى نوح والذين معه في الفلك فقط وتعاضمت المياه على الأرض مائة وخمسين يوما (١) .

٢ . ثم ذكر الله نوحا وكل الوحوش وكل البهائم التي معه فسي الفلك ، وأجاز الله ريحا على الأرض فهدأت المياه وانسدت ينابيع الفجر وطاقات السماء . فامتنع المطر من السماء . ورجعت المياه عن الأرض رجوعا متواليا . وبعد مائة وخمسين يوما نقصت المياه . واستقر الفلك في الشهر السابع في اليوم السابع عشر من الشهر على جبال أراط (٢) . وكانت المياه تنقص نقضا متواليا الى الشهر العاشر . وفي العاشر في أول الشهر ظهرت رؤوس الجبال . وحدث بعد أربعين يوما ان نوحا فتح طاقة الفلك التي كان قد عملها وأرسل الغراب فخرج مترددا حتى نشفت المياه عن الأرض ، ثم أرسل الحمامة من عنده ليرى همل قلت المياه عن وجه الأرض فلم تجد الحمامة مقرا لرجلها فرجعت اليه الى الفلك لأن مياهها كانت على وجه الأرض ^{كل} فمد يده وأخذها وأدخلها عنده الى الفلك . فلبث أيضا

(١) تكوين ٧ : ١٠-٢٤

(٢) في السامرة : " على جبال سرنديب " . ولو كان ما نزل على موسى عليه السلام لما كان لهذا الاختلاف وجود .

سبعة أيام آخر وعاد فأرسل الحمامة من الفلك فأتت اليه الحمامة عند المساء
واذا ورقة زيتون خضراء في فمها فعلم نوح أن المياه قد قلت عن الأرض فلبث
أيضا سبعة أيام آخر وأرسل الحمامة فلم تعد ترجع اليه أيضا . وكان
في السنة الواحدة والستمائة في الشهر الأول في أول الشهر أن المياه نشفت
عن الأرض . فكشف نوح الغطاء عن الفلك ونظر فإذا وجه الأرض قد نشف .
وفي الشهر الثاني في اليوم السابع والعشرين من الشهر جفت الأرض (١) .

ومع هذه الاطالة العملة والتكرار الكثير في هذه القصة ، فان القارى لا
يرى فيها ما له صلة وارتباط بالجانب الروحي . وهذا يدل على أن هذه
القصة المروية بهذه الصفة ليست مما نزل من الوحي على موسى عليه السلام ،
وانما هي قصة يتناقلها الرواة والقصاص تناقلا عابدا فقط ، فتطوع أحد بنى
اسرائيل لكتابتها ونسبتها الى موسى عليه السلام ليجد لها رواجاً في قومه
الذين لا يهتمون الا بالحياة الدنيا ، وهذا هو ما وقع ، فانهم صدقوا أنه
من موسى عليه السلام وهو منه براء ، والاختلاف في الأعمار بين النسخة العبرية
والنسخة السامرية . وكذلك الاختلاف في اسم الجبال التي رست عليها السفينة
دليل على أنه سفر موضوع . فالنسخة العبرية ذكرت أنها رست على جبال
أرارات . والسامرية ذكرت أنها رست على جبال سرنديب .

وصفهم نوحا بالسكر والتعري :

لقد مر في بداية قصة نوح ما يدل على بره وصلاحه واستقامته من بين سائر
البشر الذين أهلكوا بالطوفان لفسادهم العام . وسبق من النصوص ما يدل على
أن نوحا يَأْتُمِرُ بأوامر ربه ولا يحيد عنها ، وأنه نبي يوحى اليه من ربه تعالى .
ومع هذه الصفات الحسنة التي وصف بها سفر التكوين نوحا عليه السلام فانه وصفه
فيما بعد بصفة لا يمكن ان يوصف بها الصالحون من عباد الله ممن هم دون
الأنبياء منزلة ، تلك الصفة هي صفة السكر التي نسبوها اليه بعد حادث الطوفان .

حيث زعموا أنه أصبح فلاحا بعد الطوفان وغرس كرما استخرج منه بعد ذلك خمرا فشربه حتى سكر وألقى ما عليه من لباس ، فتعرى وهو نط ، فشاهده على هذه الحالة أحد أبشائه ، فأخبر أخويه حتى ستر عورته . ولما علم نوح ما فعله ابنه الأول - الذي شاهد عورته - بعدما أفاق من سكره ، لعن ذريته لعنة كان المستفيد الأول منها ساما ، وهو الذي ينتسب اليه الاسرائيليون ، ثم يافت الذي شارك ساما في ستر عورة أبيه ، ولكن لا يمر ما امتاز عليه سام في الدعاة . وهذا هو النص الكامل للقصة :

" وابتدأ نوح يكون فلاحا وغرس كرما ، وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه ، فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجا . فأخذ سام ويافت الرداء ووضعاه على أكتافهما وشيا إلى الورا ، وستر عورة أبيهما ووجهاهما إلى الورا . فلم يبصرا عورة أبيهما . فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير . فقال ملعون كنعان عبد المبيد يكون لأخويه وقال مبارك الرب اله سام وليكن كنعان عبدا لهم . ليفتح الله ليافت فيسكن في مساكن سام وليكن كنعان عبدا لهم " (١) .

ان العقل هو أعظم ما من الله به على الانسان . ان لولاه لما كان بينه وبين سائر الحيوانات فرق الا في النوع والشكل ، وهو مناط التكليف حيث يدرك به المكلف مقتضيات التشريع الالهي وما يحسن أو يقيح من أمور حياته الدنيوية . لذلك يكون الاعتداء على العقل بتعاطي المسكرات اعتداء على تلك النعمة العظمى التي تمتدح الحد الفاصل بين الانسان والانعام . فقد أدرك ذوو العقول النيرة من الناس في أجيالهم المتعاقبة مدى الضرر الذي يعود على شارب الخمر فحرموه على أنفسهم تحريما عقليا . واذا كان هذا بالنسبة لمن ليس له أى صلة بالوحي الالهي ، فكيف يكون حال من ينزل عليه الوحي ويؤمر بالتبليغ ؟ ولا شك أن العقل السليم يستبعد أن يتناول نبي خمرا

و يفقد عقله حتى يتجرد من لباسه ويحمل نتيجة عمله شخصا بريئا لا دخل له في الأمر . وهذا ليس من الحق في شيء وإنما هو من وضع اليهود واقترااتهم . لأن الفرض من ذلك كله ، أن يكون لديهم صك شرعي قديم يبيح لهم استعباد الكنعانيين ، واحتلال أرضهم . ألا ترى أن الذي شاهد أباه عاريا حسب زعمهم هو هام ، ولكن الذي دعا عليه نوح هو كنعان المسكين الذي هو هدف اليهود من القصة ، وفي قوله : " مبارك الرب اله سام " ما يؤكده هذا المعنى فإن الله ليس اله سام وحده ولكنه اله جميع البشر ، كما أن ساما لم يكن هو الذي قام بستر عورة أبيه وحده كما يقولون ، ولكن يافت كان معه . فلم خصص سام بهذه الاضافة : " اله سام " ؟ وما ذاك إلا لأنهم أرادوا أن يرسموا لأنفسهم خارطة قديمة تمنحهم حق السيطرة على أرض كنعان وأنزال أهلها .

وفي هذه القصة منافاة للعصمة وذلك في عدة أمور :

الأمر الأول :

في نسبة شرب الخمر عمدا الى هذا النبي الكريم وهو وإن كان من الجائز عدم حرمة في شرعه ، ولكنه من الأمور الدنيئة التي لا تليق بمقام النبوة الرفيع ، لأنه يؤدى الى السكر ، والسكر يؤدى الى ما لا نهاية له من المعاصي الصغيرة والكبيرة .

الأمر الثاني :

في نسبة السكر اليه . وهو زوال العقل ، وزوال العقل عن الأنبياء أكبر قادح في العصمة . وهو ما لا يجوز وقوعه .

الأمر الثالث :

نسبة التعرى وتكشف العورة اليه . وانكشف العورة أمر قبيح

فطرة ، وشرعا . فلا تصح نسبته الى نبي معصوم .

الأمر الرابع :

لمن البرى . ولا يتصور من عاقل فضلا عن نبي أن يلحق من

شاهده في حالة التعرى . ولو كان ذلك في حجرته أو خيمته ، وكان

المشاهد قد تعمد الاشراف عليه ، لكان لذلك وجه . أما وقد كان ذلك

حيث لا غفاء فلا وجه للعن من شاهده . هذا اذا كان الذى رآه
هو الذى باء باللعنة . ولكن الذى لعن في النص اليهودى ، هو
كنعان ابن حام . وحام هو الذى شاهد أباه في تلك الحالة
المزعومة ، وليس كنعان . ولعن البرىء كبيرة لا يمكن صدوره عن نبي
معصوم .

البحث الثاني

نقد موقفهم من نوح عليه السلام ودعوته على ضوء ما جاء في القرآن الكريم

عرفنا موقف بنى اسرائيل من نوح ودعوته فيما سبق ، واتضح لنا هناك أنه ليس في سفر اليهود ما يدل على انه صاحب رسالة ، وان قومه عصوه فاستحقوا عقاب الله الذى نزل بهم . ويبدو أن اليهود تركوا ذكر دعوة نوح وما يتصل بها لا حد أمرين : الأمر الأول : الجهل بأخبار نوح وقومه . وهو أمر ليس ببعيد عنهم ، والجاهل ينبغى ان لا يخوض فيما لا علم له به ، لأن ذلك افتراء وضلال ، الأمر الثاني : ان يكونوا قد تركوا الإشارة الى دعوة نوح عمدا ، لأنهم لا يهتمون بهذا الجانب من الحياة ، وفي هذا كتمان للعلم وكتمان العلم من العالم أمر شنيع ، وهو أمر اتصف به بنو اسرائيل في تاريخهم الطويل ،

وان كنت لا تدرى فتلك مصيبة وان كنت تدرى فالمصيبة أعظم ولأن هذا الموقف اليهودى من نبي الله نوح ودعوته ^{كذلك} من مكانته العلية ، اقتضى البحث ان يكون القرآن الكريم هو الذى يبرز الموقف الصحيح الذى ينبغى على من يؤمن بالله أن يقفه من نوح عليه السلام وغيره من رسل الله الكرام .

فالقرآن الكريم لم يذكر لنا ان نوحا ابن فلان ، أو أن له ثلاثة أبناء ، أو انه عاش قبل الطوفان كذا ومعه كذا ، الى غير ذلك مما ملأ صفحات السفر اليهودى ، لأن تلك الأمور حياة شخصية عادية ، لا ينتفع الناس بمعرفة ، ولا ضرر عليهم من جهلها . وانما الأمر المهم الذى ينتفع بذكره البشر على مر الأجيال ، هو ما فيه مواعظ وعبر ، من حياة الأقدمين . لذلك ترك القرآن الكريم هذه الجوانب السطحية من حياة الناس . فقدم لهم الفداء الروحى الذى به يسمو الانسان ويزكو .

ان القرآن الكريم تحدث عن نوح في اكثر من اربعين موضعا ، ففي جميع هذه المواضع أظهر لنا انه نبي كريم ، أرسل الى قومه برسالة بلفها أحسن ما يكون التبليغ ، فاستحق بذلك ثناء الله عليه مع اخوانه المرسلين من أولى العزم . وأظهر لنا القرآن ان قومه كفروا بربههم اذ كانوا يعبدون الاصنام ، وأنهم أصروا على كفرهم وطفيانهم غير مصفين الى نداء نوح ، وصيحته المتوالية فيهم ليعودوا الى ربهم . فكان من جملة من كفر به ابنه ، وان هذا الرسول الكريم جهر بالشكوى الى ربه من تصلب قومه وشدة اعراضهم عنه مع ما بذل لهم من نصح ومواعظ لينالوا مغفرة ربهم ورضاه . هنالك أوحى الله الى نوح ان قومه لن يؤمنوا الا من سبق ان آمن من قبل وأمره بصنع الفلك لانه سيفرقهم عقابا لهم على طغيانهم ، فضلع نوح السفينة وأدخل اليها من أمره الله أن يدخل اليها من المؤمنين . فأغرق الله الكافرين ، وكان من جملتهم ابنه عليه السلام . وكان دخوله باسم الله ، وخروجه منها ايضا بسلام من الله وسرعات . هذه العناصر اليمانية لا وجود لها في سفر اليهود . واليك الايات القرآنية الكريمة التي تضمنت هذه العناصر :

١ - " ولقد أرسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين . أن لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم أليم . فقال الملا الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادي الرأي ، وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين . قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فسميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون . ويا قوم لا أسألكم عليه أجرا ان أجرى الا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا انهم ملائكة من ربهم ولكني أراكم قوما تجهلون . ويا قوم من ينصرني من الله ان طردتهم أفلا تذكرون . ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول اني ملك ولا أقول للذين تزددري أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا ، الله اعلم بما في أنفسهم اني اذا لمن الظالمين . قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين . قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما أنتم بمعجزين .

ولا ينفعكم نصحي ان أردت ان انصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم هوربكم واليه ترجعون . أم يقولون افتراه قل ان افتريته فعلى اجرامى وأنا برىء مما تجرمون" (١) .

هذه هي قصة نوح ودعوته في القرآن الكريم بشكل تفصيلي لما جرى بينه وبين قومه الكافرين من الجدال المتواصل من قبلهم ، والدعوة المخلصة المستمرة من نوح عليه السلام ، حتى أنهم سئموا من صيحاته المتواصلة ، وحججه المتأسكة المتوالية عليهم ، فطلبوا منه أن يأتيهم بما ينذرهم به من عقاب الله تعالى قائلين : " يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين " فأجابهم عليه السلام بأن ذلك ليس بيده وأنه ليس الا ناصحا أميناً ، والعقاب بيد الله يأتي به متى شاء ، وأنه مهما بذل لهم من نصح فان ذلك ليس بنافع لهم اذا أراد الله تعالى في سابق علمه غوايتهم وهو مالك امرهم واليه مرجعهم .

واستمر نوح في الدعوة ما شاء الله ان يستمر . وهي أطول فترة قضاها نبي في الدعوة الى الله حسب ما قص الله علينا . حيث عاش فيهم الف سنة الا خمسين عاماً . وهي فيما يظهر لي من سياق القرآن فترة الدعوة وليس عمر نوح كله . لأن القرآن الكريم عر عن ذلك بقوله : " ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون" (٢) وقوله : " فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاماً " مع قوله : فأخذهم الطوفان يدل على عمر الدعوة لا على عمر نوح . لأن نوحاً لبث فيهم قبل هلاكهم عايشاً بعد هلاكهم كذلك . والله أعلم .

وبعد طول المدة واستمرار الدعوة وازدياد الكفر والعناد من قوم نوح استنفذ صبره ويئس من هدايتهم فتوجه الى ربه بالشكوى فقال هو يستنصر ربه :

" رب انى دعوت قومي ليلا ونهارا . فلم يزد هم دعائى الا فرارا .

وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستفشوا ثيابهم
وأصروا واستكبروا استكبارا ، ثم انى دعوتهم جهارا . ثم انى اعلنت لهم وأسررت
لهم اسراراً . فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا . يرسل السماء عليكم مدرارا .
ويمددكم بأموال وينين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا . مالكم لا ترجعون
لله وقارا . وقد خلقكم أطوارا " (١) .

فواصل نوح عليه السلام شكواه الى ربه من قومه مهينا فيها انه ما وجد
طريقا للنصح الا سلكها ، ولا فرصة الا اغتلمها في سبيل هدايتهم . ولكنهم
تجاهلوا ذلك ، وتحدوه باستعجال ما يتوعدهم به من عقاب ربهم ان استمروا
على كفرهم وعنادهم . وفي هذه الشكوى بين نوح سبب ضلال قومه وهو عبادة
الأنصاب التى تواصلوا بالاستمرار عليها وعدم تركها بسبب دعوة نوح فقال :
" وقالوا لا تدرن آلهتكم ولا تدرن ودا ولا سواها ولا يغوث ويعوق ونسرا " (٢) .

ولما أيقن نوح عليه السلام أن قومه لن يؤمنوا باخبار الله الذى أكد
له عدم ايمانهم الا من سبق ايمانه بقوله : " وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن
من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون " (٣) لما أيقن ذلك
دعا ربه ان لا يترك على وجه الارض أحدا من الكفرة ، لأنهم ما داموا لا يؤمنون
التهمة ، فلا فائدة من بقائهم ، بل بقاؤهم على الارض يؤدى الى ضلال من
هو على الجادة من قومه ، كما يؤدى الى تناسل اهل الكفر وتكاثر عدوهم . وهو
أمر خطر ينبغى أن لا يكون . لذلك جأرنوح بالدعاء :

" وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين شيئا ، انك ان تذرهم
يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا ، رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي
مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين الا تبارا " (٤) " فدعا ربه انسى
مفلوب فانتصر " (٥)

(١) سورة نوح ٥-١٥ (٢) سورة نوح ٢٤ (٣) سورة هود ٣٦

(٤) سورة نوح ٢٦-٢٧ (٥) سورة القمر ١٠

وهذا الدعاء تنتهى المرحلة الأولى من مراحل قصة نوح في القرآن الكريم وهى مرحلة الدعوة والصبر عليها وعلى ما واجه النبي الكريم من الشدة والأذى من قومه . وقد تجوهمت هذه المرحلة من قصة نوح عليه السلام في كتب اليهود ، وهى قصة استحق نوح الذكر الجليل من أجلها لا من أجل حسبه ونسبه .

وبعد هذا الدعاء الذى يظهر شدة ما عاينه نوح من قومه ، وكثرة ما بذله في سبيل هدايتهم مع تواصلهم بعبادة تلك الأصنام ، استجاب الله له وأمره بصنع الفلك الذى يحمل المؤمنين عند افراق الكافرين بطوفان لا نجاة منه لأحد منهم ، فقال تعالى : " واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مخرقون " (١) .

فبدأت المرحلة الثانية : وهى مرحلة صنع السفينة التى قام بصنعها نوح عليه السلام بوحي من ربه الذى أرشده الى كيفية صنعها ، حتى اكمل بناؤها .

وهنا يوضح القرآن الكريم أمرا أغفلته أسفار اليهود ، وهو أن نوحا عليه السلام عندما كان يصنع الفلك كان يعربه أشراف قومه ، فيسخرون منه ومن عمله ، لأنهم ليسوا مصدقين بأن عقاب الله نازل بهم لا محالة . فيرد عليهم نوح بأنه حينما يأتي عذاب الله لا نجاة لهم منه وأنه هو وأتباعه المؤمنين يسخرون من جهلهم بما سينزل بساحتهم من العذاب الاليم . قال تعالى : " ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه . قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون " (٢) .

فشتان ما بين السخريتين ، سخرية الجاهل المكذب بما ينتظره من عقاب الله ، وسخرية الناصح الأمين العالم بما ينتظرهم من سوء المنقلب : " فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم " (٣) .

وبعد تمام صنع الفلك امر الله نوحا ان يحمل معه من كل الحيوانات زوجين

اثنين وان يحمل اهله ومن آمن معه من الفئة القليلة . ففعل ذلك نوح عليه

السلام قال تعالى : " حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل (١)

ثم بدأت المرحلة الثالثة : وهي مرحلة هلاك القوم الكافرين بالطوفان ،

ونجاة القوم المؤمنين في السفينة فان الايمان هو سبب النجاة ، والكفر هو

سبب الهلاك ، فبناء السفينة اذا مرتبط بالايمان . وكذلك دخول المؤمنين

اليها مرتبط بالايمان ارتباطا وثيقا . ولذلك أمروا بالقول الطيب عند دخولها :

" وقال اركبوا فيها باسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم " (٢) .

ثم أمروا بالشناء على الله وحمده بعد ان يستووا على ظهرها : " فاذا استويت

أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين ، وقل

رب أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين " (٣) .

وبعد أن تزيل الفريقان ، فريق المؤمنين ، وفريق الكافرين ، بدأت

مرحلة العذاب والانتقام الالهى قال تعالى : " ففتحنا أبواب السماء بماء

منهمر . وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر . وحملناه على ذات

الأواح ودسر . تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر " (٤) .

انظر الى التعبير القرآنى في قوله : " أبواب السماء " وقارن بينه وبين

تعبير سفر التكوين في قوله " طاقات السماء " تجد الفرق واضحا جليا . فانسكاب

الماء من الأبواب " أبلغ منه من الطاقات . وهذه الأمور أيضا غير موجودة

في رواية اليهود .

وهناك أمر آخر لم تذكره رواية اليهود . وهو ابن نوح العاصى الذى

ذكره القرآن الكريم مع الكافرين في قوله تعالى : " وهي تجرى بهم في موج

(٢) سورة هود ٤١

(١) سورة هود ٤٠

(٤) سورة القمر ١١-١٤

(٣) سورة المؤمن ٢٩-٢٨

كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين . قال سآوى الى جبل يعصنو من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم . وحال بينهما الموج فكان من المفرقين . . . ونادى نوح ربه فقال : رب ان ابني من أهلي وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين . قال يا نوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم اني اعطك ان تكون من الجاهلين . قال رب اني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم والا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين (١) .

ولميس في رواية اليهود أثر لهذه القصة ، بل المذكور عندهم أن نوحا وجميع أهل بيته من أبنائه ونسائهم دخلوا معه الى السفينة ونجوا من الطوفان .

ويوجد أمر آخر أيضا : وهو ان القرآن الكريم صرح ان عددا قليلا من مؤمنى قوم نوح كانوا معه في السفينة - والرواية اليهودية قصرت النجاة على نوح وامراته ، وبنيه الثلاثة ونسائهم ولم تذكر من سواهم .

البحث الثالث

موقفهم من ابراهيم عليه السلام ودعوته كما في أسفارهم

ان موقف اليهود من ابراهيم عليه السلام ودعوته ، لا يختلف عن موقفهم من نوح عليه السلام ودعوته . فقد اتضح فيما سبق أنهم لم يتحدثوا عن رسالة نوح الى قومه ولوبايجاز ، فكذلك الحال في شأن ابراهيم عليه السلام ، فانهم لم يذكروا أنه أرسل الى قومه ، فدعاهم الى الهداية والرشاد . ولكنهم ذكروا حياته الخاصة ذكرا تفصيليا اكثر مما ذكروا حياة نوح الخاصة .

فقد اشتمل حديث سفر التكوين عن ابراهيم عليه السلام نواحي الحياة المتعددة . من ذلك الحديث عن ميلاده ، ووطنه ، وزواجه ، واسم زوجته ، ومنها الحديث عن انتقاله من موطنه الاصل الى مكان آخر . ومنها الحديث عن رحلته مرة أخرى من هذا الوطن الثاني الى أرض كنعان بأمر ربه . ومنها الحديث عن رحلته من أرض كنعان الى أرض مصر وعودته منها بمال وفيرة . الى غير ذلك من أمور سياق بيانها حسب ترتيبها في سفر التكوين . غير أننا قد وضعنا ما يتعلق بميلاده ورحلته من أرض قومه في الباب الاول عند الحديث عن تاريخ ^{سكن} ابياسرائيل . لذا فلا حاجة الى تكراره الا ماله ارتباط وثيق بالرسالة والدعوة فهذا موضعه .

لماذا رحل ابراهيم من أرض قومه ؟

اذا استعرض الباحث أو القارئ الفصول التي تتحدث عن ابراهيم في سفر التكوين ، يجد فيها ان ابراهيم عليه السلام قد قام بثلاث رحلات ، الرحلة الاولى : كانت من أور الكلدانيين التي ولد بها الى حاران التي حل بها حينما من الدهر ثم غادرها . وهذه الرحلة كان رائدها والد ابراهيم حسب الرواية . وكانت الأسرة كلها أي أسرة ابيه قامت بهذه الرحلة وأخذت ابرام ابنه ، ولوطا بن هاران ابن ابنه ، وساراي كخته ، امرأة ابرام ابنه ، فخرجوا معا من أور الكلدانيين ليذهبوا الى أرض كنعان . فأتوا الى حاران . وأقاموا

هناك . وكانت أيام تارح مائتين وخمسين سنة ومات تارح في حاران " (١) .
 ويبدو من هذا النص ان ابراهيم عليه السلام كان أحد افراد العائلة
 في هذه الرحلة ، ولم يكن قائدها وانما القائد هو تارح والد ابراهيم .
 كما يتضح لنا أمر آخر أيضا من هذا النص وهو أن وجهة تارح وأسرته ،
 في هذه الرحلة كانت أرض كنعان ، غير ان حاران كانت المحطة الأولى التي
 نزلوا بها وفيها مات والد ابراهيم . قبل ان يصل الى أرض كنعان المقصودة .
الرحلة الثانية : تختلف عن الرحلة السابقة بأمرين أحدهما ، ان هذه
 الرحلة كانت بأمر مباشر من الله تعالى ، والأمر الثاني : ان قائد هذه
 الرحلة هو ابراهيم عليه السلام لا أبوه لأنه توفي كما جاء في الرواية " وقال
 الرب لابرام اذهب من أرضك ومن عشيرتك (٢) ومن بيت أبيك الى الأرض التي
 أريك ، فأجعلك أمة عظيمة . وأباركك وأعظم اسمك وتكون بركة ، وأبارك
 مباركيك ولا عنك أئمنه . وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض . فذهب ابرام كما
 قال له الرب وذهب معه لوط . وكان ابرام ابن خمس وسبعين سنة لما خرج
 من حاران ، فأخذ ابرام ساراى امرأته ولوطا ابن أخيه ، وكل مقتنياتهما
 التي اقتنيا والنفوس التي امتلکا في حاران . وخرجوا ليذهبوا الى أرض كنعان
 فاتوا الى أرض كنعان " (٣) . وقد ارتحل ابراهيم ارتحالا متواصلا داخل أرض
 كنعان كما تقول الرواية غير أننا لم نعدنا من الرحلات الرئيسية التي انتقل
 فيها ابراهيم من أرض الى أرض أخرى جديدة .

الرحلة الثالثة : كانت رحلة اضطرارية حيث نزل بأرض كنعان جوع رحل بسببه
 ابراهيم ومن معه الى أرض مصر : " وحدث جوع في الأرض . فأنحد ابرام الى
 مصر ليتغرب هناك لأن الجوع في الأرض كان شديدا " (٤)

(١) تكوين ١١: ٣١-٣٢

(٢) قوله : " اذهب من أرضك ومن عشيرتك الخ " فيه مخالفة لما سبق أن قال ان
 تارح خرج بابراهيم ولوط وامراتيهما من أور الكلدانيين حيث توجد عشيرته
 الى أرض كنعان فأقام بحاران التي مات بها . فكيف يستقيم القولان معا ؟ .

(٣) تكوين ١٢: ١-٥

(٤) تكوين ١٢: ١٠

وكان ابراهيم عليه السلام هو قائد هذه الرحلة أيضا . وكان معه

لوط عليه السلام وزوجته كما في قوله : " فصعد أبرام من مصر هو وامرأته وكل

ما كان له ولوط معه الى الجنوب " (١) .

وبعد استعراض هذه النصوص التي تحدثت عن رحلات ابراهيم الثلاث ،

نعود لنقول : لماذا رحل ابراهيم من موطنه الأول الى أرض كنعان التي هي

المقصودة من رحلة والد ابراهيم الأولى ومن رحلة ابراهيم الثانية ، وهي المرجع

أيضا من رحلة ابراهيم الأخيرة الى مصر كما في الرواية ؟

هذه النصوص اليهودية لا تعطينا جوابا على هذا السؤال ، بل كل

ما يستفاد منها أن أرض كنعان كانت مقصد والد ابراهيم حينما رحل

بأهل بيته الى حاران ، فتوفي بها قبل اتمام الرحلة ، فأمر الرب ابراهيم

بمواصلة الرحلة نحو أرض كنعان ، فأتم بذلك ما بدأه أبوه تارح . ولا يستطيع

القارئ أن يعرف من نصوص سفر التكوين ما الذي دفع تلك الفئة الى الخروج

من وطنها الذي نشأت به ؟ ولما الهدف من التوجه الى تلك الأرض ؟

أكان في وطنهم ما أقلقهم وأزعجهم ، حتى ضاقت عليهم أرضهم بسبب

ذلك ؟ أم أنهم أرادوا الاستقلال بحياتهم في مكان يجدون فيه المناخ المناسب

لها ؟ هذا كله غير مذكور والنصوص اليهودية تحتل ذلك .

ولكن الذي يجيب على هذا السؤال هو كتاب الله تعالى العزيز الذي بين

لنا ان ابراهيم صاحب رسالة ودعوة ، وأنه لم يهاجر من وطنه الا بعد أن لقي

من قومه من العداء السافر والرفض القاطع لدعوته ما أدى الى هجرته . ولم

يكن والد ابراهيم هو قائد الهجرة في القرآن الكريم ، بل هو أحد الذين

هاجر ابراهيم من أجل مقاومتهم له ولدعوته .

وهذا موقف من مواقف بنى اسرائيل من الأنبياء ودعوتهم ، فانهم لم يذكروا

عنه الا المظاهر الدنيوية التي ملأت تفصيلاتها صفحات وفصولا من سفر التكوين .

وسنبين في هذا المبحث وبعده ما يبرز لنا دعوة ابراهيم ومكانته في القرآن الكريم

وذلك لاظهار تلك الجوانب المشرقة التي أسدل عليها اليهود ستور النسيان .

هجرة ابراهيم عليه السلام في القرآن الكريم وعلاقته برسبه

ان القرآن الكريم قص علينا في مواضع كثيرة من سوره قصص ابراهيم عليه السلام . فمن بين ما قصه علينا من ذلك انتقاله من أرض قومه الى أرض أخرى . ولم يمين تلك الأرض التي انتقل منها ، ولا تلك الأرض التي انتقل اليها . غير أنه وصف الأرض التي انتقل اليها وصفا يقوم مقام التمييز . ولقد عر القرآن الكريم عن انتقال ابراهيم من أرضه بالهجرة الى الله والذهاب اليه ، والاعتزال في ذات الله تعالى . لذا تطلب البحث هنا أن يكون مداره على أربعة أمور :

الأمر الأول : تعريف معنى الهجرة .

الأمر الثاني : بيان السبب الذي هاجر ابراهيم من أجله عليه السلام .

الأمر الثالث : بيان مهاجره عليه السلام .

الأمر الرابع : عقد المقارنة بين القصص القرآني وبين الرواية اليهودية في الأمور الثلاثة السابقة ، وهي الهجرة وسببها ، ومكانها .

تعريف معنى الهجرة :

قال في القاموس (١) : " والهجرة بالكسر والضم الخروج من أرض الى أخرى . وقال في المصباح المنير (٢) : " الهجرة بالكسر مفارقة بلد الى غيره . فان كانت قرية الى الله فهي الهجرة الشرعية " . وقال ابن الاثير (٣) : " الهجرة في الأصل : الاسم من الهجر ضد الوصل وقد هجره هجرا وهجرانا . ثم غلب على الخروج من أرض الى أرض ، وترك الاولى للثانية . يقال منه هاجر مهاجرة " (٤)

- (١) تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي .
- (٢) تأليف احمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي المتوفي سنة ٧٧٠هـ .
- (٣) هو الامام مجد الدين ابو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الاثير المولود سنة ٥٤٤ هـ والمتوفي سنة ٦٠٦هـ .
- (٤) النهاية في غريب الحديث والأثر ج ٥ ص ٢٤٤ طبعة عيسى البابي الحلبي الطبعة الاولى سنة ١٣٨٣هـ .

وقال الدامغانى (١) في تعريف معناها الشرعي : " الانتقال من بلد الى بلد آخر طلب سلامة الدين في طاعة الله تعالى " (٢) . وهذا المعنى الشرعي الذى ذكره الدامغانى رحمه الله هو المطابق لرحلة ابراهيم عليه السلام من أرض قومه . لأنه لم يهاجر بحثا عن المراءى والكلاء ، ولا طلبا للمال والمجاهد ، وانما هاجر طلبا لرضا ربه ، وسلامة دينه الذى هو أغلى من النفس والمال ، لأن فيه السعادة الأبدية .

ولقد أكد القرآن الكريم هذا المقصد الاسمى من رحلة ابراهيم عليه السلام في ثلاث آيات كريمات بعبارات مختلفة ، ومعاني مؤلفة ، فقال تعالى - وهو يحكى ما وقع بين ابراهيم وأبيه من جدال أدى الى اعتزال ابراهيم أباه وقومه في أسباب أخرى - ! " قال آراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى مليا . قال سلام عليك سأستغفر لك لى أنه كان بهى حفيا . واعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعور بهى عسى أن لا أكون بدعا ربى شقيا . فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا " (٣) .

والاعتزال المذكور هنا ليس مقتصرا على الهجر الذى هو ضد الوصل كما في عبارة أبى ابراهيم عند قوله : " واهجرنى مليا " وانما هو الهجرة الشرعية التى سبق تعريفها فان ابراهيم عليه السلام لا يتصور منه اعتزال قومه وعدم مخالطتهم وهو ساكن بينهم وان كان يتصور اعتزال ما كانوا يعبدون وهو فيهم . لأن النصح والارشاد يتطلبان ان يكون الناصح على صلة ما بمن ينصحهم . أضف الى ذلك شؤون الحياة التى تجمع بين ما اختلف على سبيل الاضرار . مثل الطرق العامة والمياه وغير ذلك مما لا توجد معه العزلة التامة .

(١) هو الفقيه المفسر الحسين بن محمد الدامغانى .
(٢) قاموس القرآن أو اصلاح الوجوه والنظائر تحقيق وترتيب عبد العزيز سيد الأهل الطبعة الثانية بدار العلم للملايين بيروت سنة ١٩٧٧ م ص ٤٧٩-٤٨٠ .
(٣) سورة مريم ٤٦-٤٩

وقال تعالى : " فأمن له لوط وقال انى مهاجر الى ربي انه هو العزيز الحكيم " (١) . وقال : " وقال : انى ذاهب الى ربي سيهدين " (٢) .
هكذا كانت رحلة ابراهيم هجرة في ذات الله تعالى . فقد ابتداءً
بهجرة ما نهى الله عنه من عادة الاوثان . ثم هجر أباه وقومه ، وهاجر من
أرضه طلباً لرضا ربه عز وجل .

بيان السبب الذى هاجر ابراهيم من أجله عليه السلام :

وأما سبب هجرة ابراهيم عليه السلام ، فقد ذكره القرآن وفصله تفصيلاً ،
وسين أن ابراهيم هاجر من أرض قومه بعد ان دعاهم الى سبيل الرشاد ،
ونهاهم عن عادة الأصنام التى بين لهم أنها لا تضر ولا تنفع ، ولا تنفع
عنهم شيئاً ، وقارعهم في ذلك بالحجج الدامغة . فلما لم يجد منهم القبول
والاستجابة أراد ان يثبت لهم أن معبوداتهم أضعف من أن تدفع عن نفسها
الضر فضلاً عن ان تنفع من يعبدها من دون الله . فعمد اليها في غيابهم
فحطمها تحطيماً لا كبيرها الذى تركه لحكمة رآها في مصلحة دعوته ليقول
لقومه حينما يسألونه عن فعل بآلهتهم ما فعل ان كبيرهم هذا هو الذى
فعل بتلك الالهة الصغيرة ما فعل ، وطلب منهم أن يسألوها ان كانوا
ينطقون وما كانوا ليسألوها وهم على يقين أنها لا تسمع ولا تبصرون ولا تنفع
ولا تضر . وبعد ارتباك وحيرة شديدة وتلاوم ، أخذتهم الحمية الجاهلية
فنادوا باحراقه والانتصار لآلهتهم التى لا تنتصر ، ولم يعلموا أنهم يحطمون
هذا يوم كدون عجز تلك الالهة وهوانها . فأوقدوا نارا عظيمة لاهراقه
فألقوه فيها . ولكن الذى بيده ملكوت كل شئ جعل النار على عبده ابراهيم
برداً وسلاماً ، فنجاه منها لم يمسه سوء فخرج منها منتصراً بما كانوا يريدون
الانتصار به لآلهتهم . هنالك عزم ابراهيم عليه السلام على الهجرة راجياً من
ربه الهداية والتوفيق الى المكان الذى يجد فيه الأمن لدينه ونفسه .

وفي بيان هذه المواقف التي أدت الى هجرته عليه السلام يقول الله

تعالى :

- ١ - " ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين . ان قال لا به وقومه : ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون ، قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين . قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين . قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين . قال : بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين وتالله لا أكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين . فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون ، قالوا : من فمسل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين . قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم . قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون . قالوا أنت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم ؟ . قال : بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون . فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون . ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون . قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم . أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون . قالوا خرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين . قلنا يا ناركونى بردا وسلاما على ابراهيم (٢) وأراد وابه كيد افجعلناهم الا خسرين . ونجيناه ولوطا الى الأرض التي باركنا فيها للعالمين (٣)

(١) جذاذا : أى قتاتا وقطعا .

- (٢) قال ظفر الاسلام خان : " ومن القصص التي يرويها التلمود أن نمرود الكافر عندما ألقى بابراهيم عليه السلام في النار ، تقدم جبرائيل امام الله يقول : " رب العالم أنا سوف أنزل الى الأرض وأبرد النار وأنقذ " الرجل الصالح " من كور النار " ولكن الله قال له : " انا الواحد في عالمي ، وهو الواحد في عالمه ، انه من واجب الواحد ان ينقذ الواحد الآخر . ولكن حيث ان الله لا يحرم احدا من بركاته وانعاماته ، قال لجبرائيل : انك تستطيع ان تنقذ ثلاثة من ذريتى (١) فيقول الخاخام سيمون الشيلونى عندما القى نبوخذ نصر الكافر الخاخاما هنانياه وميشائيل وأزاريا تقدم جركيمو امير البرد يطلب من الله السماح له باخام النار . ولكن جبرائيل قاطعه قائلا : " ان قوة الله ليست كذلك ، انك امير البرد وكل الناس يعرفون ان المياه تخدم النار ولكنى انا امير النار سأذهب واخمد النار في الداخل وأشعلها في الخارج . وسأقوم بمعجزة داخل معجزة " (التلمود ، تاريخه وتعاليمه ص ٨٠-٨١) ويؤخذ من هذا ان قصة ابراهيم بعضها مذكور في التلمود ولكن على طريقة اليهود الخاصة التي تشبه الحقائق . وما يجد والتنبيه عليه هنا ان كثيرا من المفسرين ذكروا أن هذه القصة عند تفسير الآية القرآنية التي تدل على ان ابراهيم القى في النار . وقالوا أن جبريل طلب من ربه ان يأذن له في انجاءه ، فقال له الرب انا الواحد في السماء الخ وهذا من زلات المفسرين عفا الله عنهم . سورة الانبياء ٥١-٥٦ .
- (٣)

٢ - وقال تعالى بعد أن ذكر نوحا عليه السلام ودعوته : " وان من شيعته لإبراهيم . إذ جاءه ربه بقلب سليم . إذ قال لأبيه وقومه : ماذا تعبدون ؟ أفكأ الهة دون الله تريدون ؟ وما ظنكم برب العالمين ؟ . فنظر نظرة في النجوم . فقال انى سقيم . فتولوا عنه مدبرين . فراغ (١) الى الهتهم فقال : ألا تاكلون ؟ ! ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين . فأقبلوا اليه يزفون (٢) . قال : اتعبدون ما تنحتون . والله خلقكم وما تعملون . قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم . فأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين . وقال انى ذاهب الى ربي سيهدين " (٣) .

٣ - وقال عز وجل : " وإبراهيم إذ قال لقومه اعدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون . انما تعبدون من دون الله آوثانا وتخلقون افكأ ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون . وان تكذبوا فقد كذب أم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين " (٤) .

وفي نهاية ما جاء في قصة إبراهيم مع قومه بعد هذه الايات قال تعالى : " فما كان جواب قومه الا ان قالوا قتلوه او حرقوه فأنجاه الله من النار ان في ذلك لآيات لقوم يوءنون . وقال انما اتخذتم من دون الله آوثانا مودة بينكم (٥) في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين . فآمن له لوط وقال انى مهاجر الى ربي انه هو العزيز الحكيم " (٦) .

(١) فراغ الى الهتهم : أى مال اليها سرا .

(٢) يزفون : أى يسرعون .

(٣) سورة الصافات ٨٣-٩٩

(٤) سورة المنكوت ١٦-١٨

(٥) (مودة بينكم) : أى لتتوادوا لاجتماعكم على عبادتها وعدم اختلاف بعضكم بعضا .

(٦) سورة المنكوت ٢٤-٢٦ .

هذه الآيات الكريمة بيّنت السبب الذي هاجر إبراهيم عليه السلام من أرض قومه من أجله . وهو طلب سلامة الدين ، وحرية عبادة رب العالمين . بعدما تعذر ذلك في تلك الأرض التي نشأ بها ، لشدة مقاومة قومه لدعوته ، كما تبين لنا ذلك من الآيات السابقة .

بيان مهاجرة عليه السلام :

إذا نظر القارىء أو الباحث في الآيات القرآنية التي تحدثت عن هجرة إبراهيم عليه السلام ، يجد فيها وصفاً للبلاد التي هاجر إليها عليه السلام بأنّها الأرض التي بارك الله فيها للعالمين كما في قوله : " ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين " وما المراد بتلك الأرض المباركة ؟ أما المراد بتلك الأرض المباركة ، فقد ذهب جمهور المفسرين (١) إلى أنها أرض الشام لأنّ الله بارك فيها ببعث الأنبياء فيها وكثرة خصبها وورقها . قال الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي رحمه الله فسق قوله تعالى : (ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) : " وهذه الآية الكريمة تشير إلى هجرة إبراهيم ومعه لوط من أرض العراق إلى الشام فراراً بدينهما . وقد أشار تعالى إلى ذلك في غير هذا الموضع : كقوله في " العنكبوت " (فآمن له لوط وقال اني مهاجر إلى ربي " الآية . وقوله في " الصافات " (وقال اني ذاهب إلى ربي سيهدين) على أظهر القولين . (٢)

(١) انظر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ١٨٤-١٨٥ وتفسير أبي السعود ج ٤ ص ٣٤٨ وتفسير الشوكاني ج ٣ ص ٤١٦ وتفسير النيسابوري ج ١٧ ص ٤٢ وكتاب التسهيل لعلوم التنزيل لمحمد بن أحمد بن جزى الكلبى الفرناط ج ٣ ص ٦٢ طبعته مطبعة الحضارة العربية بالقاهرة بتحقيق محمد عبد المصم اليونسى وإبراهيم عطوة عوض . وظلال القرآن للسيد قطب ج ٤ ص ٢٣٨٨ طبعته دار الشروق اللبنانية الثالثة سنة ١٣٩٩ هـ وتفسير أخرى كفتح البيان وتفسير القاسمى .

(٢) قوله رحمه الله على أظهر القولين : يشير به إلى ما جاء عن بعض المفسرين من أن الذى قال " اني مهاجر " هو لوط ولكنه قول مرجوح .

لأنه فار الى ربه بدينه من الكفار ، وقال القرطبي رحمه الله في تفسير قوله تعالى : " وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين " . " هذه الآية اصل في الهجرة والعزلة ، وأول من فعل ذلك ابراهيم عليه السلام ، وذلك حين خله الله من النار وقال : " اني ذاهب الى ربي " أي مهاجر من بلد قومي ومولدى ، الى حيث اتمكن من عبادة ربي " فانه سيهدين " فيما نويت الى الصواب . وما أشار اليه جل وعلا من أنه بارك للعالمين في الأرض المذكورة التي هي الشام على قول الجمهور في هذه الآية بقوله : " الى الأرض التي باركنا فيها للعالمين " بينه في غير الموضع ، كقوله : " وسليمان الريح عاصفة تجرى بأمره الى الأرض التي باركنا فيها للعالمين . وقوله تعالى : " سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله " الآية . ومعنى كونه (بارك فيها) هو ما جعل فيها من الخصب والأشجار والأنهار والثمار ، كما قال تعالى : " لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض " ، ومن ذلك انه بعث اكثر الأنبياء منها (١) وبهذا يعلم ان مهاجر ابراهيم عليه السلام هو بلاد الشام الشامي وصفها الله تعالى بأنه باركها في سورة الأنبياء في موضعين : الموضع الأول : وفي قصة ابراهيم عليه السلام . والموضع الثاني : في قصة سليمان عليه السلام . وكذلك ذكر تلك الأرض بأنها مباركة في سورة الاسراء حينما ذكر المسجد الأقصى الذى أسرى بعبده محمد صلى الله عليه وسلم اليه . وما لا شك فيه ان سليمان عليه السلام كان بأرض الشام . وكذلك المسجد الأقصى بأرض الشام . وكذلك قرى قوم لوط التى أهلكها الله تعالى/بأنها من أرض الشام . وتناسل ذرية ابراهيم من اسحاق كان أيضا بأرض الشام . وهذا كله يؤيد لنا ان الأرض التي هاجر اليها ابراهيم عليه السلام ، هي أرض الشام كما ذهب الى ذلك جمهور المفسرين ، وعلى ذلك دلت رواية أهل الكتاب كما سبق بيانها .

وأما الأرض التي هاجر منها ابراهيم عليه السلام ، فالقرآن الكريم لم يذكرها ، ولم يصفها لنا . ولعل الحكمة في ذلك أن الله سبحانه وتعالى وصف الأرض التي هاجر اليها ابراهيم بالبركة ليوجه النظر الى انه عوض نبيها خيرا مما فقد . وأما التي خرج منها فهي دار كفر ينبغى ان يهمل ذكرها ، لأنها أرض ميتة بالكفر . بخلاف الأرض التي هاجر اليها فهي حية بروح الايمان الذى توالى في ذرية ابراهيم عليه السلام .

عقد المقارنة بين القصص القرآني ورواية اليهود في شأن الهجرة وسببها :

القرآن الكريم كتاب هداية أنزله الله ليخرج الناس به من الظلمات الى النور . لذلك نراه لا يذكر من الأحداث إلا ما فيه العبرة . ولذلك أورد قصة ابراهيم عليه السلام ايرادا خاصا لا يلتقى مع رواية اليهود . فقد ذكر في بادئ الأمر أن ابراهيم ^{هداه} نبي الله الى الحق ، واستخلصه من بين قومه الذين يعبدون الأصنام ، وآتاه رشده ، وربط بين نعمة الهداية والنبوة التي من الله بهما عليه ، وبين الكفر والضلال الذى خيم على قومه ، بهراط الدعوة والنصيحة . فالنبوة خير وصلاح وهداية واصلاح . والكفر شر وفساد . ولا يجتمع الخير والشر في صعيد واحد فيتعايشان أضف الى ذلك أن النبوة إنما أريد بها مقارعة الشر والفساد ، وهداية الناس الى سبيل الرشاد . ولما كان ابراهيم نبيا في قومه ، وكان قومه على ما كانوا عليه من الضلال المبين ، قام ابراهيم بدعوتهم الى الحق المبين على النحو الذى مر ذكره في بيان سبب هجرته آنفا . وكانت دعوته قومه الى النجاة والسعادة الأبدية سببا لا لقاءه في النار . فما أبعد الفرق بين الموقفين ، موقف من يريد السعادة والنجاة لقومه ، وموقف قومه الذين يريدون اهلاك من سعادتهم على يده . ولقد عبر عن مثل هذا الموقف مؤمن آل فرعون كما حكى الله تعالى عنه ان قال لقومه :
”ويا قوم ما لى أدعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار . تدعونني لا أكون باله وأشرك بـه ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار“ (١) .

ومع تباين هذين الموقفين وتباعد ما بين الطريقتين ، فان الله تعالى بين لنا كيف كانت الصلة بين صاحب الدعوة الالهية وبين القوم الذين قامت من أجلهم الدعوة . ولكنهم رغبوا عنها وسفهاوا أنفسهم وآذوا صاحبهم الأئمين ، حتى أذن الله له بالهجرة فهاجر من أرضه ، وقد ترك خلفه أباه الذي بذل له من النصح ما خلده القرآن الكريم . وقد سبق ايضاح ذلك في الباب الثاني عند الحديث عن عقيدة آباء بنى اسرائيل (١) .

هكذا جاءت قصة ابراهيم عليه السلام في القرآن الكريم متناسقة مع قصة قومه ، مترابطة مع هجرته في سبيل الله تعالى .

وأما الرواية اليهودية ، فقد وضعت على نحو مخالف لما جاء في القرآن الكريم ، حيث خلت عن ذكر دعوة ابراهيم وكفر قومه ، وما جرى بينه وبينهم من مجادلات ومحاجات . مما يؤيد كد ان سفر التكوين الذي جاء فيه تلك الرواية وكذلك غيره من الاسفار المنسوبة الى موسى عليه السلام على أنها مما أوحي بها اليه على شكلها الذي هي عليه ، ليس لها أية صلة تربطها بالوحي الالهي . وانما هي كتب مكذوبة موضوعة اشتملت على الأوهام الباطلة والأمانى الكاذبة . فأراد الله ان يظهر بطلانها وزيفها فجاءت على النحو الذي هي عليه من البعد عن دعوة الايمان وشمائل الأنبياء .

فان قيل : كيف يكون عدم ذكر الشئ دليلا على بطلان ما ذكر لجواز

صحة ما ذكر وما ذكر؟ قيل : ان ابراهيم عليه السلام رسول الله الى قومه والرسول انما يذكرون برسالاتهم ودعواتهم . ولولا ذلك لما كان لذكرهم وجه . فدل هذا على ان الجانب المادى من حياتهم ذكرا تفصيليا مع ترك الجانب الايماني الذي يعتبر روح حياتهم ، دليل على بطلان الرواية اليهودية .

ومما يؤيد كد ذلك أنهم ذكروا في روايتهم ان تارح والد ابراهيم هو الذي خرج بابنه ابراهيم من أور الكلدانيين قاصدا أرض كنعان ، ولكنه مات في هاران التي اقام بها فترة من الزمن . ثم قام ابراهيم باتمام الرحلة التي بدأها أبوه حيث وصل الى أرض كنعان .

(١) انظر الايات ٤١-٥٠ من سورة مريم والاية ٤ من سورة الانعام .

وهذا في غاية البطلان ، فان ابراهيم عليه السلام قد تبرأ من أبيه وقومه ، ولم يهاجر من بلده الا وقد أيقن أن اياه عدو لله ، وأنه ممن ناصبه العداء ، وتوعده بالآذى ، وطلب منه ان يعتزله ، أو يترك ما يدعوا اليه من الحق كما حكى الله ذلك بقوله : " قال أرغب انت عن آلهتي يا ابراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا " فأجابه ابراهيم اجابة فيها الفرق والأدب والحرص على هداية أبيه : " قال سلام عليك سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا . واعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعوربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا " ، فذلك هذه الآيات على ان اياه كان من جملة الكفار الذين هاجر ابراهيم طلبا للسلامة من أذاهم ، وأنه طلب منه ان يعتزله ويهجره ، فاعتزلهم ابراهيم عليه السلام بأن هاجر من أرضهم قال تعالى : " فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله ، وهبنا له اسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا " . وتؤكد هذا السمعنى آية قرآنية أخرى حيث يبين الله سبحانه وتعالى ان ابراهيم عليه السلام حينما أيقن أن اياه ممن حق عليهم القول بعدم الهداية ، وتأكد انه عدو لله تبرأ منه قال تعالى : " فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لاواه حليم " (١) .

فكيف يصح أن يكون أبوه هو الذى خرج بابراهيم من أرض قومه ؟ بل كيف يصح ان يكون أبوه في جملة من هاجر مع ابراهيم ، فابراهيم انما هاجر مع من آمن به من قومه ؟ ولقد كانت بين فريق المؤمنين بامامة ابراهيم ، وفريق الكافرين الذين كان أبوه منهم ، مقاطعة شديدة أعلنها ابراهيم ومن معه من المؤمنين : قال تعالى في بيان ذلك : " قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم وما تعبدون من دون الله كفرننا بكم ، وبدأ بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده " (٢) .

فدل هذا على ان الرحلة رحلة ايمانية اقتضت على المؤمنين . ولم يكن أبوه من المؤمنين حتى يكون معه ، في هجرته الايمانية . وأما ما جاء في الرواية اليهودية من أن ابراهيم رحل الى مصر بسبب مجاعة حلت بأسر كنعان ، فان القرآن الكريم لم يذكرها لأن القرآن لم يذكر من رحلة ابراهيم الا ما كان في سبيل دينه وعقيدته كما سبق توضيح ذلك . وأما الرواية اليهودية فقد جعلت رحلات ابراهيم كلها رحلات معشوية بحتة .

علاقة ابراهيم بالرب من سفر التكوين :

يروى سفر التكوين كثيرا من صلات ابراهيم بالرب . وذلك منذ أن أمره بمفادرة حاران الى الأرض التي يريها . فقد ظهر له عدة مرات ووعدته أن يبارك نسله ويورثه أرض كنعان . وليس في هذه العلاقة ما يصل نفعه الى الآخرين حسب الرواية اليهودية ، ولكنها علاقة خاصة غير واضحة المعالم ، وان كانت مرتكزة على الوعود بالبركة ووراثه الأرض . ولا يظهر في هذه العلاقة أي اثر للتشريع سوى مسألة ايجاب الختان على كل ذكر من نسل ابراهيم على صورة معاهدة تمت بين ابراهيم وربه على ان يعطى الله كل أرض كنعان لابراهيم ونسله الذي سيباركه ويكثر عدده كجود السماء . ويقوم ^{ابراهيم}مقابل ذلك بختان كل ذكر من أهل بيته وخدمه . واليك بيان تلك النصوص فيما يأتي :

النصوص المتضمنة للوعد الالهي :

- ١ - " وقال الرب لابرام : اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك الى الأرض التي أريك فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك وتكون بركة وأبارك مباركك ولا عنك ألعنه وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض " (١)

٢ - " وظهر الرب لأبرام وقال لنسلك أعطى هذه الأرض فبنى هناك مذبحا للرب الذي ظهر له " (١) .

٣ - " وقال الرب لأبرام بعد اعتزال لوط عنه : ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا . لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيتها ولنسلك الى الأبد ، وأجعل نسلك كثرة الأرض حتى اذا استطاع احد ان يمد تراب الأرض فنسلك أيضا يمد ، ثم امش في الأرض طولها وعرضها لأنني لك أعطيتها " (٢) .

٤ - " بعد هذه الأمور صار كلام الرب الى أبرام في الرؤيا قائلا : لا تخف يا أبرام أنا ترس لك أجرك كثير جدا ، فقال أبرام : أيها السيد الرب ماذا تعطيني وأنا ماض عقيما ومالك بيتي هو أليمازور الدمشقي . وقال أبرام أيضا : انك لم تعطني نسلا وهوذا ابن بيتي وارث لي . فاذا كلام الرب اليه قائلا : لا يرثك هذا بل الذي يخرج من أحشائك هو يرثك . " في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقا قائلا : لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات " (٣) .

٥ - ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لأبرام وقال له : أنا الله القدير سرأامي وكن كاملا ، فأجعل عهدي بيني وبينك وأثبرك جدا . فسقط أبرام على وجهه . وتكلم الله معه قائلا : أما أنا فهذا عهدي معك وتكون أبا لجمهور من الأمم . فلا يدعى اسمك بعد أبرام بل يكون اسمك ابراهيم لأنني أجعلك أبا لجمهور من الأمم وأثبرك كثيرا جدا وأجعلك أمما وملوك منك يخرجون . وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهدا أبديا لا يكون اله لك ولنسلك من بعدك ، وأعطى لك ولنسلك من بعدك أرض غربيك كل أرض كنعان ملكا أبديا وأكون الههم " (٤) .

(١) تكوين ١٢: ٧ (٢) تكوين ١٣: ١٤-١٧ (٣) تكوين ١٥: ١-٤

(٤) تكوين ١٧: ١-٨

هذه النصوص الخمسة صريحة في دلالتها على أن الوعد الالهى لابراهيم

ينحصر في ثلاثة أمور :

الأمر الأول : تعظيم اسمه : " وأعظم اسمك " . وهو لم يتكرر كما تكرر غيره من الوعد .

الأمر الثاني : الوعد بميراث أرض كنعان له ولنسله من بعده ، وهو وعد متكرر .

الأمر الثالث : الوعد بتكثير نسله بحيث يتمذر عده بسبب الكثرة ، وتشبيه تلك

الكثرة بنجوم السماء التي يصعب احصاؤها ، وشراب الأرض أيضا . وقد

تكرر هذا الوعد لابراهيم أيضا في أماكن أخرى من سفر التكوين .

وهذان الوعدان وهما وعد الله باقتلاك الأرض ، ووعد بتكثير النسل ، عام

لذرية ابراهيم كما يفهم من دلالة هذه النصوص وغيرها ، ولكن اليهود أرادوا

أن يخصصوا بهذا الوعد بعض ذرية ابراهيم ، فجعلوا اسحاق هو الوارث

الشرعي لابراهيم من بين أبنائه الذين ذكروهم في أسفارهم وعلى رأسهم

اسماعيل عليه السلام . ثم حصروا هذا الوعد في أحد ولدى اسحاق وهو

يعقوب لأنه أبو بنى اسرائيل . ولكن التاريخ لا يؤيد هذا الادعاء ،

كما أن نصوصهم أيضا تناقض موقفهم هذا . وسيأتي الكلام على هذه المسألة

في بيان موقفهم من اسماعيل عليه السلام .

الميثاق بين الرب وابراهيم عليه السلام حسب رواية اليهود :

ان الوعد الالهية التي دلت عليها النصوص السابقة لم تكن دون مقابل

حسب رواية سفر التكوين ، فان نصوصا أخرى دلت على ان ذلك مرتبط بأمرين

يقوم بتنفيذهما ابراهيم ليحقق له ولنسله هذا الوعد وهما :

الأول : أن يستقيم ابراهيم في سلوكه كما يريد الله منه " أنا الله القدير سرأما مي

وكن كاملا فأجعل عهدى بينى وبينك "

الثاني : وهو الأهم الذى تم عليه الميثاق المؤكد . الختان في ذريته وكل من

انتمى اليه من خدم من الذكور " وقال الله لابراهيم : وأما أنت فتحفظ

عهدي أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم . هذا هو عهدي الذي تحفظونه
بينى وبينكم وبين نسلك من بعدك : يختن منكم كل ذكر فتختنون في لحم
غرلتكم . فيكون علامة عهد بينى وبينكم . ابن ثمانية أيام يختن منكم كل
ذكر في أجيالكم . وليد البيت والمبتاع بفضة من كل ابن غريب ليس من نسلك ،
يختن ختانا . وليد بيتك والمبتاع بفضتك فيكون عهدي في لحمكم عهدا
أبديا . وأما الذكر الأغلف الذى لا يختن في لحم غرلته فتقطع تلك النفس
من شعبها انه قد نكث عهدي" (١) .

وبعد أن أخذ الرب هذا الميثاق من ابراهيم بادر ابراهيم بتحقيق
ما طلب منه في الميثاق " فأخذ ابراهيم اسماعيل ابنه وجميع ولدان بيته
وجميع المبتاعين بفضته كل ذكر من أهل بيت ابراهيم وختن غرلتهم فسي
ذلك اليوم عينه كما كلمه الله . وكان ابراهيم ابن تسع وتسعين سنة حين ختن
في لحم غرلته . وكان اسماعيل ابنه ابن ثلاث عشرة سنة حين ختن في لحم
غرلته . في ذلك اليوم عينه ختن ابراهيم واسماعيل ابنه . وكل رجال بيته
ولدان البيت والمبتاعين بالفضة من ابن الغريب ختنوا معه " (٢) .

هكذا كان الميثاق ، وهكذا بادر ابراهيم بالتنفيذ . كما تقول الرواية .

ولكن الذى يستدعي هنا توجيه النظر اليه . هو كون هذا الميثاق ميثاقا ماديا
يتعلق بقطع لحم الغرلة : " فيكون عهدي في لحمكم " وهو أمر لا يستساغ .
فان الله سبحانه وتعالى يشرع لعباده ويفرض عليهم من الأمور حسب مقتضيات
حكيمته والختان أحد تلك الأمور المشروعة وليس هو كل شئ . والميثاق الالهى
انما يتعلق بما شرع للناس من الدين الحق بصفة كلية لا بصفة جزئية . فأين ما
طلب من ابراهيم القيام به من الواجبات الأخرى في الاعتقاد والعبادات والمعاملات ؟
أضف الى هذا أن الوعد الالهى في مقابل التمسك بدينه والحفاظ على عهوده ومواثيقه
أكرم وأجل من أن يقتصر على المتاع الدنيوى الرخيص ، بل يشمل الحياة الطيبة
في الدنيا ، والسعادة الأبدية في الدار الآخرة . هذا ما قصه الله علينا في القرآن
الكريم وسيأتى توضيحه قريبا ان شاء الله تعالى .

البحث الرابع

موقفهم من حياة ابراهيم الخاصة ومناقشة ذلك

زعمهم انه تاجر بعرضه :

موقف بنى اسرائيل من حياة ابراهيم الخاصة لا يخلو من انتقاص ، ذلك الانتقاص قد لا يقصدون به الاساءة الى أبيهم الكبير الذى يفتخرون بالانتساب اليه ، ولكنهم لا يرونه منقصة وانما يرونه منقبة ينبغى أن تكون جزءاً من حياتهم ، لأنها من تقاليد الآباء التى ينبغى عليهم التمسك بها . ومرد ذلك كله ضعف الوازع الدينى فى نفوسهم حتى أصبحوا يتفاخرون بالحيل والخداع ، والروغان ، غير متقيدين بشريعة تنهاهم وتأمروهم . فوصفوا من أجل ذلك أولئك الانبياء الأبطال بصفات لا تتناسب مع مكانتهم العلية ، بل تلائم حياة اليهود المنطلقة من كل قيد يربطهم بالفضائل ليمروا ما يرتكبونه من الجرائم والأعمال المخلة بالمروءة بأنها من تقاليد الآباء الكرام . ومن أهم المواقف التى وقفوها عن ابراهيم فى حياته الخاصة بمسند تجاهل رسالته ودعوته ، زعمهم أنه يتاجر بعرضه جاء ذلك فى سفر التكوين حيث قال :

" وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراي امرأته انى قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر (١) . فيكون اذا رآك المصريون أنهم يقولون : هذه امرأته فيقتلوننى ويستبقونك . قولى : انك أختى ليكون لى خير بسببك وتحيا نفسى من أجلك . فحدث لما دخل أبرام الى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جدا ، ورآها رؤساء فرعون ومدحونها لدى فرعون . فأخذت المرأة الى بيت فرعون فصنع الى ابرام خيرا بسببها ، وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد واما وأتن وجمال . فضرب الرب فرعون وبنيته ضربات عظيمة بسبب ساراي امرأة

(١) ذكر ظفر الاسلام خان نقلا عن الأديب العبرى أن التلمود قال عن سارة : " ان جمالها أضاء العالم حينما فتح ابراهيم الصندوق الذى كانت فيه أمام رجال الجمر المصريين - التلمود وتاريخه وتعاليمه ص ٨٣ .

أبرام . فدعا ابرام وقال ما هذا الذى صنعت بي ؟ لماذا لم تخبرني أنها امرأتك ؟ لماذا قلت هي أختي ؟ حتى أخذتها لتكون زوجتي ، والان هوذا امرأتك . خذها وانهب . فأوصى عليه فرعون رجالا فشيّعوه وامراته وكل ما كان له" (١) .

وفي حادثة أخرى مماثلة لهذه التي وقعت في مصر . يقول سفر التكوين : " وانتقل ابراهيم من هناك (٢) الى أرض الجنوب وسكن بين قادش وشور وتغرب في جرار (٣) . وقال ابراهيم عن سارة امراته هي أختي . فأرسل أبيمالك ملك جرار وأخذ سارة . فجاء الله الى أبيمالك في حلم الليل وقال له : ها أنت ميت من أجل المرأة التي أخذتها ، فانها متزوجة ببعيل ، ولكن لم يكن أبيمالك قد اقترب اليها . فقال يا سيد أيتها بارة تقتل ألم يقل هولبي أنها أختي ؟ وهي أيضا نفسها قالت : هو أختي . بسلامة قلبي ونقاوة يدي فعلت هذا . فقال له الله في الحلم : أنا أيضا علمت أنك بسلامة قلبك فعلت هذا . وأنا أيضا أمسكتك من أن تخطئ ، الى ، لذلك لم أدعك تسميها ، فلان رد امرأة الرجل فانه نبي فيضلي لا يهلك فتحيا . وان كنت لست تردّها فاعلم أنك موتا تموت أنت وكل من لك . فبكّر أبيمالك في القد ودعا جميع عبيده وشكّم بكل هذا الكلام في سامعهم . فخاف الرجال جدا . ثم دعا أبيمالك ابراهيم وقال له : ماذا فعلت بنا ؟ وبماذا أخطأت اليك حتى جلبت علي وعلى مملكتي خطية عظيمة ؟ أعمالا لا تعمل عملت بي . وقال أبيمالك لابراهيم : ماذا رأيت حتى فعلت هذا الشئ ؟ . فقال ابراهيم : اني قلت : ليس في هذا الموضوع خوف الله البتة فيقتلونني لأجل امرأتي . وبالحقيقة أيضا هي أختي

(١) تكوين ١٢: ١١-٢٠

(٢) " من هناك " أى من بلوطات مرا التي في حبرون انظر تكوين ١٣: ١٨ و

١٣ و ١٨: ١

(٣) جرار تسمى اليوم أم جرار ، وتقع جنوبي غزة وشرقي خان يونس بفلسطين

انظر موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية ج ٨ ص ٦٠

ابنة * أبي غير أنها ليست ابنة أمي . فصارت لي زوجة . وحدث لما أتاهني
الله من بيت أبي أني قلت لها هذا معروفك الذي تصنعين الى . في كل مكان
نأتى اليه قولي عنى هو أخى . فأخذ أبيمالك غنما وبقرا وعبدا وامساء وأعطاها
لابراهيم ورد اليه سارة امرأته . وقال له أبيمالك : هوذا أرضى قدامك اسكن
فى ما حسن فى عينيك وقال لسارة : انى قد أعطيت أخاك الغنا من الفضة .
ها هو لك غطاء عين من جهة كل ما عندك وعند كل واحد فأنصفت . فصلى
ابراهيم الى الله فشفى الله أبيمالك وامرأته وجوذريه فولدن . لأن الرب كان
قد أغلق كل رحم لبيت أبيمالك بسبب سارة امرأة ابراهيم " (١) .

ان هذين النصين يصفان ابراهيم بثلاث صفات قبيحة . وهى :
الجبن وعدم الخير ، والعرض على كسب المال بتعريض زوجته للفاحشة . وهذا
يتعارض مع ما جاء فى هذا النص الأخير الذى صرح أن ابراهيم نبي ،
وذلك عند قول الرب لا أبيمالك : " فالآن رد امرأة الرجل فإنه نبي فيصلو
لا جلك فتحيا " . وهذه الخصال الثلاثة فى غاية الشناعة ، والبعد عن مقام
النبوة الذى هو أعلى المقامات الانسانية وأشرفها .

ولقد أدى هذا الاعتداء اليهودى على مقام النبوة الى ان رمى أحد
كتاب النصارى ، وهو مؤلف كتاب السنن القويم (٢) - روى ابراهيم عليه
السلام بالجبن وضعف الايمان حيث قال : " أتى ابراهيم مثل هذا فى مصر
منذ نحو عشرين سنة . ووجهه فرعون على ذلك لكنه أطلق سارة بهدايا كثيرة .
ونرى من الآية الثالثة عشرة أن هذا السكذب كان علة اضطراب لهما . ومع
ذلك لم ينتبه ابراهيم لكونه أخطأ به . والظاهر ان ارتكابه اياه كان جينا ،
فانه كان رئيس جند كبير رجاله متدربون فى الحرب ، ومع ذلك عرض امرأته للخطر ،
واستعان بالخداع . وهذا من ضعف ايمانه " (٣) .

(١) تكوين ٢٠ بكامله

(٢) مؤلف كتاب السنن القويم هو القس وليم مارش .

(٣) السنن القويم ج ١ ص ١٤٧ .

إذا كان إيمان إبراهيم ضعيفا ، كما زعم الكاتب ، وكان إبراهيم موصوفا بالجبن والكذب والخداع ، فكيف وصفته الأسفار اليهودية بالبر والكمال وبأنه خليل الله ؟ وذلك حيث قال في سفر التكوين : " أنا الله القدير سرأماوى وكن كاملا " (١) . " الست انت الهنا الذى لرد سكان هذه الارض من أمام شعب اسرائيل وأعطيتهما لنسل إبراهيم خليلك الى الأبد " (٢) .

" وأما أنت يا اسرائيل عدى يا يعقوب الذى اخترته نسل إبراهيم خليلي . . . " (٣) فكيف يوصف خليل رب العالمين بالكذب والخداع وضعف الايمان ؟ .

وإذا عدنا الى المقارنة بين الحادثتين اللتين رويتا في سفر التكوين في شأن سارة ، نجد أنهما تختلفان في أمور :

الأمر الأول : ان فرعون قد اتخذ سارة زوجة له حسب الرواية اليهودية " فأخذت المرأة الى بيت فرعون فصنع الى أبرام خيرا بسببها . وصار له غنم ومقر وحمير وعبيد وأما واتن وجمال " ولم يعلم فرعون أنها زوجته الا بعد فترة . وأما ملك جرار فقد علم بالأمر قبل أن يمسه : " ولكن لم يكن أبيمالك قد اقترب اليها " لذلك لم يضمها الى نسائه ولم تقم عندة مدة طويلة .

الأمر الثاني : ان فرعون عوقب على أخذها من إبراهيم " وضرب الرب فرعون وبنيته ضربات عظيمة بسبب ساراي امرأة أبرام " وأما ملك جرار فلم يعاقب بضربات مماثلة لأنه لم يمسه .

الأمر الثالث : ان فرعون لم يعلم أن ساراي زوجة إبراهيم الا بسبب العقوبة التى تعرض لها هو وأهل بيته . وأما أبيمالك ملك جرار فقد علم ذلك بسبب الرؤيا التى رآها : " فجاء الله الى أبيمالك فى حلم الليل وقال له : ها أنت ميت بسبب المرأة التى أخذتها فانها متزوجة ببعل " .

الأمر الرابع : ان فرعون أعقد على ابراهيم الأموال الكثيرة بعد أن اخذها منه ظنا منه أنها اخته . وذلك فيما يبدو اكراما للاخ ومكافأة له . وأما أبيمالك فلم يفعل ذلك حسب ما جاء في الرواية بل أعطاه المال وأكرمه بعد ان علم أنها زوجته .

الأمر الخامس : ان فرعون أخرج ابراهيم من مصر بعد ان علم بالأمر وهو غاضب ، وأبيمالك أكرم ابراهيم بعد ما تبين له الأمر كما أكرم سارة بمطايا وعاتبه عتابا كريما لعدم صدقه معه في أمر زوجته ، وأذن له ان يسكن في أى مكان يشاء من أرضه .

الأمر السادس : ان ابراهيم حينما وضعه فرعون على اخفاء أمر الزوجية عنه لم يقل له ان سارة أخته حقيقة . وأما في قصة أبيمالك فانه أخسره بعد عتاب أبيمالك أنها اخته حقيقة أيضا ؛ وبالحقيقة أيضا هى أختى ابنة أبي غير أنها ليست ابنة أمى فصارت لى زوجة * وعلى هذا يكون ابراهيم لم يكذب فيما قال لكلا الرجلين . ورميه بالكذب ليس الا حجة على أبيمالك .
الله وطعنا في مقامهم الرفيع .

وانا عدنا الى دراسة هاتين القصتين . من الناحية العقلية ، نجد أن هاتين القصتين يستبعد وقوعهما في تلك السن التى كانت لسارة عند وقوعهما حسب الطبائع البشرية فانها كانت تبلغ من العمر نحو سبعين سنة . حينما اخذها فرعون (١) . وحينما أخذها أبيمالك بعد ذلك كانت تبلغ نحو تسعين سنة . لأن الحادثة الأخيرة وقعت بعد الأولى بنحو عشرين عاما (٢) . فكيف يعقل ان تكون سارة محلا لرغبة الملوك وهى في تلك السن

(١) انظر السنن القويم ج١ ص ١١٣

(٢) انظر السنن القويم ج١ ص ١٤٧ .

من حياتها ؟ انه لا أمر يدعو الى الاستغراب (١) .

وفي قصة أبيمالك تناقض ظاهر : وذلك بسبب دلالة أول القصة على خلاف ما تدل عليه نهايتها . فان الرواية في البداية دلت على أن أبيمالك رد سارة الى ابراهيم ولم يصبه أى عقاب لأنه لم يقربها كما قال : " ولكن لم يكن أبيمالك قد اقترب اليها . . . فقال له الله في الحلم : أنا أيضا علمت أنك بسلامة قلبك فعلت هذا . وأنا أيضا امسكتك عن أن تخطي* الى . لذلك لم أدعك تسمها . فالآن رد امرأة الرجل فانه نبي فيصلى لأجلك فتحيا . وان كنت لست تردّها فاعلم أنك موثا تموت " . وهذا يدل على أنه توعّد بالعقاب ان لم يردّها : " فأخذ أبيمالك غنما وبقرا وعبيدا واما* وأعطاها لابراهيم ورد اليه سارة " . وهذه بداية القصة فقد دلت على أن أبيمالك لم يرتكب خطأ ، وان الله عصم سارة من وصوله اليها وأن الله لم يعاقب أبيمالك بل حذره من استيقا* سارة وعدم ردّها لابراهيم . فردّها وأحسن الى ابراهيم واليها .

وأما نهاية القصة فقد دلت على أن سارة بقيت عند أبيمالك زمنا طويلا وأن الله عاقبه ، وعاقب امرأته وجواريه بالعقم مدة بقاء سارة عنده . وعندما أعادها دعا له ابراهيم ، ورفع الله العقاب عنه ، فولدت امرأته وجواريه : " فصلى ابراهيم الى الله ، فشغى الله أبيمالك وامرأته وجواريه فولدن . لأن الرب كان قد أغلق كل رحم لبيت أبيمالك بسبب سارة امرأة ابراهيم " .

(١) كان ابراهيم يقيم في بلوطات مرا بحبرون عندما بشر باسحاق وكان ذلك عند مجي* الملائكة لاهلاك قرية لوط وجاء في البشارة أن سارة سيكون لها ولد خلال سنة من تاريخ البشارة . وبعد هذه البشارة انتقل ابراهيم الى ارض الجنوب وسكن . بين قادش وتغرب في جرار . فهناك أخذ أبيمالك زوجته سارة ثم أعادها قبل أن يمسيها . ثم ولدت سارة اسحاق في الموعد المحدد في البشارة . وكانت سارة تبلغ من العمر تسعين سنة حينما ولدت اسحاق أي انها في التسعين من عمرها عندما استولى عليها أبيمالك أي في سنة البشارة وقد يكون ذلك أثناء الحمل . فكيف شغف أبيمالك بجمال سارة وهي في التسعين من عمرها ؟ ان هذا لشيء عجيب ! غير أنني أعود فأقول : اذا صحت الرواية في أصلها فقد يكون السبب في ذلك أن الله أعاد الى سارة نضارة شبابها وحيويتها حينما بشرها بالولد لتفقد للحمل والولادة والارضاع .

ليس من الممكن أن توصف امرأة ما برئتها أسكت عن الولادة أو أصبحت بالمعقم إلا بعد مضي فترة طويلة تعد بالسنين لا بالشهور . فعليه فان اصابة آل بيت أبيمالك بالمعقم بسبب سارة ما ثبتت الا بعد بقائها لديه فترة عرف فيها أنهم أصيبوا بالمعقم . فلما أعادها ودعا له ابراهيم فتح الله كل رحم كان قد أغلق في بيت أبيمالك !

ثم اذا نظرنا نظرة أخرى الى القصتين ، نرى أن العقوبة التي حلت بفرعون وآل بيته وكذلك ما نزل بأبيمالك ، ليس له ما يبرره ، لأن ابراهيم أخبر الرجلين أنها اخته وأكدت سارة ما قاله ابراهيم . ولم يرد في الرواية ما يدل على أن الملكين أخذوا سارة قسرا ، بل ورد فيها ما يدل دلالة واضحة على ان الرجلين أخذوا سارة أخذا لا اكراه فيه ولا مكروه بموافقة من أخى المرأة ورضاه العلنى . فكيف يعاقبان على أمر لم يقدم عليه الا بعدما تأكدا أنه ليس للمرأة زوج ، وأن كلا منهما أى الأخوين قد وافقا على طلب الملكين ؟ والا فليس هنا أن يعاقب الأخوان اللذان أخفيا الحقيقة الزوجية ، وأعلنا خلاف ذلك .

والذى يستخلص من هاتين الروایتين وما شابههما من الروايات الواردة في أسفار اليهود ما يدل على جواز التفريط في العلاقات الزوجية والتجارة بها ، أنها قد صيغت عمدا ليأخذ اليهود ذلك ذريعة الى الوصول الى أهدافهم بتقديم نسائهم بضاعة رخيصة لمن يرغبون في الوصول الى وده أو الكيد به . ولهذا شواهد كثيرة في أسفارهم (١) وتاريخهم الطويل مع الأمم في شرقها وغربها .

(١) وما جاء في أسفارهم من ذلك قولهم : ان اسحاق عليه السلام قال لزوجته انها اخته وذلك في جرار خوفا من ان يقتله أهلها ان عرفوا أنها زوجته لأنها حسنة المنظر وبعد مقام طويل اكتشف أمره : " وحدث ان طالت الايام هناك أن أبيمالك ملك الفلسطينيين أشرف من الكوة ونظروا اذا اسحاق يلعب رفقة امرأته ودعا أبيمالك اسحاق وقال انما هي امرأتك فكيف قلت هي أختي . . . لولا قليل لاضطجع أحد الشعب مع امرأتك فجلبت علينا ذنبا . فأوصى أبيمالك جميع الشعب قائلا : الذى يمس هذا الرجل او امرأته موتا يموت " (تكون ٢٦ : ٨ - (١)) .

ومن أراد الوقوف على جلية الأمر في هذا ، فليقرأ سفر أستير ، أحد الأسفار المقدسة لدى اليهود والنصارى . وهو سفر يدعى باسم المرأة اليهودية أستير التي زج بها اليهود الى بلاط الملك المجوسى في فارس ، حتى وصلت الى قلبه ونالت رضاه ، فأصبحت زوجته ، وبعد أن استوثقت من حبه وطاعته اياها مهما طلبت ، استصدرت منه أمراً يقضى بالاستيلاء على بيت كبير قواده هامان ، فقتلوا وسلطوا اليهود على الشعوب ، بأن منحهم سلطات قتلوا بها عددا لا يحصى من النفوس انتقاما لليهود الذين قتلوا في فارس . فاليهود يؤمنون بالوسيلة مهما كانت قدرة اذا كانت تؤدى الى الغاية التي ينشدونها . ولذلك ينتقلون من دين الى دين لغرض الفساد والا هلاك ولذلك تواصلوا في أيام النبي صلى الله عليه وسلم قائلين : " آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون " (١)

*

مناقشة هذه القصة على ضوء النصوص الاسلامية

لم يرد في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية ما يدل على ان ابراهيم عليه السلام قام بتلك الرحلة المذكورة الى مصر ، ولم يرد فيها ما ينافي ذلك . الا ان الثابت في السنة ان ابراهيم عليه السلام هاجر بزوجه سارة فدخل بها قرية فيها ملك من الجبابرة : فأرسل الى ابراهيم يطلب سارة ، فأرسل بها ابراهيم اليه فلما أراد ان يصل اليها قامت تتوضأ ، وتصلى ، وتدعو ربها ان يحول بينها وبين وصول ذلك الكافر اليها ، فنجأها الله بأن اصابه بالصرع حتى صار ينتفض برجليه ، فأطلقها . ولم يأت في السنة تعيين لذلك البلد أو القرية التي هاجر اليها ابراهيم . وفي رواية أخرى صحيحة ان ذلك الجبار بعدما رأى ما ناله بسببها أطلقها ومنحها جارية وهي هاجر أم اسماعيل عليه السلام . وتذكر الروايات الصحيحة ان ابراهيم قال عن سارة انها اخته وطلب منها ان تقول مثل ما قال .

واليك بيان بعض تلك النصوص :

- ١ - روى الامام البخارى في صحيحه عن طريق أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " هاجر ابراهيم بسارة . دخل بها قرية فيها ملك من الملوك أوجبار من الجبابرة ، فأرسل اليه أن أرسل الى بها . فأرسل بها . فقام اليها ، فقامت تتوضأ وتصلو فقالت : اللهم ان كنت آمنت بك وبرسولك فلا تسلط على الكافر ففط حتى ركض برجليه " (١) .
- ٢ - وروى البخارى أيضا عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لم يكذب ابراهيم عليه السلام الا ثلاث كذبات (٢) ، اثنتين منهن في ذات الله عز وجل : قوله " انى سقيم " وقوله : " بل فعله كبيرهم هذا " وقال : بينما هو ذات يوم وسارة ان أتى على جبار من الجبابرة ، فقيل له ان ههنا رجلا معه امرأة من احسن الناس ، فأرسل اليه فسأله عنها فقال : من هذه ؟ قال : أختى . فأتى سارة قال : يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيرى وغيرك وان هذا سألتى عنك فأخبرته أنك أختى ، فلا تكذبنى . فأرسل اليها ، فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ . فقال ادعى الله لي ولا أضرك ، فدعت الله فأطلق . ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أوأشد ، فقال : ادعى الله لي ولا أضرك ، فدعت فأطلق فدعا بعض حجبته فقال : انكم لم تأتونى

(١) صحيح البخارى . كتاب الاكراه باب اذا استكرهت المرأة على الزنا فلا حد عليها .

(٢) هذه الكذبة المنسوبة الى ابراهيم ليست مما ينافى العصمة لأنه لم يقصد بها ما يتبادر الى ذهن السامع ففي الاولى أراد انه سقيم بسبب ما عليه قومه من عبادة غير الله تعالى ولا شك أن توجع الانبياء من كفر أقوامهم سببه يتوجع المريض أو هوأشد . وفي الثانية أراد التوبيخ والتهمك ولذلك قال بعده " فاسألوهم ان كانوا ينطقون " أى ان كانوا ينطقون فكبيرهم فعل . فلم يتحقق المشروط وهو فعل كبيرهم لعدم تحقق الشرط وهو نطق الالهة المحطمة فتبين ان هذا ليس كذبا بالحقيقة وانما هو كذب في اعتقاد السامع . وأما الثالثة فقد بين الحديث مراد ابراهيم . نقل هذا ابن حجر في الفتح عن ابن قتيبة ج ٦ كتاب الانبياء عند شرح الحديث الاول .

بأنسان ، انما أتيتمونى بشيطان ، فأخدمها هاجر . فأتته وهو قائم يصلى ، فأوماً بيده : مهيم (١) ؟ قالت : رد الله كيد الكافر ، أو الفاجر - فسوى نحره ، وأخدم هاجر ... (٢) .

وروى الامام مسلم في صحيحه عن ابي هريرة رضى الله عنه أيضا وفيها ان ابراهيم عليه السلام قال لسارة بعد قدومه على ذلك الجبار : " ان هذا الجبار ان يعلم انك امرأتى يغلبنى عليك . فان سألك فأخبريه أنك أختى فانك أختى في الاسلام . فانى لا أعلم في الأرض مسلما غيرى وغيرك " (٣) .

وليس في جميع الروايات ما يدل على ان ابراهيم عليه السلام ابتغى كسبا ماديا في اخفاء الحقيقة ، وانما أراد عليه السلام أن لا يغلبه ذلك الجبار على زوجته ان اخفى عليه الأمر . فانه ان علم حقيقة الأمر أسرع الى الاستيلاء عليها وقتل زوجها أو طرده من بلده ، وأما ان أخبر أنها أخته ، فلا داعي للاسراع في الاستيلاء عليها ، وانما يسمى لخطبتها من أخيها ، وارضائه ليوافق على تزويجها ، ولا يفكر في قتله أو سجنه أو طرده من بلده . لأن صلة الأخوة ليست كصلة الزوجية . فهي صلة قابلة للانقسام فاذا انفصلت عراها ، فمن السهل أن تعاشر المرأة بعد ذلك زوجها آخر ، وقد جرت على هذا حياة البشر ان يموت زوج فتتزوج امرأته بعده ، أو يطلقها فتتزوج ، أو يغلب عليها فتتزوج أيضا ، وتنسى زوجها

(١) " مهيم ؟ " أى ما الخبر ؟ انظر فتح البارى ج ٦ ص ٣٩٤

(٢) صحيح البخارى كتاب الأنبياء باب قول الله تعالى : " واتخذ الله

ابراهيم خليلا " ١٦٥ سورة النساء .

(٣) صحيح مسلم كتاب الفضائل باب من فضائل ابراهيم الخليل عليه السلام . وقوله لسارة : " لا أعلم في الأرض مسلما غيرى وغيرك " أراد به فسوى الأرض التي فيها ذلك الجبار لا في جميع الأرض كما في قوله تعالى : " ان فرعون علا في الأرض " اى في أرض مصر لا في الأرض كلها لوجود ملوك آخرين فيها . ولا شك أن هناك مؤمنين غير ابراهيم عليه السلام في الأرض لأن لوطا كان من المؤمنين الذين هاجروا معه . ولعل لم يكن معه في تلك الحادثة .

السابق . و أما صلة الأخوة فهي صلة غير قابلة للانقسام . فليس من السهل أن يهان أخو المرأة أو يقتل فتعاشر من أهان أخاها أو قتلها ، وتتسبى رباط الأخوة مهما أحسن اليها من قتل أخاها . ثم انه لا يوجد سبب يدعو الى اهانة الأخ أو قتله من قبل من يرغب في أن يتزوج أخته . وهذا والله أعلم في نظري هو الذي أراده ابراهيم عليه السلام ، ولكن الله تعالى أراد أمر آخر فقد جعل ذلك الجبار يقلم على أخذ سارة الى بيته على خلاف ما قصده ابراهيم ، فأظهر هناك أنه هو الذي يتولى حماية أوليائه الصالحين . وأما ما لجأ ابراهيم عليه السلام اليه فلم يفن عنه شيئا ، ولكن الله تعالى كلاً زوجته من وصول ذلك الفاجر اليها ، ولم تنق فسي بيته الا دقائق معدودات عادت بعدها طاهرة منتصرة .

ان الاحاديث النبوية الشريفة دلت على ان ابراهيم عليه السلام وقع في ذلك المحذور قبل ان يعلم به حيث قدم أرض ذلك الجبار فعلم أنه سيطلب سارة وذلك بعد ما طلب منه ذلك الجبار أن يحضر اليه وسأله عن سارة ، فأخبره أنها أخته . ثم عاد فأخبر زوجته بما كان وطلب منها موافقته ان سئلت هي أيضا . ولم تذكر الرواية في أى أرض كانت تلك الحادثة .

وأما الرواية اليهودية فقد ذكرت ان ابراهيم كان على يقين بوقوعه في هذا المحذور قبل أن تطأ قدماه أرض مصر ، فطلب من سارة ان تقول لمن يسألها عما بينهما من الصلة : انها أخته " وحدث لما قرب ان يدخل مصر انه قال لساراي امرأته : انى قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر . فيكون اذا رآك المصريون انهم يقولون : هذه امرأته ، فيقتلوننى ويستبقونك . قولى انك اختى ليكون لى خير بسببك وتحيا نفسى من أجلك " .

فهذا في غاية البعد عن الصواب ، فان ابراهيم عليه السلام ما كان له أن يلقي بنفسه وعرضه الى التهلكة ، وهو قد علم ما سينتظره في مصر من خطر محقق ، وهو اما ان يقتل وتؤخذ منه زوجته ، فيكون بذلك مغرطا في نفسه وعرض أهله ، واما ان يعيش فيغلب على زوجته فيكون التفريط في عرضها أيضا .

وقد دلت الرواية اليهودية على أن أحد الأمرين لا بد من وقوعه . فاختار ابراهيم ان يحيا وتؤخذ زوجته الى قصر فرعون . بل تذهب الرواية اليهودية الى أبعد من هذا فتزعم ان ابراهيم أراد من اخفاء علاقة الزوجية أمرين وهما : النجاة من القتل لأن فرعون ان علم أنه زوجها قتله ثم استولى عليها . وطلب المال ، فان فرعون ان صدق . انها اخته يجزل المظاء لابراهيم طلبا لرضاه ، وهذا هو الذي تحقق " فولى انك اختى ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من أجلك " . ثم انه من التناقض العجيب ان يزعموا انه فعل مثل هذا مرة أخرى بعد رجوعه من مصر . فكيف عاد ابراهيم الى هذا القول بعد أن رأى أنه لم يبق سرا عن فرعون مع اخفائه ولم يقتله بعد علمه ، وهذا يدل على أنهم رأوا ان الرغبة في المال هي التي وقعت ابراهيم الى هذا القول لا الخوف من القتل .

ودلت الرواية اليهودية أيضا على ان ابراهيم وصل الى ما أراد فقد أخذ فرعون امرأته وأكرمه على أنها أخته وأعطاه أموالا كثيرة : " فأخذت المرأة الى بيت فرعون . فصنع الى أبرام خيرا بسببها وصار له غنم وبقروحمير وعبيد واماء واتن وجمال " .

وأما الرواية الاسلامية فقد دلت على أن ابراهيم أراد باخفاء الحقيقة أن لا تؤخذ منه زوجته ، لأنه ظن أن ذلك الطك ان علم أنها أخته فلا يأخذها منه ، وهذا علم من النص بمفهوم المخالفة حيث قال عليه السلام : " ان هذا الجبار ان يعلم انك امرأتى يغلبنى عليك " فتبين ان مراده من اخفاء الحقيقة أن لا يغلب على زوجته فقط . فحقق الله مراده بدون تلك الوسيلة التي ظن ابراهيم انها تنفعه في دفع ظلم عدل الجبار ان أراه من قدرته ما جعله يبادر في اعادتها عزيزة مكرومة وهي لم تلبث في قصره الا مقدار ما كان يصل الى ابراهيم عليه السلام ، وأقرب روايتى اليهود الى الحق هي قصة أبيمالك ملك جرار (١) .

(١) ذلك لأن سارة لم تقم غنده كثيرا في الرواية اليهودية وانه لم يقربها بسبب البروى التي رآها . ان علم فيها انها زوجة نبي ثم أعادها وأهداها وأكرم زوجها وطلب منه أن يدعو له .

لقد سبق أن قصة فرعون مع ابراهيم تختلف عن قصة أبيمالك معه في عدة أمور . ومن بين تلك الأمور ان ابراهيم أخبر أبيمالك ان سارة أخته حقيقة بعد ان اخفى عليه . ثم علم أبيمالك حقيقة الأمر في رؤيا رآها . ولم يخبر ابراهيم فرعون بذلك مع أنه وبخه وعنفه وطرده من أرضه . والا حاديث النبوة الصحيحة تنفى ان تكون سارة اخت ابراهيم حقيقة وانما هي أخته في الاسلام والايمان وهذه الأخوة التي قصدها ابراهيم وأفصح عنها لسارة . حيث قال : " فان سألك فأخبريه انك أختي ، فانك أختي في الاسلام فاني لا اعلم في الأرض مسلما غيري وغيرك . . . " وكذلك ما جاء في الحديث من ان هذه المقالة احدى ثلاث كذبات ابراهيم يؤكد انها ليست أخته في النسب ان لو كانت أخته لما كان لجمل كلامه من الكذب وجه .

وهذا يعلم أن دعوى الأخوة الحقيقية بينهما في الرواية اليهودية باطلة . ويؤكد هذا ما جاء في قصة خروج تارح بابراهيم من أور الكلدانيين ، وما سبقها من ذكر أولاد تارح ، فانه لم يرد هناك أن تارح له من الأولاد غير ابراهيم وناحور وهاران ، ولو كانت سارة بنت تارح لذكرتها رواية سفر التكوين التي ذكرت أن سارة امرأة ابراهيم ، ووصفتها بأنها كنة تارح . مع أنها لو كانت بنته لكان ذكرها بالبنوة أولى من ذكرها بأنها كنته . لأنها صفة طارئة اقتضاها الزواج . وأما البنوة فهي صفة دائمة أولى بالاعتبار والذكر : " وهذه مواليد تارح . ولد تارح أبرام وناحور وهاران . وولدها ران لوطيا . ومات هاران قبل تارح أبيه في أرض ميلاده في أور الكلدانيين . واتخذ أبرام وناحور لانفسهما امرأتين . اسم امرأة أبرام ساراي واسم امرأة ناحور ملكة بنت هاران أبي ملكة وأبي يسكة . وكانت ساراي عاقرا ليس لها ولد . وأخذ تارح أبرام ابنه ، ولوطا بن هاران ابن ابنه وساراي كنته امرأة أبرام فخرجوا مما من أور الكلدانيين " . وفي هذا دليل على أنها ليست أخته ابراهيم الا في الاسلام .

وخلاصة القول أن الرواية اليهودية تنافى عصاة الأنبياء وطهارة بيوتهم ،
حيث أخلقوا لسانهم على هذا النبي الكريم ، وزعموا أنه خاف من القتل ، وطمع
في المال ، فقدم زوجته في سبيل ذلك لمن يرغب فيها . فابراهيم الذي لم
يخف من جبروت قومه وسطوتهم ، ولم يثقل من عزيمته وقوة ايمانه وشجاعته ما
عامله به قومه من الشدة والبطش حتى ألقى في الجحيم ، ما كان له ان يخاف
من ان يقتله ذلك الجبار حتى يقدم له زوجته فرارا بنفسه ، وطمعا فسي
كسب المستاع الدنيوى الرخيص . ويكفى في الرد على هذه الفرية اليهودية ،
أن الله تعالى خاطب الرسل بقوله : " يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا
صالحا اني بما تعملون عليم " (١) .

فابراهيم عليه السلام من جملة الرسل الذين تناولهم هذا الخطاب الذى
يأمر الله فيه رسله ان يكون طعاصهم من الطيبات التى أحلها الله تعالى .
وأى كسب أخبث من ان يأكل رجل بزوجه ؟ ! ألا ما أقبح هذه الرواية
وأشنمها ؟ !

علاقة ابراهيم بربه كما في القرآن الكريم والسنة النبوية

علاقة ابراهيم بربه في القرآن الكريم هي علاقة عبد مخلص بربه وسيده ، وعلاقة رسول أمين بمرسله العظيم . لذلك لم يأت الحديث عن ابراهيم عليه السلام الا من خلال هذه العلاقة . فقد ذكر الله / ^{ابراهيم} نحو تسع وستين مرة . وفي كل مرة أشار القرآن الكريم به ومواقفه اليمانية من قومه وأبيهم وأثنى عليه ثناءً خلد ذكره في العالمين . ومع ما سبق بيانه من الآيات الكريمة التي تدل على أنه صاحب دعوة ورسالة ، وأوردها بعض الآيات التي تتجلى فيها صلة ابراهيم بربه ، وشدة حرصه على طلب مرضاته ، وذلك من خلال ثلاثة أسور :

الأمر الأول : علاقته بربه في مناجاته . الأمر الثاني : علاقته بربه في طاعته

وتنفيذ أوامره . الأمر الثالث : علاقته بربه في اختبار حبه على حب المخلوقين .

علاقته بربه في مناجاته :

وتتجلى هذه العلاقة في الآيات القرآنية الآتية :

١ - " وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر . قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره الى عذاب النار وبئس المصير . وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل : ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم " (١) .

٢ - " وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا واجنبنني ونحوي ان نعبد الأصنام . رب انهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعنني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم . ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند

بيتك المحرم ربنا ليقموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم
وارزقهم من الثمرات لعلمهم يشكرون . ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن
وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء . الحمد لله
الذى وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق ان ربي لسميع الدعاء .
رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء . ربنا اغفر
لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب * (١) :

٣ - " الذى خلقنى فهو يهدين . والذى هو يطمئنى ويسقين .
وانا مرضت فهو يشفين . والذى يمشى ثم يحيين . والذى أطمع
أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين . رب هب لي حكما و الحقنى
بالصالحين . واجعل لي لسان صدق في الآخرين . واجعلني من
ورثة جنة النعيم . واغفر لأبي انه كان من الضالين ولا تخزني يوم
يسعئون . يوم لا ينفع مال ولا بنون . الا من أتى الله بقلب سليم * (٢) .
في هذه الأدعية الكريمة تتجلى صلة ابراهيم عليه السلام بربه الكريم ، ومدى
اخلاصه وحيه الشديد لربه تبارك وتعالى . وهذا ما لا وجود له فسي
الأسفار اليهودية .

وبهذه الصلة الوثقى التي ربطت ابراهيم بربه ، استحق لقب خليل
الله كما قال تعالى : " واتخذ الله ابراهيم خليلا * (٣) .
علاقته بربه في طاعته وتنفيذ أوامره :

وتتجلى هذه العلاقة في هذه الآيات الكريمات :

١ - " وان ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن ، قال انى جاعلك للناس
اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين * (٤) .

(٢) سورة الشعراء ٧٨ - ٨٩

(١) سورة ابراهيم ٣٥ - ٤١

(٤) سورة البقرة ١٢٤

(٣) سورة النساء ١٢٥

- ٢ - " اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين " (١) .
- ٣ - " انى وجهت وجهي للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين . وحاجه قومه قال أتحاجونى فى الله وقد هدى . ولا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء ربي شيئا . وسع ربي كل شئ علما أفلا تتذكرون . وكيف أخاف أشركم ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فإى الفريقين أحق بالآمن ان كنتم تعلمون . الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الآمن وهم مهتدون . وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم " (٢) .
- ٤ - " ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين . شاكرا لأنعمه اجتهاده وهداه الى صراط مستقيم . وآتيناها فى الدنيا حسنة وانه فى الآخرة لمن الصالحين . ثم أوحينا اليك ان اتبع مله ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين " (٣) .
- علاقته بربه فى اختيار حبه على حب المخلوقين :

وتتجلى صلة ابراهيم بربه فى اختياره حب الله تعالى على نفسه ، وولده ووالده ، والناس أجمعين . وذلك هو الايمان الكامل الذى لا أكل منه . فقد اختار ابراهيم ربه على نفسه حين اختار ان يلقى فى النار فى ذات الله تعالى . فاذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم أخبرنا ان من حلاوة الايمان أن يكره المرء أن يعوذ فى الكفر كما يكره ان يقذف فى النار ، فان ابراهيم عليه السلام أحب أن يقذف فى النار فى سبيل النجاة بمقيدة الايمان . والجهود بالنفس أقصى غاية الجود . وكذلك اختار حب الله تعالى على حب والده :

" فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لأواه حلیم " (٤) .

(١) سورة الانعام ٧٩ - ٨٣

(٣) سورة النحل ١٢٠ - ١٢٣ (٤) سورة التوبة ١١٤

وكذلك اختار حب الله على حب ولده الوحيد الذي أمر بذبحه فقسام بالاستجابة والانقياد لتنفيذ أمر ربه ، ولكن الله تعالى أنعم عليه بالفداء ، وأبقى له ابنه ، وبشره بولد آخر يولد له ، ويولد لذلك الولد ولد أيضا ، مكافأة له على ما حزم عليه من ذبح ابنه الوحيد . قال تعالى مخبرا عن ذلك :
 " وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين ، رب هب لي من الصالحين . فبشرناه بفلام حليم . فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني أرى في المنام اني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين . فلما أسلما وثله للجبين . وناديا له أن يا ابراهيم . قد صدقت الرؤيا ان كذلك نجزي المحسنين . ان هذا لهو الهلاك السمين ، وقد يناه بذبح عظيم . وتركنا عليه في الآخرين . سلام على ابراهيم . كذلك نجزي المحسنين . انه من عبادنا المؤمنين . وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين ، وباركنا عليه وعلى إسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين " (١) .

وفي اختياره حب الله على حب الناس أجمعين قال ابراهيم ومن آمن معه لقومهم : " انا برآء منكم وما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وهذا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده " (٢) وفي سبيل اختيار مرضاة ربه على حب وطنه ، هاجر من أرضه قاطعا صلته بأرضه وعشيرته ، موظدا صلته بربه عز وجل الذي أنعم عليه ، وجعل في ذريته النبوة والكتاب فالتكاثف الالهية التي نزلت كانت في آل ابراهيم " فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكم والنبوة وآتيناهم ملكا عظيما " (٣) .

وأما ابراهيم في السنة المطهرة فيكفي أن يعلم ان الاسلام أوجب على المسلمين في صلواتهم أن يقولوا في الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم :
 " اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل ابراهيم ، وبارك

على محمد وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل ابراهيم انك حميد
مجيد" (١) . وفي رواية أخرى عن طريق كعب بن عجرة قال : " سألنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت فان
الله قد علمنا كيف نسلم ؟ قال : قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد
كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد . اللهم بارك على
محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد" (٢) .
هكذا كانت علاقة ابراهيم بربه كما ذكرها القرآن الكريم الذى نزل من رب
العالمين (ومن أصدق من الله حديثا) ؟ .

(١) أخرجه البخارى عن طريق ابي حميد الساعدى في كتاب الأنبياء .

(٢) أخرجه البخارى أيضا في كتاب الأنبياء باب (يزفون) .

المبحث الخامس

موقفهم من اسماعيل عليه السلام

أ - ميلاد اسماعيل ونشأته كما يروى اليهود :

اقتربت قصة ابراهيم الطويلة في سفر التكوين بقصة زواجه هاجر التي كانت جارية سارة ، وما وقع بين زوجها سارة التي لم تلد له ، وهاجر التي تزوجها بطلب من سارة التي رغبت أن يكون لها ولد من جاريها ، كما تقول الرواية . وقد اشتملت هذه القصة على عدد من الصفات التي نسبت الى ابراهيم عليه السلام . ولما كان ذلك موقفا من مواقف اليهود منه ، كان لزاما على توضيحه بعرض نصوصه ، واليك بيانها :

قال سفر التكوين : * وأما ساراي امرأة أبرام فلم تلد له وكانت لها جارية مصرية اسمها هاجر فقالت ساراي لأبرام : هوذا الرب قد أسكني عن الولادة . ادخل على جاريتي لعل أرزق منها بنين فسمع أبرام لقول ساراي . فأخذت ساراي امرأة ابرام هاجر المصرية جاريها من بعد عشر سنين لاقامة أبرام في أرض كنعان ، وأعطتها لأبرام رجلها زوجة له . فدخل على هاجر فحبلت . ولما رأت أنها حبلت صغرت مولاتها في عينيها . فقالت ساراي لأبرام ظلمي عليك أنا دفعت جاريتي الى حضنك فلما رأت أنها حبلت صغرت في عينيها يقضى الرب بيني وبينك . فقال أبرام لساراي هوذا جاريته في يدك افعل بي ما يحسن في عينيك . فأذلتها ساراي فهربت من وجهها فوجدتها ملاك الرب على عين الماء في البرية على العين التي في طريق شور . وقال لها يا هاجر جارية سارة من أين أتيت والى أين تذهبين ؟ فقالت : أنا هاربة من وجه مولاتي ساراي . فقال لها ملاك الرب : تكثيرا أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة . وقال لها ملاك الرب : ها أنت حبلت فتلدن ابنا وتدعين اسمه : اسماعيل ، لأن الرب قد سمع لعدلتك . وأنه يكون انسانا وحشيا يسده على كل واحد ويد كل واحد عليه وأمام جميع اخوته يسكن . . . فولدت

هاجر لأبرام ابنا . ودعا أبرام اسم ابنه الذى ولدته هاجر : اسماعيل .
 كان أبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر اسماعيل " (١) .
 وهذا النص يظهر لنا ابراهيم وكأنه رجل ضعيف لا يقوى على دفع الظلم
 وانصاف المظلوم ، ولو كان الظالم والمظلوم من تحت يده . وهو أمر
 لا يمكن تصديقه على هذا النحو الذى جاء في هذه الرواية لأن ابراهيم
 نبي والنبي لا يمكن أن يقر الظلم في آل بيته . فكيف يقول ابراهيم لسارة :
 " هوذا جازيتك تحت يدك فافعللى بها ما يحسن في عينيك " حتى أذلها
 فأدى ذلك الى هربها فرارا من ظلمها ؟ وان كان هذا يتصور وقوعه بين
 ضربتين احدهما ذات سلطان بحكم ولايتها على الاخرى ، والاخرى ضعيفة
 لكونها جازيتها ، فانه لا يتصور أن يقع هذا الظلم بموافقة من هذا النبي الكريم .
 وما يوجه اليه نظر القارىء هنا ، أن اليهود دأبوا على ان يجردوا من لا ينتسب
 الى بنى اسرائيل أو آباء اسرائيل من كل فضيلة . لذلك لجأوا الى وصف هاجر
 وصفا متكررا أنها أمة ساراي . وخاصة في الكلام المنسوب الى الملك : " يا هاجر
 جارية ساراي " ، ألا يكفي أن يناديها باسمها فقط ؟ وفي الكلام المنسوب
 الى هاجر : " أنا هاربة من وجه مولائي ساراي " وفيه أيضا تكرار متعدد
 لصفة العبودية والتذلل . وفي هذه الأمور اساءة الى ابراهيم عليه السلام ،
 كما أن فيه اساءة الى آل بيته بقصد التفاخر على من لا ينحدر من سلالة
 سارة .

ب - طرد اسماعيل وأمه كما في سفر التكوين :

ومع ما سبق الحديث عنه عن مولد اسماعيل عليه السلام ، وما حدث لأمه
 هاجر أثناء حملها من قبل سارة كما تقول الرواية ، فان الخلاف الذى وقع بين
 المرأتين كان مستمرا ، ثم بلغ ذروته حينما ولدت سارة ابنها اسحاق ، ورأت ابن
 ضربتها وهو يمزح ، فأثار ذلك الغيرة والخوف من أن يرث اسماعيل وهو ابن

الأمّة - كما يزعمون - مع اسحاق ، وهو ابن الحرة الذى ينفى أن يكون الوارث الشرعي لأبيه في نظرها ، أو في نظر كاتب السفر . فما كان منها الا أن تطلب من زوجها ابراهيم عليه السلام أن يطرد هاجر وابنها معللة طلبها بأن لا يرث ابن الجارية مع ابنها ، ومع انزعاج ابراهيم من هذا الطلب فانه لم يجد بدا من أن يستجيب لرغبتها وخاصة بعد أن أكد الرب وجاهة طلبها .

قال سفر التكوين : " ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذى ولدته لابراهيم يمزح ، فقالت لابراهيم : اطرد هذه الجارية وابنها . لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني اسحاق ، فقيح الكلام جدا في عيني ابراهيم لسبب ابنه . فقال الله لابراهيم : لا يقح في عينيكَ من أجل الغلام ومن أجل جاريتك في كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها ، لأنه باسحاق يدعى لك نسل ، وابن الجارية أيضا سأجعله أمة عظيمة لأنه نسلك فبكر ابراهيم صباحا وأخذ خبزا وقربة ماء وأعطاها لهاجر وأضعا اياهما على كتفها والولد وصرفها فمضت وتاهت في بركة بئر سبع ولما فرغ الماء من القربة طرحت الولد تحت احد الاشجار ومضت وجلست مقابلة بميدا نحو رمية قوس ، لأنها قالت : لا انظر موت الولد فجلست مقابلة ورفعت صوتها وبكت ، فسمع الله صوت الغلام ، ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها : مالك يا هاجر لا تخافي لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو . قومي احمل الغلام وشدي يدك به لأننى سأجعله أمة عظيمة . وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء فذهبت وملاءت القربة ماء وسقت الغلام وكان الله مع الغلام فكبر وسكن في البرية وكان ينمو راس قوس وسكن في بركة فاران" (١) .

وفي هذا النص أيضا استضعاف لابراهيم عليه السلام ، ونسبة اقرار الظلم اليه ، حيث قالوا ان سارة طلبت منه طرد الجارية وابنها . وأقر الرب هذا الطلب أيضا مع تعليلها بأن ابن الأمّة لا يرث مع اسحاق .

أضف الى هذا تكرار كلمة الجارية وابن الجارية عوضا عن اسميهما ، وما يحصل
هذا التكرار المتعمد من احتقار واذلال قصد منه اليهود الطعن فسي في
اسماعيل والتفاخر عليهم . ومن اظهار ابراهيم عليه السلام بمظهر الضعف
والاستكانة أمام زوجته سارة ، زعمهم أنه صرف هاجر واسماعيل ليتها فسي
البرية وأنه لم يكن معهما في التيه +

ج - قصة الذبيح كما يرويها اليهود :

وما يتصل بقصة ابراهيم في سفر التكوين قصة ابنه الذبيح الذي أمر
الله ابراهيم أن يذبحه . فقد ذكر سفر التكوين وصف ذلك الابن الذي أمر
ابراهيم بذبحه بأنه ابنه الوحيد الذي يحبه ، والابن الوحيد لابراهيم
هو اسماعيل لأنه اكبر من اسحاق بثلاث عشرة سنة . وهو قبل ميلاد اسحاق
وحيد ابراهيم عليه السلام . وأما اسحاق فلم يكن وحيد ابراهيم يوما
من الأيام لأن كليهما عاشا حتى توفي ابراهيم فدفناه معا كما جاءت به
الرواية (١) . يقول سفر التكوين في قصة الذبيح :

" وحدث بعد هذه الأمور ان الله امتحن ابراهيم فقال له : يا ابراهيم

فقال : ها أنذا . فقال خذ ابنك وخديك الذي تحبه اسحاق واذهب الى
أرض المريا وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك . فبكر
ابراهيم صباحا وشد على حماره وأخذ اثنين من غلمانه معه واسحاق ابنه وشقق
حطبا لمحرقة وقام وذهب الى الموضع الذي قال له الله . وفي اليوم الثالث رفع
ابراهيم عينيه وأبصر الموضع من بعيد . فقال ابراهيم لغلاميه : اجلسا انتما
ههنا مع الحمار وأنا أنا والفلام فنذهب الى هناك ونسجد ثم نرجع اليكسا .
فأخذ ابراهيم حطب المحرقة ووضع على اسحاق ابنه وأخذ بيده النار والسكين
فذهبا كلاهما معا . وكلم اسحاق ابراهيم أباه وقال : يا أبي . فقال : ها أناذا يا
ابني . فقال : هوذا النار والحطب ولكن أين الخروف للمحرقة ؟ فقال ابراهيم

الله يلى الخروف للمحرقة يا ابني فذهبا كلاهما معا . فلما أتيا الى الموضع الذى قال له الله بنى هناك ابراهيم المذبح ورتب الحطب وربط اسحاق ابنه ووضع على المذبح فوق الحطب . ثم مد ابراهيم يده وأخذ السكين ليذبح ابنه . فناداه ملاك الرب من السماء وقال ابراهيم ابراهيم فقال : ها أنا ذا . فقال : لا تمد يدك الى الغلام ولا تفعل به شيئا . لا نبي الان علمت أنك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيداً عنى . فرفع ابراهيم عينيه ونظر وإذا كبش وراءه مسكاً في الغابة بقرنيه فذهب ابراهيم وأخذ الكبش وأصعده محرقة عوضاً عن ابنه ونادى ملاك الرب ابراهيم ثانية من السماء . وقال : بذاتي أقسمت يقول الرب انى من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيداً أباركك وأكثر نسلك تكثيراً كجحوش السماء وكالرمال الذى على شاطئ البحر ويورث نسلك باب أعدائه ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض من أجل أنك سمعت لقولي " (١) .

لقد نص سفر التكوين هنا على أن الذبيح هو اسحاق عليه السلام . ولكن الباحث اذا قرأ ما يتعلق بهذه القصة ، وغيرها في سفر التكوين ، يجد في سطورها ما ينفى أن يكون اسحاق هو الذبيح ، ويؤكد أن اسماعيل هو المقصود لا غيره . ولكن اليهود أرادوا أن يسلبوا الفضائل من اسماعيل ويسندوها الى اسحاق أبيهم . وهما النبيان الكريمان والاخوان الصالحان . وقد تجلى ذلك في عدة مواقف بمنتها نصوصهم واليك بيان ذلك في الامور الآتية :

١ - جاء في مواضع عدة من سفر التكوين أن الله بشر ابراهيم باسحاق قبل ميلاده ، ووعد أنه سيقوم عهده مع ابنه اسحاق لا اسماعيل ، وأنه سيبارك في نسل اسحاق الذى سيرث ابراهيم دون اسماعيل لأن اسماعيل في زعمهم ابن سن الأمة وابن الأمة لا يرث مع ابن الحرة :

" فقال الله : بل سارة امرأتك تلد لك ابناً وتدعو اسمه اسحاق وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده " (٢)

"ولكن عهدى" أقيمه مع اسحاق الذى تلده لك سارة في هذا الوقت في السنة الآتية" (١) .

"لأنه باسحاق يدعى لك نسل" (٢) .

وهذه النصوص تدل على أن الذبيح غير اسحاق لأنه لا يصح أن يؤمر ابراهيم بذبحه وقد علم من هذه الوعود أنه سيميش ، ويكرنسله ، ويكون وارثا له دون أخيه اسماعيل . وهذا دليل بين على ان القصة محرفة .

٢ - لقد تكرر في سفر التكوين تعبيرها بأنها أمة سارة ، وأنهنسا تكبرت على سيدتها عندما علمت أنها حبلى "فدخل على هاجر فحملت . ولما رأت أنها حملت صغرت مولاتها في عينيها" (٣) .

فوصفها بالتكبر والتمرد ، يراد به الوصول الى القول : ان ابنتها ليس جديرا بأن يكون وارث العهد الذى بين الرب وابراهيم .

٣ - كان التكبر المنسوب الى هاجر مقدمة ترتبت عليها النتيجة التي قصدتها اليهود . وهي أن سارة حينما رأت أن أمها تمردت عليها ، تظلمت عند ابراهيم منها ، فأعطاه ابراهيم الحق في أن تفعل بجاريتها ما تشاء لأنها جاريتها ، فأذلتها سارة ما أدى الى هربها : "فقال ساراي لأبرام : ظلمى عليك ، أنا دفعت جاريتي الى حضنك . فلما رأت أنها حملت صغرت في عينيها يقضى الرب بيني وبينك . فقال ابرام لساراي : هوذا جاريتك في يدك ، افعلى بها ما يحسن في عينيك فأذلتها ساراي فهربت من وجهها" (٤) .

ان الفيرة في النساء طبيعة متأصلة لا تخلو منها المرأة في كل زمان ومكان ولو كانت من آل بيت النبوة ، وهى شعور في النفس قد يصدقه الحمل أولا . ولكن التكبر المنسوب الى هاجر ، والغلظة المنسوبة الى سارة ، واقرار ابراهيم

(٢) تكوين ٢١: ٢١

(٤) تكوين ١٦: ٥-٦

(١) تكوين ١٧: ٢١

(٣) تكوين ١٦: ٤

لتلك القسوة والمذلة في آل بيته ، أموز لاشك أنها موضوعة ، بعيدة أن توجد في آل بيت قال الله في حقهم : " رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد " (١) . ولو فرضنا ذلك في حق المرأتين ، كان مانسب الى ابراهيم من اقرار الظلم في أهل بيته في غاية الفساد . والذي يتصور هنا حسب دلالة النصوص وطبائع النساء أن تكون سارة هي التي غارت من هاجر لأنها حملت وأصبحت ذات شأن عند ابراهيم . بينما هي لا تزال عاقرا . وذكروا أن هاجر بعد هربها من سارة وجدها ملاك الرب في البرية على عين ماء ، فنادها بما يشعر بالتحقير والاذلال : " وقال يا هاجر جارية ساراي من أين أثيت ؟ وإلى أين تذهبين ؟ " فقالت أنا هاربة من وجه مولاتي ساراي . فقال لها ملاك الرب : أرجعي الى مولاتك واخضعي تحت يديها " (٢) . فمخالطة هاجر من الملك بهذا الخطيئ : " يا هاجر جارية ساراي " على ما فيه من تكلف ، فيه ما يشعر بالتحقير ، وكذلك ما تردد فيه من قوله : " مولاتي ساراي " و " أرجعي الى مولاتك واخضعي تحت يديها " ، يدعو الى القول : إن ذلك كله قصد به التمثالي والتكبر من اليهود على نسل اسماعيل ، وفي سبيل اثبات هذا التفوق والتمالي جعلوا ابراهيم يقر الظلم في بيته ، وجعلوا الملك أيضا يجازي هواهم .

ه - وذكروا أيضا أن سارة طلبت من ابراهيم عليه السلام أن يطرد هاجر وابنها لأنها خافت أن يرث مع ابنها اسحاق ، وكان ذلك بعد ميلاد اسحاق (٣)

(٢) تكوين ١٦ : ٨ - ٩

(١) سورة هود ٧٣

(٣) حينما طلبت سارة طرد هاجر وابنها كانت سن اسماعيل نحو خمسة عشر عاما أو أكثر لأن اسماعيل اكبر من اسحاق بأربعة عشر عاما ، والواقعة كانت بعد ميلاد اسحاق حسب الرواية اليهودية لأن علة طلب الطرد ، خشية ان يرث مع اسحاق . ثم يأتي في الرواية ما يدل على ان اسماعيل طفل صغير عندما طرد وذلك في قول الرواية " فطرحت الولد تحت احدى الأشجار " وقولها

وقالوا أيضا : ان الله طلب منه أن ينفذ ما طلبت منه سارة مع أنهم ذكروا ان طلب سارة هذا قبح جدا في عيني ابراهيم لأجل ابنته :

"ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لابراهيم يمزح . فقالت

لابراهيم : اطرد هذه الجارية وابنها ، لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع

ابني اسحاق . فقبح الكلام جدا في عيني ابراهيم لسبب ابنته . فقال الله

لابراهيم : لا يقبح في عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك

في كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها لأنه باسحاق يدعى لك نسل وابن

الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه نسلك" (١) .

فتسمية اسماعيل ابن الجارية على لسان سارة وحكاية عن الله ، قصد

منها ابعاد اسماعيل من ميراث أبيه ، وقطع صلة الأبوة والنبوة بينهما ،

ليفسحوا المجال لاسحاق ونسله . ويدل هذا التحقير المتعمد قوله : "ورأت

سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لابراهيم " مع ما فيه من تجهيل وتكلف

يمكن الاستغناء عنه بذكر اسم "اسماعيل " بلا حاجة الى هذا التطويل الركيك.

ولكنه مقصود به الحط من قدره ، ومع ما ذكر في الرواية ان ابراهيم باسحاق

يدعى له نسل ، على سبيل الحصر بتقديم الجار والمجور على عامله جاء

ما يناقضه في نهايته حيث قال : " وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه

نسلك " فموهواه ان اسماعيل ايضا مثل اسحاق في أنه نسل ابراهيم وأنه

سيكون أمة ، وقد أكدت هذا المعنى كلمة " أيضا " الواردة في حق

اسماعيل بعد قوله . باسحاق يدعى لك نسل . فتأمل الى قصر عقل واضع

=== حكاية عن الملك : " قومي احملني الغلام وشدي يدك به " وكيف يمكن ان

يطرح تحت الشجرة ويحمل كذلك وهو في تلك السن ؟ واذا كان في هذه

السن فلماذا لم يتحمل العطش الذي تحملته أمه وهي امرأة ؟ هذا الخلط

والتشويش الذي يسود هذه الرواية دليل على قصر نظر من وضعها .

والحديث الصحيح دل على ان ابراهيم جاء باسماعيل^{أمه} الى مكة وهو طفل

رضيع وذلك يناقض ما زعم اليهود في أنه طرد حتى لا يرث مع اسحاق .

هذه القصة . فانها تحصل في سطورها ما يدل على بطلانها . صدقا لقول الله تعالى : " ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا (١) "

وهذا كله يدل على أن اليهود تقولوا على اسماعيل كثيرا ووضعوا نصوصا نسبوها الى الله كذبا لينالوا من مكانته . ثم زعموا ان الذبيح هو اسحاق عليه السلام مع أن سياق الرواية عندهم يأبى ذلك . ذلك لأنهم قالوا ان الله أمر ابراهيم بذبح ابنه بقوله : " خذ ابنك وحيدك الذي تحبه اسحاق " وليس اسحاق ابن ابراهيم الوحيد لأنه ولد بعد اسماعيل بأربع عشرة سنة حسب رواياتهم فهو على هذا ابنه الثاني ، فلا يستقيم القول في حقه انه ابن ابراهيم الوحيد ، فابن ابراهيم الوحيد هو اسماعيل بلا خلاف ، قال الدكتور احمد شلبي : " وبالنسبة للتوراة يلحظ الباحث المدقق أن ما ورد بها عن تحديد الذبيح بأنه اسحاق ، عمل مصنوع لم تتقن صنعته . فقد جاء في الاصحاح الثاني والعشرين من سفر التكوين " ان الله امتحن ابراهيم فقال : خذ ابنك وحيدك الذي تحبه اسحاق ، ، ، " ووضع الاسم (اسحاق) مع كلمة " وحيدك " ، تناقض ظاهر ، لأن اسحاق لم يكن وحيدا لابراهيم في يوم من الأيام . فقد ولد وعمر اسماعيل أربع عشرة سنة ، كما نصت التوراة . وبقي اسماعيل واسحاق معا (٢) حتى مات ابراهيم ودفناه معا في مدينة حبرون (الخليل) . ودليل آخر نسوقه على كون الذبيح

(١) سورة الناح ٨٢

(٢) قوله : " بقي اسماعيل واسحاق معا " يوهم أنهما بقيا في مكان واحد وهو غير صحيح لأن اسماعيل كان يقيم بمكة لا بالشام كما هو ثابت في الاسلام . وما ذكرته الرواية اليهودية أنهما اشتركا في دفن ابراهيم عليه السلام لا يقتضى كونهما معا لجواز حضور اسماعيل لزيارتهم . ولا خلاف بين المسلمين وأهل الكتاب في أنه غير مقيم مع أبيه وان اختلفا في تحديد المكان .

اسماعيل لا اسحاق ؛ ذلك أن كاتبى التوراة من اليهود رأبوا على محاولة
إسناد الفضائل إلى أجدادهم . فإذا كان في قصة الذبيح طاعة وامتناع ،
فإنهم ينسبونها لاسحاق . وسنراهم كذلك يحاولون أن ينقلوا بركة
اسحاق إلى جدّهم يعقوب بدلا من أخيه الأكبر عيسو (١) .

وما يدل على أن اسم اسحاق قد أدرج عمدا في هذه الرواية
الوصف الذى وصف به الولد الوحيد في قوله : " الذى تحبه " هذا الوصف
لا يعقل أن يوصف به اسحاق وحده ، لوجود ابن آخر معه يحبه إبراهيم حبا
قد يكون أكثر من حبه لاسحاق . لأنه ولده البكر الذى وهب الله له بعد
كبر سنه فأنس به وحشته في غربته . وهذا الولد هو اسماعيل . ولا أدل على
حب إبراهيم لابنه اسماعيل مما جاء في رواية سفر التكوين من قوله حينما بشر
باسحاق : " ليت اسماعيل يعيش أمامك " أى أنه كان يتمنى أن يعيش
اسماعيل ، ويبارك له فيه وفي ذريته عوضا عن البشارة بولد آخر فاستجاب
الله له فيه فقال : " وأما اسماعيل ، فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركك
وأثمره وأكثره كثيرا جدا ، اثنتى عشر رئيسا يولد ، وأجعله أمة كبيرة (٢) .
وان كان حب إبراهيم لاسماعيل كحبه لاسحاق بعد ميلاده ، فإن
هذا الوصف لا أحدهما بعد ميلاد الثاني غير مستقيم ؛ وإنما المستقيم هذا
لو وُصف به اسماعيل قبل ذلك ، لأنه ابنه الوحيد ، والابن الوحيد يخصه
والده بحب يفوق حب من له عديد من الأولاد . فثبت أن هذا
الوصف يتناسق مع وصف الابن بالوحيد ، والابن الوحيد هو
اسماعيل عليه السلام .

(١) مقارنة الأديان . اليهودية ص ١٣٧-١٣٨ .

(٢) تكوين ١٧ : ٢٠

د - تعيين الذبيح على ضوء النصوص الاسلامية :

وردت قصة الذبيح في القرآن الكريم في معرض الثناء على ابراهيم عليه السلام الذي امثل أمره في ذبح ابنه فجالبه على حبه الشديد له . فلما ظهر عزمه وامثاله ، نسخ الله تعالى ذلك وفداه بذبح عظيم . ولم يرد في الآيات القرآنية تعيين الذبيح لأن القصة جاءت شعبية أى تبعا لقصة ابراهيم . ولم تأت على سبيل الاستقلال . فالآيات الواردة في ذلك دلت على أن ابراهيم عليه السلام قام بهذا العمل العظيم ، فبشره الله باسحاق نبيا من الصالحين مكافأة له على ما قام به في سبيل طاعة ربه من العزم الوطيد على ذبح ابنه الوحيد . ولما كانت الآيات الواردة في ذلك لم تنص على تعيين الذبيح ، اختلف العلماء في تعيينه على قولين : قول بانه اسماعيل عليه السلام ، وقول بانه اسحاق عليه السلام .

ولكن سياق الآيات القرآنية يكاد يكون نصا في أن الذبيح غير اسحاق عليه السلام . وهو اول مولود وهب الله لابراهيم بعد هجرته من أرض قومه بعد ان دعا ربه ان يهب له ولدا يكون من الصالحين . قال الله تعالى : " وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين . رب هب لي من الصالحين . فبشرناه بغلام حليم . فلما بلغ معه السعى قال يا بنى انى ارى في المنام انى اذبحك فانظر ماذا ترى ، قال يا أبت افعل ما تؤمر - ستجدني ان شاء الله من الصابرين . فلما اسلما وتلاه للجبين وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين . ان هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم . وتركنا عليه في الاآخريين . سلام على ابراهيم كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين . وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين وباركنا عليه وعلى اسحاق ، ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين (١)

هذه الايات الكريمة دلت على أن الذبيح هو اسماعيل في عدة مواضع :

الموضع الأول : في دعاء ابراهيم عليه السلام ربه ان يهب له من الصالحين ، وهو لم يزل في أرض ميلاده التي هاجر منها ، ان جاء دعاءه موصولاً باعلان الهجرة حيث قال : " انى مهاجر الى ربي سيهدين رب هب لي من الصالحين " فاستجاب الله دعاءه وبشره بسلام حليم (فيشرناه بسلام حليم " . ولا شك في أن هذا الغلام الذى بشره ابراهيم هو اسماعيل لا اسحاق لأن اسحاق ولد بعده بنحو أربع عشرة سنة حسب الرواية اليهودية . فالذبيح أول غلام بشره ابراهيم عليه السلام . فأول غلام وهب الله لابراهيم هو اسماعيل باتفاق المسلمين وأهل الكتاب . وما من شك في ان ابراهيم طلب من الله أن يهب له من الصالحين قبل أن يولد له ولد ، وأما بعد أن ولد له اسماعيل فقد قرره عيناً ، وطاب نفساً ، فلم يطلب من ربه سوى أن يبارك له فيه ، ولذلك كانت البشارة باسحاق لأمه سارة ، لأنه بالنسبة لها أول مولود ، (وامرأته قائمة فضحكت فيشرناها باسحاق ، ومن وراء اسحاق يعقوب " ولا شك أن البشرى في حقها أبلغ منها في حق ابراهيم عليه السلام ، لأن لديه ولداً آخر هو اسماعيل عليه السلام .

الموضع الثاني : في عطف بشارة اسحاق على بشارة الغلام الذبيح ان جاء بعد تمام قصته : " وشرناه باسحاق نبيا من الصالحين " والعطف يدل على المفارقة بين المعطوف والمعطوف عليه ، ان الشيء لا يعطف على نفسه . فدل على أن الذبيح اسماعيل لا اسحاق .

الموضع الثالث : مجيء البشارة باسحاق بعد قصة الذبيح يوحى بأن ذلك كان على سبيل الجزاء والمكافأة على استسلامه وانقياده لأمر الله تعالى صابراً محتسباً ، فلما عزم على التضحية بابنه الوحيد في حب الله تعالى ، كسافاه الله بأن أبقى له ولده ، وبشره بولد آخر سيولد له ويكون نبياً من الصالحين .

وفي ذلك من ادخال السرور على قلب الاب الرحيم ما لا يعلم قدره الا الله تعالى . وذلك بعد أن أيقن أن ولده الوحيد الذي استأنس به في كبره ، وبلغ السمعى معه سيموت على يده . فاذا به يعود به حيا وقد فداه الله ووعد به غلام آخر يعتبر من الانبياء الصالحين .

الموضع الرابع : في عودة الضمير في قوله : " وباركنا عليه " على الذبيح على أحد القولين (١) فانه يقطع الشك في ان الذبيح غير اسحاق لأنه عطف عليه اسحاق بقوله : " وعلى اسحاق " أى بارك الله على الغلام الذبيح وعلى اسحاق . فتحتم ان يكون ذلك اسماعيل .

الموضع الخامس : في قول الذبيح لأبيه : " ستجدني ان شاء الله من الصابرين " فوصف نفسه بالصبر على ما أمر الله به أباه من بلاء مهين ، وجاء وصف اسماعيل بالصبر وصفا صريحا في قول الله تعالى : " واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين " (٢) فدل هذا على أن الغلام الموصوف بالحلم الذى يشر به ابراهيم والقائل له : " ستجدني ان شاء الله من الصابرين " هو اسماعيل عليه السلام .

الموضع السادس : وهو في غير آيات الصفات وذلك في قوله تعالى : " واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادقا للوعد وكان رسولا نبيا " (٣) فوصفه بصدق الوعد دليل على ما امتاز به اسماعيل على غيره في هذا الشأن ، ان قدم نفسه بلا جزع كما وعد أباه صابرا مطيعا ، فأى صبر أعظم من هذا ؟ وأى صدق أفضل من أن يصدق المرء في بذل نفسه طاعة لربه وبراً بأبيه ؟ ومن كانت هذه صفاته ، فحرى ان يقول الرب الكريم عنه : " انه كان صادقا للوعد " لما في ذلك من الفضل والشرف ما يفوق القدر المشترك بينه وبين سائر الانبياء في صدق الوعد ، لأنهم جميعا صادقون في وعودهم ، ولكن اسماعيل له مزيد فضل ومزية في ذلك .

(١) انظر غرائب القرآن وغرائب الفرقان ج ٢٣ ص ٦٦ وفتح القدير ج ٤ ص ٤٠٦ .
(٢) سورة الانبياء ٨٥ (٣) سورة مريم ٥٤

ولقد رجح كون الذبيح اسماعيل الامام ابن القيم رحمه الله تعالى ،
ونقل ذلك أيضا عن شيخ الاسلام ابن تيمية . وذلك في كتابه ، زاد المعاد
في هدى خير العباد ، واغاثة اللفهان من موائد الشيطان (١) . فقال في
زاد المعاد : " واسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة
والتابعين ومن بعدهم . وأما القول بأنه اسحاق فباطل بأكثر من عشرين وجها .
وسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول : " هذا القول انما
هو مشتق عن أهل الكتاب ، مع انه باطل بنص كتابهم ، فان فيه : " ان الله
أمر ابراهيم أن يذبح ابنه بكره " وفي لفظ " وحيدة " ولا يشك أهل الكتاب
مع المسلمين ان اسماعيل هو بكر أولاده . والذي غر أصحاب هذا القول :
أن في التوراة التي بأيديهم : " اذبح ابنك اسحاق " قال : وهذه الزيادة
من تحريفهم وكذبهم ، لأنها تناقض قوله : " اذبح بكرك ووحيدك " . ولكن
اليهود حسدت بنى اسماعيل على هذا الشرف وأحبوا ان يكون لهم ، وأن
يسوقوه اليهم ويغتاروه لا أنفسهم دون المرب وبأبى الله الا ان يجعل فضله
لأهله . وكيف يسوغ ان يقال : ان الذبيح اسحاق والله تعالى قد بشر أم
اسحاق به وبأنه يعقوب . فقال تعالى عن الملائكة انهم قالوا لابراهيم
لما أتوه بالبشرى : (١١ : ٧٠-٧١) لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط . وامراته
قائمة فضحكت فبشرناهما باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب " فمحال ان يبشرها
بأنه يكون لها ولد ثم يأمره بذبحه . ولا ريب ان يعقوب عليه السلام داخل
في البشارة . فتناول البشارة لاسحاق ويعقوب واللفظ واحد . وهذا ظاهر
الكلام وسياقه " (٢) .

اسماعيل

وفي اغاثة اللفهان رجح ابن القيم رحمه الله كون الذبيح/عليه السلام
من عشرة وجوه (٣) .

(١) انظر اغاثة اللفهان ج ٢ ص ٣٥٤ - ٣٥٧

(٢) زاد المعاد في هدى خير العباد ج ١ ص ٢٨ - ٢٩
تحقيق محمد حامد الفقي مطبعة السنة المحمدية سنة ١٣٧٣ هـ

(٣) انظر ج ٢ ص ٣٥٤ - ٣٥٧

وكذلك رجح الحافظ ابن كثير كون اسماعيل هو الذبيح فقال بعد ذلك
معلقا على آراء القائلين بخلافه : " وهذه الأقوال والله أعلم كلها مأخوذة عن
كتب الأخبار فانه لما أسلم في الدولة العمرية ، جعل يحدث عمرضى الله عنه
عن كتبه قديما فربما استمع له عمرضى الله عنه ، فترخص الناس في استماع ما
عنده ونقلوا ما عنده غشا وسمينها . وليس لهذه الأمة والله أعلم حاجة الى
حرف ما عنده " (١) .

ورجح أبو السمود (٢) كون اسماعيل هو الذبيح وكذلك النيسابورى
رجح ذلك في تفسيره (٣) .

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله : " اعلم وفقنى الله
واياك ان القرآن العظيم قد دل في موضعين على ان الذبيح هو اسماعيل
لا اسحاق أحدهما : في الصفات . والثاني : في هود ، أما دلالة
آية الصفات على ذلك ، فهي واضحة جدا من سياق الايات . وايضاح ذلك :
انه تعالى قال عن نبيه ابراهيم : " وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين ،
رب هب لي من الصالحين ، فبشرناه بغلام حليم . فلما بلغ معه السعى قال
يا بنى انى أرى في المنام انى اذبحك فانظر ماذا ترى ، قال يا أبت افعل
ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين . فلما أسلما وتله للجبين ونادياه
ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجى المحسنين . ان هذا لهو
البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم ، وتركنا عليه في الآخرين سلام على
ابراهيم . كذلك نجى المحسنين (انه من عبادنا المؤمنين) (٤) قال بعد ذلك
عاطفا على البشارة الأولى : " وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين " . فدل ذلك
على ان البشارة الأولى / غير المبشر به في الثانية ، لأنه لا يجوز حمل كتاب
الله على ان معناه : فبشرناه باسحاق ، ثم بعد انتهاء قصة ذبحه يقول أيضا :

(١) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص ٧ (٢) تفسير ابي السمود ج٤ ص ٢٧٤

(٣) غرائب القرآن وغرائب الفرقان ج٢٣ ص ٦٢ - ٦٣

(٤) الآية الأخيرة لم تكتب في الأصل .

وبشرناه باسحاق . فهو تكرر لا فائدة فيه ينزه عنه كلام الله . وهو واضح فيج
أن الفلام البشر به أولا الذي فدى بالذبح العظيم ، هو اسماعيل وان
البشارة باسحاق نص الله عليها مستقلة بعد ذلك . وقد أوضحنا في سورة
النحل في الكلام على قوله تعالى : " من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو
موء من فلنحيينه حياة طيبة " الآية ، ان المقرر في الأصول أن النص من كتاب
الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا احتل التأسيس والتأكيد معاً ،
وجب حمله على التأسيس ، ولا يجوز حمله على التأكيد الا لدليل يجسب
الرجوع اليه . ومعلوم في اللغة العربية ان العطف يقتضى المغايرة ، فأية
الصفات هذه دليل للمنتصف على أن الذبيح اسماعيل لا اسحاق ويستأنس
لهذا بأن المواضع التي ذكر فيها اسحاق يقينا عبر عنه في كلها بالعلم لا الحلم .
وهذا الفلام الذبيح وصفه بالحلم لا العلم . وأما الموضع الثاني الدال على
ذلك الذى ذكرنا في اول سورة هود فهو في قوله تعالى : " وامرأته قائمة
فضحكت فبشرناها باسحاق ، ومن وراء اسحاق يعقوب " لأن رسل الله ممن
الملائكة بشرتها باسحاق وان اسحاق يلد يعقوب . فكيف يعقل ان يوؤمر
ابراهيم بذبحه وهو صغير وهو عنده علم يقين بأنّه يعيش حتى يلد يعقوب
فهذه الآيات أيضا دليل واضح على ما ذكرنا . فلا ينبغى للمنتصف الخلاف
في ذلك بعد دلالة هذه الأدلة القرآنية على ذلك . والعلم عند الله
تعالى " (١) .

ومع ما سبق ايراده من الأدلة المؤيدة كون الذبيح اسماعيل وما جاء من
أقوال العلماء في ذلك ، ينبغى ان يعلم ان اسماعيل واسحاق عليهما السلام
نبيان كريمان ، وأيا كان الذبيح ، فان كلا منهما ولد الأب كريم ، هو
ابراهيم عليه السلام ، وهو أفضل منهما ، واليه ينتسب بنو اسماعيل وبنو اسحاق .

(١) أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن ج ٦ ص ٦٩١ - ٦٩٣ .

وليست العبرة عند الله تعالى والمؤمنين به بالنسب ، وإنما هي بالإيمان والعمل الصالح . وعلى هذا دل قول الله تعالى في حق ذرية إبراهيم حينما دعا لهم إبراهيم بالإمامة بعد أن وعده الله بإمامة الناس بقوله : " وإن ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما ، قال ومن ذريتني ، قال لا ينال عهدي الظالمين " فاستثنى الله عز وجل الظالمين من ذريته . وعلى هذا دلت نهاية قصة الذبيح والبشارة بإسحاق حيث قال تعالى : " ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين " فالمحسن يجازى على إحسانه وحسناته ، والظالم يحاسب على ظلمه وجرمه ، ولا يثفمه نسبه عند الله شيئاً . وعليه فإن كون الذبيح إسماعيل أو إسحاق لا يثرب عليه شيء من الشرف لمن انتسب إليه . ومع ذلك ينبغي قبول ما دلت عليه النصوص في هذه القصة فهي أولى بالقبول .

وما ينبغي الإشارة إليه هنا أن معرفة من الذبيح من ولدي إبراهيم أو جهل ذلك ليس ما يقدر في عقيدة أحد . ولكن ثم أمر آخر يتصل بإبراهيم وإسماعيل يتحتم الإيمان به ، ويؤدي إنكاره إلى الكفر ، لأنه مما علم من الدين بالضرورة . ذلك الأمر هو بناء بيت الله الحرام على يد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بحكة الفكرة . فقد ثبت ذلك بنصوص من الكتاب والسنة ثبتت مكة وحرمتها . ولكن اليهود ، تجاهلوا هذا الأمر العظيم ولم يذكروه في أسفارهم التي تذكر عادة الأحداث التاريخية بتفصيل مل . ولما كان هذا الأمر العظيم فيه الفضل لإسماعيل وذريته ، وفيه الرمز إلى بعثة خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم أهملوا ذكره . بل ذهبوا إلى أن إسماعيل كان يقيم في بركة بئر سبع . وما ذلك إلا هضم للحقوق ، وحسد لهنى إسماعيل وكفر بالنبي الخاتم .

ولقد ذكر القرآن الكريم أن الله تعالى بوأ لإبراهيم مكان البيت . وأنه أمره أن يبنى له بيتاً ويظهره للطائفين به والماكين حوله ، والركع السجود بساحاته ، فقال :

" واذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي
للطائفين والقائمين والركع السجود . وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى
كل ضامر يأتين من كل فج عميق " (١) وقال : " واذ جعلنا البيت مثابة للناس
وأمانا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا
بيتى للطائفين والماكين والركع السجود . واذ قال إبراهيم : رب اجعل هذا
بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن
كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وهشش المصير . واذ يرفع إبراهيم
القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . ربنا
واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك
أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم
الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم " (٢) .
وقال : " إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا ، وهدى للعالمين .
فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا . ولله على الناس حج البيت
من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين " (٣) .
وقال : " واذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبنى
أن نعبد إلا أصنام . رب انهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبمنى فإنه منى
ومن عصانى فإنك غفور رحيم . ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع
عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم
وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون " (٤)

(١) سورة الحج ٢٦ - ٢٧

(٢) سورة البقرة ١٢٥ - ١٢٩

(٣) سورة آل عمران ٩٧

(٤) سورة إبراهيم ٣٥ - ٣٧

هذه الآيات كلها دلت على ان ابراهيم واسماعيل باشرأ بناء بيت الله
الحرام طاعة لأمر الله تعالى ، وان ابراهيم أمر ان ينادى في الناس بالحج
الذى يعتبر أحد أركان الاسلام الخمسة وأنه دعا ربه لذريته التى أسكنها
في مكة ان يصرف اليهم قلوب الناس ويسوق اليهم الارزاق ويسبغ فيهم رسولاً
منهم يتلو عليهم كتاب الله ، ويعلمهم ^{ما لا يعلمون} من الكتاب والحكمة ، ويظهرهم من
المفاسى والشرك . فاستجاب الله له فأصبح الوادى الذى لا زرع فيه تساق
اليه ثمار الدنيا من كل حدب وصوب ، وتنساق اليه قلوب المؤمنين منذ ذلك
الحين الى يومنا هذا وحتى يأتي وعد الله . ولا يزال من يقصد مكة بالعمرة
أو الحج في ازدياد مطرد . وكذلك استجاب الله دعاء ابراهيم واسماعيل
الذى دعياه به وهما يبنيان البيت قائلين : " ربنا تقبل منا انك انت السميع
العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وارنا مناسكنا
وتب علينا انك انت التواب الرحيم " (١) فأصبحت ذرية اسماعيل عليه السلام
أمة مسلمة ، أى السواد الأعظم منها ، وان كان القليل منها غير مسلم تحقيقاً
لقوله تعالى : " ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين " .

لقد طوى اليهود صفحة هذه القصة العظيمة من أسفارهم طياً أبدياً ،
فأخفوا أعظم جانب من جوانب الرسالة الابراهيمية ، وطمسوا المعالم المشرقة من
حياته وحياة اسماعيل عليهما السلام . وأردوا بذلك اطفاؤ نور الله الذى يهدى

(١) روى الامام البخارى في صحيحه عن طريق ابن عباس قال " ثم انه بدا
لابراهيم فقال لا هله : انى مطلع تركنى فجاء فوافق اسماعيل من
وراء زمزم يصلح نبلاً له فقال يا اسماعيل ان ربك أمرنى ان ابنى له
بيتاً قال أطع ربك فقال انه قد أمرنى ان تعيننى عليه قال اذن افعل
او كما قال . قال فقاما فجعل ابراهيم يبنى واسماعيل يناوله الحجارة
ويقولان : " ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم " قال حتى ارتفع البناء
وضعف الشيخ على نقل الحجارة فقام على حجر المقام فجعل يناولسه
الحجارة ويقولان : " ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم " . كتاب
الانبياء . باب يزقون .

الله له من يشاء من عباده " يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون " (١) .

وعلى الرغم من اخفاء اليهود قصة بناء البيت ومقام اسماعيل بمكة ، فان طرفا من الخيط الموصل الى موضع بثرتها من سفر التكوين لا يزال باقيا شاهدا عليهم . ولعل من المفيد للقارى ان نضع هنا ما جاء في مسكن اسماعيل وأمه في سفر التكوين ، مقابل ما جاء في صحيح البخارى في ذلك بغض الطرف عن الترتيب الذى جاء به الحديث في صحيح البخارى ، واليك بيان ذلك :

مقام اسماعيل كما في صحيح البخارى مقام اسماعيل كما في سفر التكوين

(غير مرتب)

(غير مرتب)

١- ثم جاء بها ابراهيم وابنها اسماعيل ١ - وصرفها فمضت وتاهت في بئرية ... حتى وضعهما عند البيت . (٢) بئر سبع .

٢ - ووضع عندهما جرابا فيه ثمر وسقا ٢ - وأخذ خبزا وقرية ماء وأعطاهما فيه ماء . لهاجر .

٣- حتى اذا نفذ ما في السقا . ٣ - ولما فرغ الماء من القرية . .

٤ - حتى وضعهما عند البيت عند ٤ - طرحت الولد تحت احدى الاشجار . دوحة فوق زمزم .

(١) سورة التوبة ٣٢

(٢) دل هذا الحديث على ان ابراهيم عليه السلام لم يصرف هاجر واسماعيل ، بل كان معهما في هذه الرحلة حتى تركهما في موضع البيت . وفي اول الحديث جاء ما يدل على ان سارة لم تعلم بخروج ابراهيم بهاجر واسماعيل وذلك حيث قال ابن عباس رضى الله عنه : " أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم اسماعيل اتخذت منطلقا لتعفى اثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم وابنها اسماعيل " الحديث . فدل هذا على ان ما رواه اليهود من طرد سارة لهاجر وابنها غير صحيح وانما قصد به الاساءة والا هانة لذلك زعموا ان ابراهيم صرفهما ولم يكن معهما .

مقام اسماعيل كما في صحيح البخارى	مقام اسماعيل كما في سفر التكوين
(غير مرتب)	(غير مرتب)

- ٥ - جعلت تنظر اليه يتلوى . . . ٥ - ومضت وجلست مقابله بعيدا نحو
فانطلقت كراهية ان تنظر اليه . رمية قوس لا نها قالت لا أنظر موت الولد .
٦ - فلما أشرفت على العروة سمعت صوتا ٦ - ونادى ملاك الله هاجر من السما . . .
٧ - فقال لها الملك : لا تخافوا ٧ - وقال لها : مالك يا هاجر ؟ لا
الضيعة فان ههنا بيت الله يبنى تخافى لان الله قد سمع لصوت
هذا الغلام وأبوه وان الله لا يضيع الغلام حيث هو . . .
أهله .

- ٨ - فاذا هي بالملك عند موضع ٨ - وفتح الله عينها فأبصرت بئر ماء . . .
زمزم فبحث بعقبه . . حتى ظهر
الماء .

- ٩ - جعلت تغرف من الماء فسي ٩ - فذهبت وملات القرية ماء وسقت
سقاءها . . فشربت وأرضعت . الغلام . .
١٠ - فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة ١٠ - وكان الله مع الغلام فكبر
من جرهم . . وشب الغلام وتعلم
الصربية منهم وأنفسهم وأعجبهم
حين شب . .

- ١١ - فلما أدرك زوجه امرأة منهم . . ١١ - وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر .
١٢ - (ربنا انى اسكنت من ذريتى ١٢ - وسكن في البرية . . وسكن في برية
بواد غير ذى زرع عند بيتك فاران .

المحرم (١)

(١) أخرجه البخارى في صحيحه برواية عبدالله بن عباس في كتاب الانبياء . باب
(يزفون) هذا الدعاء دعا به ابراهيم عندما ترك هاجر واسماعيل بمكة واقفا
حيث لا يريانه مستقبلا موضع البيت رافعا يديه .

مقام اسماعيل كما في صحيح البخارى مقام اسماعيل كما في سفر التكوين
(غير مرتب) (غير مرتب)

١٣- "ارموا بنى اسماعيل فان اباكم ١٣- وكان ينمورامى قوس (٢) .
كان راميا " (١)

ومن تأمل بالانصاف في هذين النصين وقارن بينهما ، تبين له أن
اليهود سلكوا في تحريف هذه القصة مسلكين :

المسلك الاول : مسلك الحذف وهو كثير في أسفارهم كحذف دعوة الرسل وما
جرى بينهم وبين أمهم . وقد حذفوا قصة بناء البيت ودعوة ابراهيم
الناس الى الحج اليه (٢) .

المسلك الثانى : مسلك التبديل كتبديل مكة ببيرة بئر سبع ، وتبديل امرأة
من جرهم ، بامرأة من مصر ، وتبديل الذبيح اسماعيل باسحاق . وهذا النوع
من التحريف كثير جدا في أسفارهم .
والمقصود بهذا كله عدم الاعتراف بالفضل لأهله ، ولو كان في

(١) أخرجه البخارى في كتاب الانبياء باب قول الله تعالى " واذكر في الكتاب
اسماعيل انه كان صادقا الوعد " برواية سلمة بن الأكوع .

(٢) تكوين ٢١ : ١٤-٢١

(٣) وبالإضافة الى المسلكين السابقين فان هناك مسلكين آخرين وهما مسلك
الزيادة كزيادة اسم اسحاق في قصة الذبيح وزيادة كلمة " كشبهنا "
في خلق الانسان على صورة الله . والمسلك الثانى هو مسلك التأويل
كتأويل فاران بجبال في الشام وتأويل النبي الذى بشرت به توراتهم
من اخوة بنى اسرائيل على لسان موسى بنبي منهم مع ان السياق يأباه .
وسياىتي ذكر مسلك التأويل في كلام ابن القيم رحمه الله تعالى
قريبا .

ذلك محاربة الله تعالى . والكفر بأنبيائه ، لأنه لا يعقل ان يعلم القوم من الامور التاريخية ما دق وخفى حتى المكان الذي بات فيه آباؤهم ليلة واحدة ، مثل فتوئيل التي صارع فيها يعقوب انسانا زعموا انه الرب . وهم مع ذلك لا يدرون عن بناء بيت الله الحرام على يد ابراهيم واسماعيل شيئا ، مع أنه أول بيت وضع للناس وان من بناءه هو جد هم الكبير السدي يمتدرون له بالفضل .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله معلقا على قصة اسماعيل وأمه في سفر التكوين : " فهذا خير الله في التوراة أن اسماعيل ربي سكن في بئرية فاران ، بعد ان كان ينوت من العطش وأن الله سقاه من بئر ماء ، وقد علم بالتواتر واتفاق الامم ان اسماعيل انما ربي بمكة (١) ، وهو أبوه بنيا البيت ، فعلم ان ارض مكة من فاران " (٢) .

وقال ابن القيم رحمه الله : " وأما جبال فاران فهم يحملونها على جبال الشام وهذا من بهتهم وتحريف التأويل . فان جبال فاران هي جبال مكة . وفاران اسم من أسماء مكة . وقد دل على هذا نص التوراة : ان اسماعيل لما فارق أباه سكن في بئرية فاران ، وأنكحته أمه امرأة من أرض مصر فثبت بنص التوراة ان جبال فاران سكن لولد اسماعيل " (٣) .

وذكر صاحب القاموس المحيط ان فاران اسم جبال ورد ذكرها في التوراة ، وهي بالحجاز . وقال جرجي زيدان في مسكن اسماعيل : " فالتوراة تقول انه بئرية فاران أو جبل فاران ، وكلاهما عند العقبة شمالي جزيرة سيناء . والعرب يقولون : انه مكة بالحجاز . ويسهل تطبيق الروايتين متى علمنا ان جبال مكة أو جبال الحجاز تسمى أيضا فاران . فيكون المراد : أن البئرية التي أقام فيها اسماعيل بئرية الحجاز ، وأنه أقام حيناً في سيناء ثم خرج الى الحجاز وسكن هناك وتزوج " (٤)

(١) ما ذكره شيخ الاسلام رحمه الله من ان اسماعيل ربي بمكة باتفاق الامم غير مستقيم لان اليهود والنصارى لا يسلّمون بذلك .

(٢) الجواب الصحيح لمن بعدل دين المسيح ج ٣ ص ٣٠٥ مطبعة المدنى المؤسسة السعودية بمصر .

(٣) اغاثة اللهبان ج ٢ ص ٣٦٣

(٤) العرب قبل الاسلام ص ١٨٥ المطبوع بمطابع دار الهلال للمؤلف .

والاحتمال الثاني الذي ذكره جرجي زيدان ممتنع ، لان ابراهيم جاء بهاجر واسماعيل وهي ترضعه ، فتركها في مكة . فهو ان اقام بمكة سن أول نشأته ، ولا يمكن أن يقال انه تحول فيما بعد الى الشام لأن المكان الذي اقام فيه مكان لا يسمى مؤ من عنه حولا . ونسبة القول بأن اسماعيل سكن بمكة الى العرب ، فيه تجاهل للقرآن الكريم الذي هو مصدر هذا الكلام ودستور أمة الاسلام . فهلا نسب جرجي زيدان هذا القول الى القرآن كما نسب القول بأنه في فاران الى التوراة ؟ ! وما يؤيد أن اسماعيل اقام بمكة أن ذريته تناسلت وتكاثرت في مكة وما حولها من القرى حتى مجى الاسلام . وقد علت ذريته جيلا عن جيل أن جدهم اسماعيل اقام بمكة مع أمه هاجر ، ولا زالوا يتوارثون المسمى بذلك حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكد ذلك فيما أنزل الله عليه . وتناسل ذرية اسماعيل وتكاثرهم في مكة وحولها دليل مادي قوى على صحة ما دل عليه القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، والأخبار المتواترة عن المؤرخين . فان من غير المعقول ان يكون مقام أبيهم بالشام ثم هم ساكنون بالحجاز ، ولا أثر يدل على هجرتهم وانتقالهم من الشام الى مكة . ولا يمارى اهل الكتاب في ان الاسماعيليين كانوا يقيمون بالحجاز قبل شروق شمس الاسلام . وللباحث أن يسألهم : لماذا انتقل الاسماعيليون من أرض الشام الخصبة التي كانوا بها كما يزعمون الى أرض مكة الفقراء التي لم تكن في يوم من الايام صالحة للزراعة وتربية المواشى ؟ أكانت ثم حرب تسببت في نزوحهم أم كان هناك جذب ؟ فاذا كانت الحروب سببا في نزوحهم فما هي تلك الحروب وتلك القبائل التي أجبرتهم على الجلاء عن الشام ؟ ان استقراء التاريخ الانساني علمنا ان الجماعات البشرية في مختلف أدوار حياتها لا تفادى مواعنها الا لى الا لأحد الأسباب الآتية :

السبب الأول : ضيق المكان بسبب الكثافة السكانية ، فتضطر بعض القبائل من أجل ذلك الى النزوح طلبا للمكان الذى تجد فيه فسحة وامتدادا كهجرة سكان ما بين النهرين في العراق بسبب تزايد أعداد السكان على أرض لا تستوعبهم .

السبب الثاني : الجذب والجفاف ، حيث يقل المطر ، وتشح الأنهار ، وتجف الآبار ، وتنضب العيون ، وتتحول الحقول الخضراء والمراعي الخصبة ، الى صحراء قاحلة ، فيكون ذلك سببا للهجرة طلبا للحياة والكلاء والمعيشة .

السبب الثالث : الحوادث والنوازل كالحروب والفيضانات ، والضغوط السياسية ، فتكون هذه الأمور سببا من أسباب الهجرة الجماعية ، وأمثلة ذلك كثيرة في التاريخ مثل هجرة القبائل العربية من اليمن بسبب انفجار سد مأرب .

السبب الرابع : الدافع الديني وذلك بأن تمتد الجماعة المهاجرة ان الموضع الفلاني مقدس أو ان تبنيا سيظهر فيه ، وذلك كهجرة هاجر واسماعيل الى مكة لقدسيتها وشرف مكانها ومضاعفة الحسنات فيها وكهجرة اليهود الى يثرب قبل الاسلام انتظارا لمبعث الرسول الذى علموا صفاته من التوراة التي وصفت لهم موضع هجرته عليه السلام ، فنزل بعضهم بخيبر وبعضهم بالمدينة وما حولها لأنهما ذواتا نخيل جاء وصف المهاجرة به .

فأى هذه الأسباب كان وراء انتقال الاسماعيليين من الشام الى الحجاز؟ من أرض الشام التي جاء وصفها عندهم بأنها أرض تفيض لبنا وعسلا ، الى أرض مكة التي وصفها ابراهيم عليه السلام بقوله : " ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع / ربنا ليقموا الصلاة " أى ان الفرض من اسكان ابراهيم من ذريته بذلك الوادى الذى لا يوجد فيه شئ من الاسباب المادية للحياة ، هو الجانب الايماني الذى فيه حياة القلوب ، وغذاء الأرواح ، وهو الذى عبر عنه بقوله : " ليقموا الصلاة " على سبيل التعليل .

وللباحث أن يسألهم أيضا اذا كان الوعد الالهى باعطاء الأرض لنسل ابراهيم من نيل مصر الى نهر الفرات لا يتناول غير نسل اسحاق ثم نسل يعقوب - لان اسماعيل ابن أمة واين الأمة لا يمكن ان يرث ابراهيم كما زعمتم - فكيف بقي اسماعيل منافسا لاسحاق الوارث الشرعي لأبيه في نظركم؟

واذا نظرنا بعين الانصاف الى ذلك الوعد المروى في سفر التكوين ، والذي كان يتناول في الأصل جميع ذرية ابراهيم ، ثم جاء التخصيص بنسل اسحاق ، فان وراثة الأرض من النيل الى الفرات قد تحقق في نسل ابراهيم من اسماعيل منذ ظهور الاسلام الى يومنا هذا ، ولا يوجد من آل يعقوب الا حفنة لا تستعصى على العد ، وحتى تلك الحفنة المنتسبة اليه في يومنا هذا لا يمكن القطع بأنها من بنى اسرائيل . فالمقطوع به هو أنهم خليط من الأمم المختلفة غزت بلاد المسلمين باسم الصهيونية ، وتحت مظلة الصليبيين فأقامت دولة تسمى اسرائيل في أرض فلسطين المسلمة . وصدق الله العظيم القائل : " ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم " فانهما لم يزالا يحاربان المسلمين بمختلف الوسائل ، ويثربسان بهم الدوائر ليستسلم لنفوذهما المسلمون و يدوروا في فلكهما ويأتمروا بأوامرهما معرضين عن الاسلام وتعاليمه . ونسأل الله تعالى ان يحول بينهما وبينما يشتهيان ، وان يعيد للاسلام وأهله ما فقدوه من عز وتمكين انه سميع مجيب .

المبحث السادس

موقفهم من نبي الله لوط عليه السلام

تمهيد : نسبة الزنا الى الأنبياء في أسفارهم :

ان بنى اسرائيل وقفوا من أنبياء الله مواقف لا تليق بمكانتهم التي رفع الله قدرها . فمنهم من قتلوه ، ومنهم من كذبوه وسعوا في قتله ، ومنهم من رموه بمظائم الأمور ، كالكفر والزنا . ومن نسبوا اليه فاحشة الزنا ، لوط ، ويعقوب ، وداود عليهم السلام .
من تالمباحث
ونستعرض فيما يأتي / نصوص أسفارهم التي وردت فيها نسبة هذه الفاحشة الى هؤلاء الأنبياء الاطهار عليهم الصلاة والسلام .

✱

موقفهم من نبي الله لوط :

ان موقف بنى اسرائيل من نبي الله لوط عليه السلام ليس بدعا من موقفهم من نوح وابراهيم عليهما السلام فيما يتعلق بأمر رسالته الى أهل قريته . وما كان عليه قومه من أنواع الكفر والمعاصي ، فقد خلت روايتهم عن ذلك كله الا اشارة مجملة الى فساد قومه : جاء فيها قوله : " وكان أهل سدوم أشرا وخطاة لدى الرب " (١) وقوله : " وقال الرب ان صراخ سدوم وعمورة قد كثر وخطيتهم قد عظمت . أنزل وأرى هل فعلوا بالتمام حسب صراخها الاتي والا فاعلم " (٢)

(١) تكوين ١٣: ١٣

(٢) تكوين ١٨: ٢١ . قوله : " أنزل وأرى " الخ : يدل على أنهم لا يؤمنون

بعلم الله الشامل المحيط بكل شيء دقيقه وجليله . وهذا موقف من مواقفهم من الذات الالهية ، ومن كان هذا موقفه من رب العالمين فلا عجب ان يقف من أنبيائه هذه المواقف المزرية .

ولم يأت في الرواية هل أرسل اليهم لوط أولا . وهذه حالة تشبه حالتهم في حديثهم عن فساد قوم نوح المجرم ، وعدم ذكر رسالته الى قومه ، ثم فصلوا الحديث في حكاية ما نزل بهم من عذاب الله ونجاة لوط وبنتيه من الهلاك ، وذلك مثل نجاة نوح وأهله من الطوفان . ونستعرض نصوص أسفارهم في أمرين وهما قصة عرض لوط بنتيه على أهل سدوم ومناقشتها على ضوء القرآن الكريم وقصة بنتي لوط مع أبيهما ومناقشة تلك القصة وفيهما يتجلى موقفهم منه عليه السلام . :

أولا - قصة عرض لوط بنتيه على أهل سدوم :

جاء في سفر التكوين أن ملكين جاءا الى سدوم لاهلاكها ، فنزلا على لوط عليه السلام ليلا : " وقبلما اضطجعا أحاط بالبيت رجال المدينة ، رجال سدوم ، من الحدث الى الشيخ ، كل الشعب من أقصاها . فنادوا لوطا وقالوا له : أين الرجلان اللذان دخلا اليك الليلة ؟ أخرجهما الينا لتعرفهما . فخرج اليهم لوط الى الباب وأغلق الباب وراءه ، وقال : لا تفعلوا شرا يا أخوتي . هوذا لي ابنتان لم تعرفا رجلا اخرجهما اليكم فافعلوا بهما كما يحسن في عيونكم . واما هذان الرجلان فلا تفعلوا بهما شيئا لأنهما قد دخلا تحت ظلي سقني " (١) . وقوله : " افعلوا بهما ما يحسن في عيونكم " يدل دلالة واضحة على أن لوطا في زعمهم عرض بنتيه على أولئك القوم عرض محرما ، أي انه عرضهما للزنا دافعا عن الرجلين اللذين نزلا في ضيافته . وهذه اساءة عظيمة الى هذا النبي الكريم . فكيف يعرض أب بنتيه لفاحشة الزنا ، في سهيل الدفاع عن قوم لم يعرف هويتهم ، وليس مكلفا بحمايتهم من الأذى بما هو أقبح وأشنع من عمل القوم بالرجلين ؟ لأن الوصول الى الرجلين لا يمكن ان يحدث الا بعد أن يغلب على أمرهما وأمر لوط . وهو وضيافته في هذه الحالة معذوران شرعا وعرفا . وأما الوصول الى البنتين على النحو الذي أوردوه هنا أمكن ان يحدث

على سبيل الاختيار والعرض ، فليس هناك ما هو أفتح من الذنب بعد الكفر بالله أن يقدم أب بنته طعمة للمجرمين يفعلون بها ما يشاءون ، هذا كله إذا كان الأب من عوام الناس . فكيف يكون هذا الأمر من نبي كريم أرسل إلى الناس ليأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ؟ وهو أمر في غاية البعد عن ساحة هذا النبي الكريم .

وكون لوط عليه السلام عرض بناته عليهم أمر نوع من به ، غير أن إيماننا بذلك ليس مبنيا على ما جاء في هذه الرواية ، وإنما القرآن العظيم هو مصدر إيماننا بذلك ، ولكن على نحو لا يقدر في عصمة هذا النبي الكريم . وهذا ما سنوضحه في المناقشة التالية إن شاء الله تعالى .

*

مناقشة هذه القصة على

سورة القرآن الكريم

جاء في القرآن الكريم أن لوطا عليه السلام - الذي فتن قومه بآتيان الرجال شهوة من دون النساء ودعاهم إلى الكف عن تلك العادة السيئة المنحطة بأمر ربه تبارك وتعالى فرفضوا دعوته رفضا قاطعا - شق عليه أن يصل أهل قريته إلى ضيفه وهو لا يعلم أنهم ملائكة الله تعالى ، وذلك حينما جاءه قومه سرعينا بعد أن شاهدوا مجموعة من الرجال نزلوا على لوط عليه السلام ضيفا ، وراودوه عن ضيفه ، فطلب منهم الإكتفاء بالحلال عوضا عن الحرام فأبوا إلا أن ينالوا من ضيفه قال الله تعالى في كتابه الكريم :

" ولما جاءت رسلنا لوطا نسئ بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب ، وجاءه قومه يهرعون إليه ، ومن قبل كانوا يعملون السيئات ، قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ، ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد . قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد " (١) .

ظاهر الآية القرآنية محتمل أن لو طأ عليه السلام يريد بهذا الصريح أن يهذل بناته لمن يرغب ان ينكحهن منهم فعلى هذا أراد بالبنات بناته من صلبه . ومحتمل ان يكون دعاهم الى الاكتفاء بزوجاتهم عوضا عن الانهماك في وحل الرذيلة التي لا يقرها العقل السليم ولا الشرائع الالهية . وعلى هذا فالمراد بالبنات بنات قومه . واضغثن الى نفسه يراد بها الابوة النبوية ، لأن كل نبي أب لأُمَّته كما قال تعالى في حق محمد صلى الله عليه وسلم : " النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم " (١) وهو احتمال بعيد لما سيأتي بيانه . وهناك قول ثالث لا يحتمله اللفظ وهو عرضهن للفاحشة أما الاحتمال الأول : فهو الذي ينبغي أن يسار اليه لعدة أمور :

الأمر الأول : ان لو طأ عليه السلام نبي أرسل للدعوة الى الفضيلة ومحاربة الرذيلة ، فما كان له ان يدعو القوم الا الى ما فيه الخير والصالح لقومه وبناته .

الأمر الثاني : ليس من طبائع البشر السليمة أن يسلموا فلذات أكبادهم للآذى والرذيلة ، دفاعا عن قوم لا تعرف هويتهم من عابرى سبيل ، وخاصة فيما يتعلق بالأعراض . هذا في عامة الناس . فكيف يكون بالنسبة الى نبي مرسل ؟ .

الأمر الثالث : ان لو طأ عليه السلام ليس من أهل تلك البلاد ، وانما جاء مع عمه ابراهيم مهاجرا من أرض الكلدانيين وهو رجل غريب عنهم ، ولذلك كانوا لا يتورعون عن ايذائه واهانته بالاعتداء على ضيفه ، فعرض بناته عليهم طلبا للمصاهرة ليكون ذلك سببا يمنهم من الاعتداء عليه والسخرية من دعوته . ولذلك كان جوابهم : " مالنا في بناتك من حق " أى أنهم لا رغبة لهم في بناته لأنه رجل غريب عنهم ولأن طلبهم هو العمل الشاذ .

وأما الاحتمال الثاني : وهو دعوتهم الى الاكتفاء بزوجاتهم ، فأمر بعيد لصدده

أمر أيضا :

الأمر الأول : ان قوم لوط قوم مجرمون مجاهرون بالعداوة له ولمن نزل بداره ضيفا ، فكيف يخاطبهم بهذا الخطاب أى خطاب الأئمة وهم لا يمتدحون بنبوته ؟ فأبوة الأنبياء لا قوامهم انما هي للمؤمنين منهم خاصة ، بدليل آية الأحزاب السابقة .

الأمر الثاني : اجابة قوم لوط دلت على أنه ما أراد بالبنات نساء أهل قريته ،

وانما أراد بناته من صلبه وذلك حيث قالوا : " مالنا في بناتك من حق " . ولو كان مراده نساء قومه ، لكان جوابهم : (مالنا في نساءنا من رغبة) .

الأمر الثالث : قوله عليه السلام لقومه : " هؤلاء بناتي " يدل على أنه أشار

اليهن اشارة حضور ، ولا ريب ان نساء القوم لم يحضرن الى دار لوط مع قومهن ، لأنهن وان كن كافرات لا يؤمن بخلقهن بطبيعة خلقهن هذا العمل الذى عاد عليهن بالضرر ، حيث اكتفى الرجال بالرجال وأهملوا النساء . فدل هذا على أنه أراد بناته من صلبه .

وأما القول الثالث : فهو أبعد من الثاني ، ولا يدل عليه دليل . بل هو قول

مردود أتت به الرواية اليهودية . وقوله عقب ذلك لقومه : " فاتقوا الله " يدل على أنه طلب منهم كل مافيه الصلاح والتقوى . وكذلك قوله : " هن أظهر لكم " دليل قوى على أنه أراد الزواج الشرعي ، لأن السفاح لا يمكن أن يوصف بالطهارة .

قال في تفسير المنار : " وزعم بعض المفسرين انه عليه السلام عرغ على هؤلاء "

الفساق المجرمين بناته أن يستمتعوا بهن كما يشاءون . ومثل هذا في سفر التكوين (١٩ : ٨) وفيه أنهما اثنتان . ولا يعقل أن يقع هذا الأمر من أى رجل

صالح فضلا عن نبي مرسل . ولا يصح في مثله أن يعبر عنه أنه أظهر لهم ، ففسل الدم بالبول ليس من الطهارة في شيء . وان يعتقد أنهم لا يجيبونه السي هذا الفعل . بل الذنب في هذه الحال اكبر لأنه أمر بالمنكر ، وخروج عن الحكم الشرعي ايثارا للتجمل الشخصي ، وهو لا يتعارض مع قوله لهم بعده : (فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي) فان الزنا ليس من التقوى بل هو هدم لها ، وانما معنى هذا الأمر والنهي : فاجمعوا بما أمرتكم به بين تقوى الله باجتنب الفاحشة . وبين حفظ كرامتي وعدم الدلالى وامتهانى بفضيحتى في ضيفي فان فضيحة الضيف فضيحة للضيف واهانة له (١) .

وخلاصة القول ان هذا القول الأخير ليس له أصل في الاسلام وانما أخذه من أخذه من رواية اليهود ونحن في غنى عن ذلك القول المشين والحمد لله رب العالمين .

ثانيا - قصة بنتى لوط عليه السلام مع أبنيهما :

جاء في سفر التكوين أن لوطا عليه السلام سكن في مغارة مع ابنتيه بعد هلال قرية سدوم . وذلك حيث قال :

" وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه لأنه خاف أن يسكن في صوغر ، فسكن في المغارة هو وابنتاه . وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ ، وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كمادة كل الأرض . هلم نسقى أبانا خمرًا ونضطجع معه فنحیی من أبينا نسلا . فسقتا أباهما خمرًا في تلك الليلة ودخلت البكر واضطجعت مع أبنيهما ، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها . وحدث في الفد ان البكر قالت للصغيرة اني قد اضطجعت البارحة مع أبي نسقيه خمرًا الليلة أيضا فادخلي اضطجعي معه فنحیی من أبينا نسلا فسقتا أباهما خمرًا في تلك الليلة أيضا وقامت الصغيرة واضطجعت معه ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها ، فحبلت ابنتا لوط من أبنيهما . فولدت البكر ابنا ودعت اسمه موآب ، وهو أبو الموءابيين الى اليوم . والصغيرة أيضا ولدت ابنا ودعت اسمه ابن عمى وهو ابو بنى عمون الى اليوم " (٢) .

هذه القصة تبين لنا كيف كان اليهود ينالون من سمعة الانبياء ،
وذرياتهم فقد اعتدوا على هذا النبي الكريم بهذه المقالة الشنعاء ، ولم يراعوا
فيه مكانة النبوة ، ولا حرمة القرابة بينه وبين ابراهيم عليه السلام الذي كان لوط
من أتباعه المؤمنين من آل أبيه ، فمن الله عليه بالنبوة والرسالة .
ولعل المراد من وضع هذه القصة وأشباهها ، هو التمهيد لادعاء بنى
اسرائيل ان عنصرهم خير العناصر البشرية ، وأنهم شعب الله المختار بنسبه
وحسبه ، لا بايمانه وعمله الصالح ، وأن غيرهم من الشعوب ليس لهم شأن
في هذه الحياة ، ولا يقام لهم وزن فيها ، لأنهم ينحدرون من سلالات
منحطة ، وقد رأينا ذلك في موقفهم من اسماعيل عليه السلام وأمه ، وهذا موقف
آخر من مواقفهم من أنبياء الله تعالى ، وهو مناف للعصمة في موضعين :
الموضع الأول : في نسبة السكر وفقدان العقل (١) الى نبي مرسل فهو
باطل لا تنأون من بان الانبياء معصومون مما يقدح في نبوتهم من الأمراض
فكيف بفقدان العقل الذي يجعل المرء في درجة البهائم . والموضع الثاني :
في نسبة الزنا اليه وهو من الكبائر التي لا تجوز نسبتها الى نبي من أنبياء
الله تعالى (٢) .

- (١) فان قيل : ان لوطا لم يعتمد السكر لان بنتيه سقتاه السكر وهو لا
يدري ، ثم فعل ما فعل وهو في حالة السكر الذي لم يعتمده فكيف يلام
على شيء لم يعتمده ؟ قيل ان ايماننا بعصمة الانبياء يدفع هذا الاعتقاد
لان العصمة من الموقفات ليست خاصة بالعمد ، وانما هي تشمل حالة
العمد والخطأ / ان النبي معصوم من الكبائر عمدا وسهوا .
- (٢) قال الشيخ على بن محمد بن عبد الرحمن بن خطاب علاء الدين الباجي المتوفي
سنة ٧١٤ هـ " فان هذا لا يظن بلوط عليه السلام يسكر بحيث يغيب عقله الى
هذا الحد ، ولا أن يزنى بابنتيه ويحبها بولدى زنا . بل ولورقع هذا
لبعض آحاد الناس ، لما وسعته الأرض بعد ذلك خزيا وهما . بل لوفعله
غلاما لما أمكنه أن يراه بعد ذلك أصلا ، فضلا عن ان يقيم عذره بعدم علمه " .
على التوراة : كتاب في نقد التوراة اليونانية ص ٧٤ تحقيق احمد حجازي ،
طبعته مطبعة الحلبي الطبعة الاولى سنة ١٤٠٠ هـ .
- نشر التوراة اليونانية ...

ويؤكد عدم صحة هذه القصة عدة أمور . منها أن قومه هلكوا بسبب
اجرامهم وكفرهم ، وما نسبته اليهود اليه هنا أشد قبحا وأعظم جرما ، فان المعاصي
من الأنبياء لهي أقبح منها ممن دونهم . ومن منها أن امرأة لوط انما هلكت
بسبب جرمها ومالائها قومها في علمهم الشنيع ، ولم ينفعها كونها زوجة
نبي ، وأن الله نجى لوطا وبناته لايمانهم وصلاحهم ، وذلك بمثابة
الشهادة لهم من الله تبارك وتعالى على أنهم من الصالحين ، ولا يتصور أن
يقع هذا الفجور من شهد الله لهم بالصلاح وكافأهم بالنجاة والفلاح ، وخاصة
بعد أن أهلك الله أولئك المنحرفين بوقت قصير ، وذلك خير واعظ وأعظم
زاجر .

ومن منها : ان الفاحشة في بيت الأنبياء عقوبتها ضعفان ، لقوله تعالى :
" يانسأ النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين
وكان ذلك على الله يسيرا " (١) . فأى فاحشة أقبح من أن يسكر نبي فيضاجع
بنتيه ، ويكون ذلك من البننتين على سبيل العمى ، أى الاسكار والمضاجعة ؟
ليس هناك ما هو أقبح من الذنوب بعد الكفر بالله تعالى من أن يزني أب
بابنته . فاذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عد من اكبر الكبائر الزنا
بحليلة الجار لما للجار من حقوق أوجبها الله تعالى ، فكيف يكون هذا
وخاصة من نهي مرسل ؟ !

ومن منها : أن ما نسبوه الى البنت الكبرى من أنها قالت للصفرى : " وليس
في الأرض رجل ليدخل علينا كمادة كل الأرض " دليل واضح على ان هذه القصة
مصنوعة مكذوبة ، وأن واضعها ليس فيه ذرة من عقل . لأن الهلاك انما حل
بقريتي سدوم وعمورة . وقرية صوغر التي لجأ اليها لوط وابنتاه عند نجاتهم
من القرية المهلكة ، كانت قريبة منهم ، وابراهيم عليه السلام كان يسكن في موضع
قريب من ذلك المكان ، فكيف يستقيم القول : ليس في الأرض رجل ؟ بل هناك
رجال ورجال .

قال ابن حزم رحمه الله تعالى تعليقا على هذه الرواية : " في هذه
الفصول فضائح وسوّات تقشعر من سماعها جلود المؤمن بالله تعالى ،
العارفين حقوق الأنبياء عليهم السلام .

فأولها : ما ذكر عن بنتي لوط عليه السلام من قولها (١) : ليس
أحد في الأرض يأتينا كسبيل النساء تعالى نسق أبانا خمرا ونضاجعه
ونستبق منه نسلا . فهذا كلام أحق في غاية الكذب والبرد . أتري
كان انقطع نسل ولد آدم كله حتى لم يبق في الأرض أحد يضاجعها ؟
ان هذا لصجب ! فكيف والموضع معروف الى اليوم ، ليس بين تلك الصفارة
التي كان فيها لوط عليه السلام مع بنتيه ، وبين قرية سكنى ابراهيم عليه
السلام الا فرسخ واحد لا يزيد . وهو ثلاثة أميال فقط . فهذه سوءة .

والثانية : الخلاق الكذاب الوضع لهذه الخرافة لعنه الله ، هذه
الطومة (٢) على الله عز وجل من أنه أطلق نبيه ورسوله صلى الله عليه وسلم على
هذه الفاحشة العظيمة من وطء ابنتيه واحدة بعد الأخرى . فان قالوا :
لا ملامة عليه في ذلك ، لأنه فعل ذلك وهو سكران ، وهو لا يعلم من هما ؟
قلنا : كيف عمل ان رآهما حاملتين ، وان رآهما قد ولدتا ولدين لغير رشدة ،
وان رآهما تربيان أولاد الزنا ؟ هذه فضائح الأبد ، وتوليد الزنادقة
المبالغين في الاستخفاف بالله تعالى وپرسله عليهم السلام .

والثالثة : اطلاقهم على الله تعالى أنه نسب أولاد ذينك الزنيمين ،
فرخي الزنا الى ولادة لوط عليه السلام حتى ورثهما بلدين كما ورث بنو
اسرائيل وبنى عيسوا بنو اسحاق سواء (٣) . تعالى الله عن هذا علوا كبيرا . (٤)

(١) في النسخ التي بين أيدينا ان الكبرى هي التي قالت للصغرى .

(٢) الطومة بضم الطاء المهمة : العنية والداهية . كما في القاموس .

(٣) يريد ابن حزم رحمه الله ما جاء في سفر التثنية (٢ : ٤-٢٠) مما يتضمن

الأمر الإلهي لموسى عليه السلام بعدم الاعتداء على بني عيسو وبنى

موآب وبنى عمون لأنه منحهم الأرض التي هم ساكنون بها ميراثا .

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ص ١٣٣ - ١٣٤ .

وقال حبيب سعيد : " أما عن الحادث الآخر الذي رواه السفر المقدس

(١٩ : ٣٠-٣٨) عن اضطجاع لوط مع ابنتيه ، فقد ذهب بعض الشراح

الى ان الفكرة هي ابراز التناسل من أسرة ابراهيم على أنسال الموابيين

والصومنيين . وقال آخرون : ان هدفها تكريم المرأة التي تقبل على نفسها

أن تبقى على الحياة الانسانية على الأرض ولو بطريق التناسل غير المشروع (١)

هذا الكلام يؤكده ما سبق أن اشرنا اليه في قصة سارة مع فرعون وأبيمالك

أن الفرض من هذا استباحة اتخاذ النساء وسيلة يصلون بها الى

أهدافهم الخبيثة .

(١) خليل الله في اليهودية والمسيحية والاسلام ص ٦١ .

الفصل الثالث

بيان موقفهم من عاصروهم من الأنبياء

وفيه

ستة مباحث

- المبحث الأول : في بيان موقفهم من أبيهم يعقوب عليه السلام.
- المبحث الثاني : في بيان موقفهم من موسى وهارون عليهما السلام.
- المبحث الثالث : بيان موقفهم من داود عليه السلام.
- المبحث الرابع : بيان موقفهم من سليمان عليه السلام .
- المبحث الخامس : بيان موقفهم من عيسى ابن مريم عليه السلام.
- المبحث السادس : بيان موقفهم من خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم .

المبحث الأول

موقفهم من أبيهم يعقوب عليه السلام

لقد أظهر اليهود :أباهم يعقوب عليه السلام بمظهر الرجل الحرص على جمع الأموال بمختلف الوسائل فنسبوا اليه جملة من الأفعال تقدر في مكانته غير أنه الذي نوردته هنا هو ما يعتبر أقبح ما نسبوا اليه من أفعال، ذلك العمل القبيح هو فاحشة الزنا ، وان كانوا يروونها بطريقة من الممكن أن يوجد له فيها عذر لو كان من عامة الناس ولم يكن نبيا ، ولم يكن مستمرا على ذلك الفعل بعد ما تبين له الأمر .

ولقد جاء في سفر التكوين ان يعقوب عليه السلام أقام عند خاله لابان في حاران ، واتفق معه على رعي الغنم لمدة سبع سنوات على ان يزوجه لابان احدى ابنتيه ، وهى راحيل التي كانت صغرى بنتيه وأجملهما . ولما أتم يعقوب سبع سنوات طلب من خاله لابان انجاز ما وعد به فقال :

" أعطنى امرأتى لأن ايامى قد كملت ، فأدخل عليها . فجمع لابان جميع أهل المكان وصنع وليمة . وكان في المساء أنه أخذ ليثة ابنته وأتى بها اليه فدخل عليها وأعطى لابان زلفة جارته لليثة ابنته جارية . وفي الصباح اذا هي ليثة . فقال للابان : ما هذا الذى صنعت بي ؟ أليس براحيل خدمت عندك ؟ فلماذا خدعتنى ؟ فقال لابان : لا يفعل هكذا في مكاننا ان تعطى الصغيرة قبل البكر . اكمل أسبوع هذه فنعطيك تلك أيضا بالخدمة التى تخدمنى أيضا سبع سنين ففعل يعقوب هكذا فأكمل أسبوع هذه . فأعطاه راحيل ابنته زوجة له " (١) .

ظاهر هذا النص يدل على أن يعقوب عليه السلام قد خدع وغرره ، فدخل على امرأة ليست له ، فضايعها ، ولم يتبين حقيقة الأمر الا في الصباح . غير أن هذا لا يجوز وقوعه لنبي ، لأن الله عز وجل يعصم نبيه من الوقوع في

الرديلة . فكيف وقع هذا الخداع لنبي ؟ وكيف أمضى هذا النبي تلك الخديعة بعد ما علم بها ؟ حتى ولدت له تلك المرأة عددا كثيرا من أولاده .

قال ابن حزم رحمه الله تعالى : " هذا الفصل أبدة الدهر . وهي

اقرارهم أن يعقوب عليه السلام تزوج راحيل فأدخلت عليه غيرها . فحصلت ليثة الى جنبه بلا نكاح وولد لها منه ستة ذكور وابنة . وهذا هو الزنا بعينه . أخذ امرأة لم يتزوجها بخديعة . وقد أعان الله نبيه من هذه السوءة . وأعان

انبياءه عليهم السلام ، موسى وهارون وداود وسليمان من أن يكونوا من مثل هذه الولادة . وهذا يشهد ضرورة أنها من توليد زنديق متلاعب بالديانات^(١)

وما يجعل هذه القصة في معزل عن الصدق أنها تضمنت أن يعقوب

عليه السلام عاش مع تلك المرأة بلا عقد يبيح له لأن العقد السابق كان على

راحيل التي أمسكت عنه وهي زوجته . ثم تزوج راحيل الزوجة الشرعية بشروط

جديد . وهذا لا يقدم عليه عاقل فضلا عن نبي مرسل .

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ص ١٤٠ .

المبحث الثاني

موقفهم من موسى وهارون عليهما السلام

نستعرض في هذا المبحث موقف بني اسرائيل من موسى وهارون عليهما السلام ، ونظرتهم الى رسالة موسى كما جاء في أسفارهم . ثم نعقب^{عليه} ذلك بما جاء في القرآن الكريم من مواقفهم منهما أو من أحدهما ، وما ينقد ذلك من الآيات القرآنية التي تدل على علو قدرهما ، ورفعة مكانتهما عند الله تعالى .

لقد سبق في الباب الأول ايضاح سبب انتقال بني اسرائيل وأسيهم من أرض كنعان الى أرض مصر ، وذكرنا هناك ما منحوا من امتيازات ، وكرم ضيافة ، وحسن جوار ، لمكانة يوسف عليه السلام من فرعون ، وما نالهم من الذلة والمسكنة والهوان بعد وفاة يوسف وانتقال حكم مصر الى من لا يعرف ما كان ليوسف من منزلة عادت على قومه بفوائد جمة ، ثم بينا هناك ما ترتب على ذلك من أمور كان من بينها خروج موسى من مصر الى أهل مدين ، وإقامته بها فترة ، ثم عودته الى مصر مرسلًا من ربه عز وجل الذي شد عضده بأخيه هارون عليه السلام . لذلك نكتفي بما ورد هنالك من الاعادة .

كانت رسالة موسى عليه السلام لتحقيق غايتين ، وهما التحرير والتنوير . أى تحرير بني اسرائيل من ذل العبودية ، وتنويرهم باخراجهم من ظلمات الكفر والجهل الى نور العلم والايمان .

أما تحريرهم من العبودية فقد تحقق على يد موسى وهارون بعد جهسده وعناء وصبر وثبات أمام فرعون وقومه ، ثم أمام بني اسرائيل الذين لقيوا منهم من التمرد والعصيان والكفر وسوء الأدب ما يصعب وصفه .

وأما تنويرهم بنور العلم والايمان ، فانه لم يوت ثماره المطلوبة رغم جهاد الرسولين الكريمين المتواصل . ذلك بأنهم نظروا الى موسى عليه السلام من خلال جانب التحرير فقط . أى انهم نظروا الى زعامته نظرة الشعوب المستعبدة الى زعيم قادهم من العبودية الى الحرية ، ولم ينظروا اليه نظرة أمة مؤمنة بالله الى رسولها .

فلما نظر بنو اسرائيل هذه النظرة المادية الى موسى ومعه هارون عليهما السلام ، استباحوا الخروج عليهما واستحلوا عصيانهما ، ونازعوهما في الامر فقاموا من أجل ذلك بشورات متكررة ، غير متأثرين أو معتبرين بتلك الآيات الهيئات التي اجراها الله تعالى على يد موسى امام عيونهم ، ولم يقدرُوا نعم الله المتراصة / حيث أنقذهم من الذل والهوان الى العز والتكفين .
وفيما يأتي نستعرض تلك المواقف التي وقفها بنو اسرائيل من موسى وهارون في دعوتهما وسلوكهما وعقيدتهما ابتداءً من موقفهم وهم في مصر حتى وفاة موسى عليه السلام .

الموقف الأول :

حينما ضاعف فرعون المذاب على بني اسرائيل بعد طلب موسى منه أن يطلق قومه ، كان لهم موقف جديد يخالف موقفهم الأول الذي آمنوا فيه بموسى وسجدوا لله شكرا ، وفي هذا الموقف الجديد انقلبوا على أعقابهم وشكوا في صحة دعوة موسى وهارون واتهموهما بالتسبب في زيادة القسوة عليهم ، ودعوا عليهما من أجل ذلك قائلين :

" ينظر الرب اليكما ويقضى ، لا أنكما أنتنتما راحتنا في عيني فرعون وعميون عبيده حتى تعطيا سيفا في أيديهم ليقتلونا " (١) .

وهذا ما لا يجوز أن تقوله أمة مؤمنة برسولها . ثم تجاوزوا هذا الحد فآبوا ان يسمعوا لموسى عليه السلام حينما أكد لهم بأن وعد الله سيتحقق ، وأنهم سيخرجون من قبضة فرعون وجبروته ، جاء ذلك في سفر الخروج أيضا عند قوله :

" فكلم موسى هكذا بني اسرائيل ، ولكن لم يسمعوا لموسى من صفر النفس ومن العبودية القاسية " (٢)

هذا كان موقفهم قبل الخروج من مصر . وأما موقفهم بعد الخروج منها فحدث ولا حرج . ففي اماكن مختلفة من رحلاتهم المتواصلة قاموا بالصخب والضجيج وهو ما يعرف اليوم بالمظاهرات الصاخبة في وجه موسى وهارون عليهما السلام .

الموقف الثاني :

حينما اقترب فرعون من بنى اسرائيل بعد خروجهم من مصر . كان لهم موقف آخر من موسى عليه السلام ، فقد استولى عليهم الرعب الشديد فقالوا لموسى عليه السلام :

" هل لانه ليست قبور في مصر أخذتنا لموت في البرية ؟ ماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من مصر ؟ أليس هذا هو الكلام الذى كلمناك به في مصر قائلين : كف عنا فتخدم المصريين ، لانه خير لنا أن نخدم المصريين من أن نموت في البرية " (١) .

وهذا الكلام يدل على ندمهم على الخروج مع موسى وعلى إعانتهم إياه وإصرارهم على موقفهم الأول . وفي اختيارهم خدمة المصريين على طاعة موسى عليه السلام ما يدل على كفرهم . لأن الأمر بالخروج صادر عن الله عز وجل على لسان موسى عليه السلام . ولو كانوا يؤمنون بالله ورسوله لما كان لهم ان يختاروا على أمره تعالى هواهم .

الموقف الثالث :

بعد ما أمر موسى بقومه البحر ورحل من شاطئه الى برية شور ، كان لهم موقف ثالث . وهو أنهم لم يجدوا بعد رحيلهم من بحر سوف ماء يشربونه لمدة ثلاثة أيام ، حتى جاءوا الى ماء لم يطبقوا شربه لمرارته . فهناك واجهوا موسى عليه السلام بالشغب :

" فتذمر الشعب على موسى قائلين : ماذا نشرب ؟ فصرخ الى الرب فأراه الرب شجرة فطرحها في الماء فصار الماء عذبا " (٢) .

ان طلب الماء ليس معصية ولا سوء ، ولكن التذمر الذى معناه اللوم والتفضب والتكر للشئ والتوعد (٣) ، يدل على أنهم لم يطلبوا بأدب ووقار وإنما طلبوا بتوعد وتهديد مع ما بدا عليهم من اللوم على خروجه بهم ، وموافقتهم على الخروج معه .

(١) خروج ١٤: ١١-١٢ (٢) خروج ١٥: ٢٤-٢٥
(٣) في القاموس المحيط : " الذمر الملامة والحض والتهديد ... وتذمر لأم نفسه على فائت وتغضب وعليه : تنكر له وأوعده " .

الموقف الرابع :

بعد شهرين ونصف من خروجهم من مصر ، كان لهم موقف رابع من موسى وهارون عليهما السلام فقد تذمروا عليهما باجماع . لأنهم تذكروا قدور اللحم ، ووفرة الخبز في مصر ، فتمنوا لو كانت منيتهم هناك :

" فتذمر كل جماعة بنى اسرائيل على موسى وهارون في البرية . وقال لهما بنو اسرائيل : ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر اذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزا للشبع . فانكما أخرجتنا الى هذا القفر لكي تميتنا كل هذا الجمهور بالجوع " (١) .

وفي قولهم هذا من الندم والحسرة على أنهم أطاعوا الرسولين موسى وهارون عليهما السلام ما لا يحتاج الى توضيح . فقد أنزل الله تعالى بعد هذه الحادثة العن والسلوى فأكلوا وشبعوا . ولما نهاهم موسى ان لا يهتق احد منهم من العن/الى الصباح ^{مخدره} ، عصوه ولم يسمعوا له فأبقاه اناس الى الصباح فتولد فيه دود وأنتن وبعد هذا هدأوا قليلا . ثم بلو هذه النعمة وسئموها فكان لهم موقف آخر وهو الموقف السابع .

الموقف الخامس :

وكان لهم موقف خامس من مواقفهم العجيبة ، فقد وقفوا من موسى في موضع اخر موقفا شديدا اذ خاصموه وتذمروا عليه ، ولا موه لوما شديدا على خروجه بهم من مصر ، وذلك بسبب ما نالهم من العطش حيث لم يجدوا ماء للشرب فكادوا يرمونه عليه السلام :

" ولم يكن ماء ليشرب الشعب ، فخاصم الشعب موسى وقالوا : أعطونا ماء لنشرب . فقال لهم موسى : لماذا تخاصمونني لماذا تجربون الرب ؟؟ وعطش هناك الشعب الى الماء ، وتذمر الشعب على موسى ، وقالوا : لماذا أصعدتنا من مصر لتميتنا وأولادنا ومواشينا بالعطش ؟ فصرخ موسى الى الرب قائلاً : ماذا أفعل بهذا الشعب بعد قليل يرمونني " (٢) .

وفي صرخة موسى هذه ، وشكواه الى ربه ما يلاقيه من قومه ، وما ترقبه منهم من الرجم ، ما يبين للقارى مدى قسوة قومه وصلابتهم في ايذاء من سعادتهم على يده . وفي هذا الموقف أغاث الله نبيه موسى ان يضرب الصخرة بمصاه ، فانفجر منها الماء فشربوا .

الموقف السادس :

وكان لهم بعد هذا موقف آخر ولكنه موقف غير واضح وان وصف بالشر . وفي هذا الموقف تعرضوا لعقاب عاجل ان نزلت نار الرب فأحرقت جانبها من خيامهم : " وكان الشعب كأنهم يشتكون في أذن الرب وسمع الرب فحمى غضبه ، فاشتعلت فيهم نار الرب وأحرقت في طرف المحلة . فصرخ الشعب الى موسى فصلى موسى الى الرب فحذت النار ، فدعى اسم ذلك تبعية (١) لأن نار الرب اشتعلت فيهم " (٢) .

الموقف السابع :

في الموقف الرابع رأينا كيف كان بنو اسرائيل تمنوا لو كانت منيتهم في مصر عند قدور اللحم ووفرة الخبز ، ورأينا هناك الحسرة والندامة التي سيطرت عليهم حتى واجهوا موسى عليه السلام مواجهة شديدة تفوح منها رائحة الكفر والعصيان ، وكان من نتيجة ذلك الموقف أن أنزل الله عليهم المن لعلمه عز وجل أنهم يهتمون بامتلاء بطونهم بالطعام والشراب لا بامتلاء القلوب بالايمان . وبعد ان استمروا حيناً من الزمن على أكل المن سئموا وملوا فكان لهم موقف سابع :

" واللفيف الذى في وسطهم انتهى شهوة ، فعاد بنو اسرائيل أيضا ويكوا ، وقالوا : من يطعمنا لحماً ؟ قد تذكرنا السمك الذى كنا نأكله في مصر مجاناً .

(١) تبعية : أى اتقاد واحتراق ، أو احراق . قاله في السنن القويم ج٢ ص ٢٦١

(٢) عدد ١١ : (٣-١)

والقثا والبطيخ والكراث والبصل والثوم . والآن قد يبست أنفسنا ليس شيء غير أن أعيننا الى هذا المن" (١) .

انهم هنا تاقوا الى الكد والعمل ، فلم يقلوا نعمة الله التي تأتيهم

وعدا ، بل استقلوها وتمنوا ان يكونوا فلاحين كما كانوا في مصر .

ولقد أحسن البوصيري في وصف موقفهم هذا حيث قال في همزته (٢) :

وسفيه من ساءه المن والسلوى وأرضاه القوم والقشاة (٣)

وبعد هذا الموقف الذي ظهر فيه بجلاء سلوك بنى اسرائيل المادى ،

واستهتارهم برسولهم ، شك موسى عليه السلام ما يعانيه من البلاء من هذا

الشعب المتطفل ، فاستجاب الله له وعززه بسبعين رجلا من شيوخهم

وعرفائهم كما تقول روايتهم : " فقال الرب لموسى اجمع الى سبعين رجلا من

شيوخ اسرائيل الذين تعلم أنهم شيوخ الشعب وعرفاؤه ، وأقبل بهم الى خيمة

الاجتماع فيقفوا هناك معك ، فأنزل أنا وأتكلم معك هناك وأخذ من الروح

الذى عليك وأضع عليهم فيحملون معك ثقل الشعب . فلا تحمل أنت وحدك

وللشعب تقول تقدسوا للغد فتأكلوا لحما لأنكم بكيتم في أذننى الرب قائلين :

من يطعمنا لحما" (٤)

ومع ما يفوح من هذا النص من رائحة التجسيم حيث ذكروا أن الرب ينزل

الى خيمة الاجتماع فيتكلم مع موسى والشيوخ يسمعون وهو تحريف وكذب بلا شك ،

ذكروا بعد هذا ان الله تعالى ساق اليهم السلوى من البحر بواسطة ريح

فملاً مسيرة يوم من كل جهة من منازلهم وبلغ ارتفاعها من الأرض نحو ذراعين .

(١) عدد ١١ : ٤-٦

(٢) هو شرف الدين محمد بن سعيد البوصيري المولود سنة ٦٠٨ والمتوفي سنة ٦٩٦ هـ

انظر ترجمته في ديوان البوصيري بتحقيق محمد سيد كيلاني الطبعة الثانية

سنة ١٣٩٣ هـ بمطبعة مصطفى الحلبي .

(٣) ص ٦٤ ديوان البوصيري (٤) عدد ١١ : ١٦-١٨

فجمعوا وأكلوا بنهم ، ثم نزل بهم العقاب الالهي الرادع لو كانوا يرتدعون :
" وان كان اللحم بين أسنانهم قبل ان ينقطع ، حتى غضب الرب على الشعب ،
وضرب الرب الشعب ضربة عظيمة جدا ، فدعى اسم ذلك الموضع قيسروت
هتأوة (١) لأنهم هناك دفنوا القوم الذين اشتبهوا " (٢) ومع هذا العقاب^{الرادع}
للقوم على ما اقترفوا ، ومع استجابة الله لهم بانزال السلوى لهم ، كان لهم
موقف آخر .

الموقف الثامن :

وبعد أن رزقهم الله السلوى ، وعاقب الذين قادوا ذلك التمرد بالموت
العاجل ، كان لبعضهم موقف آخر من موسى عليه السلام ، غير ان هذا الموقف
اقترب به ما يدل على عدم وقوعه ، لأن هارون عليه السلام من جملة من وقف
فيه ضد موسى في زعمهم . وكان هذا الموقف موقفا عائليا كما يصورون ،
والهدف منه معارضة موسى على تزوجه امرأة كوشية وكانت مع هارون في
هذا اليوم أخته مريم :

" فتكلمت مريم وهاارون على موسى بسبب المرأة الكوشية التي اتخذها ،
لأنه كان قد اتخذ امرأة كوشية . فقالا هل كلم الرب موسى وحده ؟ ألسم
يكلمنا نحن أيضا ؟ فسمع الرب . وأما الرجل موسى فكان حليما جدا أكثر
من جميع الناس الذين على وجه الأرض " (٣) .

فكانت عقوبة هذه المعارضة ان أصيبت مريم بالبرص فتضرع موسى الى ربه
ليشفها ، فأمره الله ان يحجوها خارج منازلهم أسبوعا ثم تعاد .
" فقال الرب حالا لموسى وهاارون ومريم : اخرجوا أنتم الثلاثة الى خيمة
الاجتماع فخرجوا هم الثلاثة . فنزل الرب في عمود سحاب ووقف في باب الخيمة .
ودعا هارون ومريم فخرجا كلاهما . فقال اسمعا كلامي ان كان منكم نهي للرب
فبالرؤيا استعلن له في الحلم أكله . وأما عدى موسى فليس هكذا بل هو

(١) قبروت هتأوة : قبور الشهوة . انظر السنن القويم ج ٢ ص ٢٦٥ .

(٢) عدد ١١ : ١٢ : ١-٣

(٣) عدد ١١ : ٣٣-٣٤

أمين في كل بيتي فما الى فم وعيانا أتكلم معه لا بالالفاظ . وشبه الرب
بمعين . فلماذا لا تخشيان ان تتكلما على عبي موسى ؟ فحمى غضب الرب
عليهما ومضى . فلما ارتفعت السحابة عن الخيمة اذا مريم برصاء كالثلج ،
فالتفت هارون الى مريم واذا هي برصاء كالثلج . فقال هارون لموسى : أسألك
يا سيدى لا تجعل علينا الخطية التي حمقنا وأخطأنا بها . فلا تكس كالنيت
الذى يكون عند خروجه من رحم أمه قد أكل نصف لحمه . فصرخ موسى الى
الرب قائلاً : اللهم اشفها . فقال الرب لموسى : ولوبصق أبوها بصقا في
وجهها ، أما كانت تخجل سبعة أيام ؟ تحجز سبعة أيام خارج المحلة
وبعد ذلك ترجع . فحجزت مريم خارج المحلة سبعة أيام . ولم يرتحل الشعب
حتى أرجعت مريم (١) .

ليت شعرى كيف عوقبت مريم وحدها على ذلك الذنب ، مع أنها لم
تكن وحدها في ذلك الموقف ، بل كان معها هارون كما يزعمون ؟ هل
حل بها العقاب وحدها لأنها امرأة ؟ أليست مريم في نظرهم نبيية
كما جاء ذلك في قوله : " فأخذت مريم النبية اخت هارون الدف بيدها وخرجت
جميع النساء وراءها بدفوف ورقص " (٢) . فلماذا لم يعاقب هارون أيضا ؟
وهذا يدل على أنه لم يكن شريكا في هذه المقاومة ، فإله تعالى لا يجامل أحدا
لأنه كبير ، ويعاقب غيره لأنه صغير .

الموقف التاسع :

وبعد تلك المواقف السابقة المتنوعة ، كان لهنى إسرائيل موقف آخر قد يكون
من أشد المواقف على موسى عليه السلام ذلك أن الله تعالى وعدهم على لسان
عبد موسى بأن تكون لهم الأرض المقدسة فأمرهم أن يدخلوها ، ولكنهم خافوا من
سكانها وجبنوا ، فأبوا ان يدخلوها ، بعد أن علموا ان سكانها قوم أشداء ، أقوى ،
ولم يهتق على طاعة موسى وهارون من قومه الا رجالان فقط كما تقول الرواية .

(١) عدد ١٢ : ٤-١٥

(٢) خروج ١٥ : ٢٠ كان هذا الرقص عقب نجاتهم من قبضة فرعون وبعد غرقه مباشرة .

حتى بلغ من جبنهم وعصيانهم ان عزموا على الرجوع الى مصر وتولية رئيس يقودهم اليها :

"فرفعت كل الجماعة صوتها وصرخت وبكى الشعب تلك الليلة . وتذمر على موسى وعلى هارون جميع بنى اسرائيل ، وقال لهما كل الجماعة : ليتنا متنا في أرض مصر ، أو ليتنا متنا في هذا القفر . لماذا أتى بنا الرب الى هذه الأرض لنسقط بالسيف ؟ تصيرنساوئنا وألغالنا غنيمة . أليس خيرا لنا أن نرجع الى مصر ؟ فقال بعضهم لبعض : نقيم رئيسا ونرجع الى مصر . فسقط موسى وهارون على وجهيهما امام كل معشر جماعة بنى اسرائيل . ويشوع بن نون وكالب بن يفتة من الذين تجسسوا الأرض مزا ثيابهما . وكلما كل جماعة بنى اسرائيل قائلين : الأرض التي مررنا فيها لتجسسها الأرض جيدة جدا . وان سر بنا الرب يدخلنا الى هذه الأرض ويعطينا اياها أرضا تفيض لبنا وعسلا . انما لا نتطردوا على الرب ولا تخافوا من شعب الأرض لانهم خبزنا قد زال عنهم ظلهم والرب معنا لا تخافوهم . ولكن قال الجماعة ان يرحمنا بالحجارة" (١) .

وبعد هذا الموقف المخزى ، أرا ان الرب ان يهلكهم ويبيدهم : "وقال الرب لموسى حتى متى يهينى هذا الشعب ؟ وحتى متى لا يصدقوننى بجميع الآيات التى عملت في وسطهم ؟ انى أضربهم بالهواء ، وأبيدهم ، وأصيرك شعبا اكبر وأعظم منهم" (٢) .

فتضرع موسى الى ربه ان لا يهلكهم حتى لا يشمت بهم من يسمع هلاكهم من الأمم فاستجاب الله له ولكنه حرم على ذلك الجيل دخول الأرض المقدسة ، وقضى عليهم أن يتيهوا في البرية أربعين سنة . "فقال الرب : قد صفحت حسب قولك . ولكن حى أنا فتملا كل الأرض من مجد الرب ان جميع الرجال الذين رأوا مجدى وآياتى التى عملتها في مصر ، وفي البرية وجرىوني عشرين

ولم يسمعوا لقولي . لن يروا الأرض التي حلفت لأبائهم . وجميع الذين
أهانوني لا يرونها . وأما عدي كالب فمن أجل أنه كانت معه روح أخرى ،
وقد اتبعني تماما أدخله الى الأرض التي ذهب اليها وزرعه يرثها . . . حتى
متى أغفر لهذه الجماعة الشريرة المتذمرة على ؟ قد سمعت تذر بنو اسرائيل
الذي يتذرونه على . قل لهم حتى أنا يقول الرب : لا فعلن بكم كما تكلمتم
في أذني في هذا القفر تسقط جثثكم جميع المعدودين منكم حسب عددكم .
من ابن عشرين سنة فصاعدا الذين تذرنا علي لن تدخلوا الأرض التي رفعت
يدي لأسكنكم فيها ، ما عدا كالب بن يفتة ويشوع بن نون وأما أغفالكم
الذين قلتم يكونون غنيمة ، فاني سأدخلهم فيعرفون الأرض التي احتقرتموها .
فجثثكم أنتم تسقط في هذا القفر . ونوكم يكونون رعاة في القفر أربعين سنة
ويحملون فجوركم حتى تقني جثثكم في القفر . كمدد الأيام التي تجسستم فيها
الأرض أربعين يوما للسنة يوم تحملون ذنوبكم أربعين سنة فتعرفون ابتعادى .
أنا الرب قد تكلمت لأفعلن هذا بكل هذه الجماعة الشريرة المتفكة علي في
هذا القفر يفنون وفيه يموتون " (١) .

الموقف العاشر :

وبعد هذا الموقف الذي عوقب عليه بنو اسرائيل بالحرمان من دخول
الأرض المقدسة ، وبالتسيه أربعين سنة في صحراء سيناء ، لم يكفوا عن ايدائهم
وعصيانهم . فقد كان لبعضهم موقف من موسى وهارون عليهما السلام ، ولكنه
في البداية لم يكن موقفا اجماعيا ، وان أوشك في النهاية ان يكون كذلك هذا
الموقف كان لجماعتين منهم من بنى لاوى ، وبنى رؤيين ، مع اناس آخرين من
بنى اسرائيل . لقد تزعم هذه الجماعة قورح (قارون) من بنى لاوى والألحسان داثان
وأبسيرام ، ومعهما أون وهم جميعا من بنى رؤيين ، وانضوى تحت قيادتهم جماعة
من بنى اسرائيل ، فأخذوا يقاومون موسى وهارون عليهما السلام . ولكنهم عوقبوا

عقابا شديدا كان عرة للمعتبرين وكان هذا بعد أن قضى الله عليهم بالحرمان والته في الأرض أربعين سنة . . واليك ما جاء في ذلك :

" وأخذ قورح بن يصرار بن قهات بن لاوى ، ودانان وأبيرام ابنا ألياب ،

وأون بن فالت بنو راويين ، يقاومون موسى مع أناس من بنى اسرائيل مائتين وخمسين رؤساء الجماعة مدعويين للاجتماع ذوى اسم . فاجتمعوا على موسى وهارون ، وقالوا لهما : كفاكما ان كل الجماعة بأسرها مقدسة وفي وسطها الرب . فما بالكما ترتفعان على جماعة الرب ؟ فلما سمع موسى سقط على وجهه .

ثم كلم قورح وجميع قومه قائلا : غدا يعلن الرب من هوله ومن المقدس حتى يقربه اليه . فالذى يختاره يقربه اليه ، افعلوا هذا خذوا لكم مجامر ، قورح وكل جماعته . واجعلوا فيها نارا ، وضعوا عليها / ^{حجورا} امام الرب غدا ، فالرجل الذى يختاره الرب هو المقدس . كفاكم يا بنى لاوى . وقال موسى لقورح :

اسمعوا يا بنى لاوى اقليل عليكم ان اله اسرائيل أفرزكم من جماعة اسرائيل ليسقربكم اليه لى تعملوا خدمة مسكن الرب وتقفوا قدام الجماعة لخدمتها . فقربك وجميع اخوتك بنى لاوى معك وتطلبون أيضا كهنوتا ؟ اذن أليست وكل جماعتك مثفقون على الرب . وأما هارون فما هو حتى تنذمروا عليه ؟ فأرسل

موسى ليدعو دانان وأبيرام ابني ألياب . فقالا : لا نصعد . اقليل انك

أصعدتنا من أرض تفيض لبنا وعسلا لتميتنا في البرية حتى تتراأس علينا تروءسا ؟ كذلك لم تأت بنا الى أرض تفيض لبنا وعسلا ، ولا أعطيتنا نصيب حقول وكروم .

هل تقلع أعين هؤلاء القوم ؟ لا نصعد . . . وكلم الرب موسى وهارون قائلا :

افترضا من بين هذه الجماعة ، فانى أفنيهم في لحظة . فخرزا على وجهيهما وقالا :

اللهم اله ارواح جميع البشر هل يخطئ رجل واحد فتسخط على كل الجماعة ؟

فكلم الرب موسى قائلا : كلم الجماعة قائلا اطلعوا من حوالى مسكن قورح ودانان

وأبيرام . . . فكلم الجماعة قائلا اعتزلوا عن خيام هؤلاء القوم البغاة ، ولا تمسوا

شيئا مما لهم لئلا تهلكوا بجميع خطاياهم . . . فقال موسى : بهذا تعلمون أن

الرب قد أرسلني لأعمل كل هذه الأعمال وأنها ليست من نفسي . ان مات هؤلاء كموث كل انسان وأصابتهم مضيبة كل انسان فليس الرب قد أرسلني . ولكن ان ابتدع الرب بدعة وفتحت الأرض فاها وابتلعتهم وكل ما لهم ، فهبطوا أحياء الى الهاوية ، تعلمون أن هؤلاء القوم قد ازدروا بالرب . فلما فرغ من التكلم بكل هذا الكلام ، انشقت الأرض التي تحتهم . وفتحت الأرض فاها ، وابتلعتهم وبيوتهم ، وكل ما كان لقورح مع كل الأموال ، فنزلوا هم وكل ما كان لهم أحياء الى الهاوية ، وانطبقت عليهم الأرض ، فبادوا من بين الجماعة ، وكل اسرائيل الذين حولهم هربوا من صوتهم ، لأنهم قالوا : لعل الأرض تثلمثا . وخرجت نار من عند الرب وأكلت المائتين والخمسين رجلا الذين قربوا البخور" (١) .

ويعد هذه الحادثة التي ترتجف من هولها القلوب ، ما كان قوم موسى يوعظون بها وما سبقها من العقوبات ، بل كان عصيانهم وتمردهم أسرع وأكثر كما سيتضح في الموقف التالي .

الموقف الحادي عشر :

لم يمر وقت طويل على هلاك قورح وأتباعه بتلك الطريقة المريعة ، حتى قام بنو اسرائيل جميعا في وجه موسى عليه السلام ، بل كان ذلك في اليوم التالي من هلاك القوم :

" فتذمر كل جماعة بنو اسرائيل في الفد على موسى وهارون قائلين : أنتما قد قتلتما شعب الرب . ولما اجتمعت الجماعة على موسى وهارون ، انصرفا الى خيمة الاجتماع واذا هي قد غطتها السحابة وترائى مجد الرب . فجاء موسى وهارون الى قدام خيمة الاجتماع . فكلم الرب موسى قائلا : اطلعا من وسط هذه الجماعة فاني أفنيهم بلحظة فحرا على وجهيهما ، ثم قال

(١) عدد ١٦ : ٣٥-١ كان التبخير من الطقوس التي لا يقوم به الا رجل من نسل هارون . فقد أبى قورح ومن شايعه التقيد بهذا التخصيص فقال جزاءه .

موسى لهارون : خذ المجرمة واجعل فيها نارا من على المذبح ، وضع بخورا
وانذهب بها مسرعا الى الجماعة وكفر عنهم لأن السخط قد خرج من قبل
الرب قد ابتدأ الوباء . فأخذ هارون كما قال موسى وركض الى وسط
الجماعة ، واذا الوباء قد ابتدأ في الشعب ، فوضع البخور وكفر عن الشعب .
ووقف بين الموتى والأحياء فامتنع الوباء . فكان الذين ماتوا بالوباء أربعة
عشر ألفا وسبعمائة عدا الذين ماتوا بسبب قورح * (١) .

هكذا توالى مظاهرات بني اسرائيل وثوراتهم على موسى وهارون ، مع
وجود ما يقنعهم ويردعهم ولكنهم أصموا آذانهم عن صوت الحق ونداء الخير .
فأصبحوا لا يرون موسى وهارون الا رجلين تسببا في هلاكهم وشقايتهم مع
أنهما جاءا قومهما بما يسمعهم سفادة أبلية .

الموقف الثاني عشر :

ان تمرد القوم لا يزال مستمرا ، واستخفافهم بالنبیین وما أرسل به من
الهداية والوعد لا يزال موضع استهزاء وسخرية ، فقد قامت قياتهم مرة أخرى
حينما نزلوا بقالش ولم يجدوا ماء للشرب ؛

" وأتى بنو اسرائيل الجماعة كلها الى بركة صين في الشهر الأول ،
وأقام الشعب في قادش وماتت هناك مريم ، ودفنت هناك . ولم يكن ماء للجماعة ،
فاجتمعوا على موسى وهارون . وهاصم الشعب موسى وكلوه قائلين : ليتنا
فنيئا فناء ! أخوتنا أمام الرب . لماذا أتيتما بجماعة الرب الى هذه البرية لكي
نموت فيها ونحن ومواسينا ؟ ولماذا أصعدتانا من مصر لتأتيا بنا الى هذا المكان
الردى ؟ ليس هو مكان زرع وتين وكرم وورمان ولا فيه ماء للشرب . فأتى موسى
وهارون من أمام الجماعة الى باب خيمة الاجتماع وسقطا على وجهيهما . فتراى
لهما مجد الرب وكلم الرب موسى قائلا خذ العصا واجمع الجماعة أنت وهارون أخوك
وكلما الصخرة أمام أعينهم أن تعطى ماءها فتخرج لهم ماء من الصخرة وتسقى الجماعة

ومواشيهم . وأخذ موسى العصا من أمام الرب كما أمره . وجمع موسى وهارون
الجمهور أمام الصخرة فقال لهم : اسمعوا أيها المردة ، أمن هذه الصخرة
نخرج لكم ماء ؟ ورفع موسى يده وضرب الصخرة بمصاه مرتين فخرج ماء غزير
فشربت الجماعة ومواشيها" (١) .

وبعد ما شربوا وشربت مواشيهم هدأت نفوسهم قليلا . غير أن الرحلة
لا تزال مستمرة ، وما دامت الرحلة مستمرة ، والسفر قائما ، فالمشقة لا بد أن
تصاحبهم أيضا ، ولا بد أن يكون لهم موقف آخر من مواقف الشريرة .

الموقف الثالث عشر :

كان هذا الموقف أحد مواقف المشهود التي كان الدافع إليها فراغ
المعدة من الطعام ، وغلو القلب من الإيمان . مع أن المن والسلوى يصاحبانهم
في تنقلاتهم ، ولكنهم ازدروا بنعمة الله فسموها بالطعام السخيف ، فعوقبوا
على ذلك بعقاب أليم ،

" وارتحلوا من جبل هور في طريق بحرسوف ليدوروا بأرض أدوم فضاقت
نفس الشعب في الطريق . وتكلم الشعب على الله وعلى موسى قائلين : لماذا
أصعد ثماننا من مصر لنموت في البرية لأنه لا خبز ولا ماء ، وقد كرهت أنفسنا
الطعام السخيف ، فأرسل الرب على الشعب الحيات المنطوقة ، فلدغت الشعب
فمات قوم كثيرون من إسرائيل فأتى الشعب إلى موسى وقالوا : قد أخطأنا إذ
تكلمنا على الرب وعليك فصل إلى الرب ليرفع عنا الحيات . فصلى موسى لأجل
الشعب . فقال الرب لموسى : اصنع لك حية محرقة وضعها على راية فكل من
لدغ ونظر إليها يحيا . فصنع موسى حية من نحاس ووضعها على الراية فكان
مَنْ لدغ حية إنسانا ونظر إلى حية النحاس يحيا" (٢) .

(١) عدد ٢٠ : ١-١٢

(٢) عدد ٢١ : ٤-٩ جاء في سفر الملوك الثاني أن بنى إسرائيل عبدوا هذه
الحية النحاسية وسموها "نحشتان" أي النحاس فقد أزالها الملك حزقيا
ابن أحاز مع ما أزال من الأوثان التي عدت من دون الله تعالى :

وبعد هذا الموقف الذى أظهره بعد التوبة ، واعتذروا الى موسى ،
واعترفوا بالخطأ ، وقفوا موقفاً يعتبر ختام تلك المواقف السابقة وأخطرها .

الموقف الرابع عشر :

استمرت رحلة بني اسرائيل المتواصلة ، وتتسبعت فيها مواقفهم الراضية
خلال تجوالهم في البرارى والقفار العتامية . ولكنهم في النهاية بدأوا يخرجون
من الخلاء والبرية الى حيث العمران والسكان من الموابيين ، فقد أقام القوم
في موضع يسمى شطيم ، وفيه حدث موقف خطير وتمرد آخر .
" وأقام اسرائيل في شطيم ، وابتدأ الشعب يزنون مع بنات مواب .
فدعون الشعب الى ذبائح آلهتهم ، فأكل الشعب وسجد لآلهتهم . وتعلق
اسرائيل ببعل فسور . فحمر غضب الرب على اسرائيل . فقال الرب لموسى :
خذ جميع رؤوس الشعب وعلقهم للرب مقابل الشمس فيرد حمسو غضب
الرب عن اسرائيل . فقال موسى لقضاة اسرائيل : اقتلوا كل واحد قومه المتعلقين
ببعل فسور . واذا رجل ^{بنى} اسرائيل جاء وقدم الى اخوته المديانية أمام
عينى موسى وأعين كل جماعة بنى اسرائيل وهم باكون لدى باب خيمة الاجتماع .
فلما رأى ذلك فينحاس بن الحازار بن هارون الكاهن ، قام من وسط
الجماعة وأخذ رمحا بيده ، ودخل وراء الرجل الاسرائيلى الى القبة وطعن
كليهما الرجل الاسرائيلى والمرأة فى بطنها . فاستنح الوباء عن بنى اسرائيل .
وكان الذين ماتوا بالوباء أربعة وعشرين ألفاً " (١) .

وفي هذا الموقف ارتد بنو اسرائيل على اعقابهم فكفروا بربهم ، فزناوا
وعبدوا ذلك الصنم ، وأكلوا من الذبائح التى تقدم له . ورسول الله موسى عليه
السلام بين أظهرهم ، والوصايا الالهية العشر التى اشتملت على النهى والتحذير
الشديد عن عبادة الأوثان ، ولكنهم عموا وصموا فكفروا بربهم وعصوا رسوله الداعى
الى رضوانه ، وما يسعدهم فى معاشهم ومعادهم .

وهذه المواقف كلها تبين للقارىء ما لاقاه موسى وهارون عليهما السلام من قومهما من التمرد والعصيان المتتابع . وهناك مواقف اخرى وقفها بنو اسرائيل من هذين النبيين وهي مواقف نظرية ، ولم تكن مواقف عملية كذلك المواقف السابقة . فالمواقف النظرية هي نظرتهم الى هذين النبيين واعتقادهم فيهما ويظهر ذلك للباحث من خلال ما نسبوا اليهما من أعمال لا تليق بمكانتهما الرفيعة عند الله تعالى . وفيما يأتي استعراض لتلك المواقف النظرية :

*

١ - نسبتهم الكفر والمعاصي الى موسى وهارون عليهما السلام

ان جميع الرسل عليهم السلام وجدوا في أممهم من آمن بدعوتهم ، ومن كفر بها على تفاوت في ذلك بين أمة وأمة اخرى . وهذا أمر مطرد فيما بلغنا من قصص الأنبياء والرسل باستثناء قوم يونس عليه السلام الذين آمنوا به جميعا . أما ان يوجد في تلك الأمم من يرمى رسولها بعصيان ربه فيما أمره به حتى يصل به الأمر الى الكفر به وعادة غيره . واذلال أمته ، فهو أمر لم يوجد الا في بنى اسرائيل الذين لم يتركوا لأنبيائهم ذكرا حسنا يخلو من الطعن ، والتشويه ، والنيل من سمعتهم . ومع ما لموسى من مكانة فسي نفوس بنى اسرائيل ، فان تلك المكانة لم تصل به الى حد اعتقاد العصمة فيه في نفوس قومه . ولذلك جوزا عليه وعلى أخيه هارون مخالفة أمر الله تعالى ونسبوا اليهما المعصيان فيما أمرا به . ورموا موسى عليه السلام بالجرأة على الله تعالى ، وبالكذب الهين . واليك بيان ذلك .

نسبة الكذب الى موسى وهارون عليهما السلام

أولا : حينما أمر الله رسوله موسى عليه السلام أن يتوجه الى مصر لاخراج قومه منها وهو يرعى غنم حميه كما تقول الرواية ، ذكروا انه كذب على حميه ، ان لم يخبره بحقيقة أمره ، وانما ذكر له أنه سيرجع الى مصر ليؤرخ اخوته بنسب

اسرائيل ، مع انه انما يذهب الى مصر لتبليغ رسالة ربه .
 "فمضى موسى ورجع الى يشرون حميه وقال له : أنا أذهب وأرجع الى
 اخوتي الذين في مصر لأرى هل هم بعد أحياء" . فقال يشرون لموسى : اذهب
 بسلام" (١) .

وهل يعقل ان يكون موسى قد قال هذا الكلام ، وهو قد علم من ربه
 ان اخوته أحياء وأنه ينبغي ان يعود اليهم ليخرجهم من مصر ، وقد سأل
 ربه ان يرسل معه أخاه هارون قبل أن يعود من مكان الوحي الى حميه
 يشرون . فكيف يقول بعد ذلك : " لأرى هل هم أحياء بعد " وهو على يقين
 أنهم أحياء ؟ . وحاشا ان يكون هذا من كلام موسى عليه السلام ، وانما اللائق
 به انه لا يقول الا صدقا وحقا . بل انه لم يكن يرعى الغنم حينما خطب
 بالرسالة ، بل كلن سائرا مع أهله ، مفارقا حماه بعد أن قضى الأجل الذي
 اتفق عليه معه في رعى الغنم . وذلك بنص القرآن الكريم ان يقول تعالى :
 " فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله ^{آنس} من جانب الطور نارا ، قال لأهله

امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم
 تصطلون ، فلما أتاها نودى من شاطئ الوادى الأيمن في البقعة المباركة
 من الشجرة أن يا موسى انى انا الله رب العالمين " (٢) ونصت آيات أخرى
 أيضا (٣) أن موسى كان مع أهله حين رأى النار ، وكان ذلك ليلا لأنه شاهدها
 من بعيد ، وذهب الى موضعها بعد أن ترك أهله يمكنون حيث هم ، ليعود
 اليهم بفائدتين ، الأولى : ان يعود بقبس من النار ليستدفئ بها أهله
 من البرد ، والثانية : ليعود بعد أن استرشد الى الطريق التي يريد أن يسلكها .
 وهذا يدل على ان رواية اليهود القائلة انه كان يرعى الغنم حينما شاهد النار ،
 غير صحيحة بل هي تتناقض ، لأن رعى الغنم لا يكون في الليل انما يكون في النهار .
 والنار انما ترى ليلا من سافة بعيدة لا نهارا . وما جاء في القرآن الكريم هو
 المعتمد عليه لأنه المهيمن على الكتب السابقة .

(١) خروج ١٨ : ٤
 (٢) سورة القصص ٢٩-٣٠
 (٣) انظر الايات ١٠١ و ١٢١ من سورة طه والآيات ٧ و ٨ و ٩ من سورة النمل .

ثانياً : حينما رجع موسى عليه السلام الى مصر ، وذهب الى فرعون ، زعموا أنه لم يخبره انه يريد ان يخرج بقومه من مصر خروجا لا رجوع بعده ، وانما أخبره هو وهارون * انهما يريدان ان يخرجيا بقومهما سفر ثلاثة أيام في البرية ليقدموا هناك ذبائح لالههم ويعبدوه ! وذكروا هذا مرات عديدة على لسان موسى وهارون ، مع ان هذا كذب لا يجتوز وقوعه من النبيين الكريهين ، كما لا يمكن ان يامرهما الله تعالى بالكذب . حيث يقولان لفرعون خلاف ما ينويان عمله ، بل خلاف ما ذكرنا لبنى اسرائيل من أنهما سيخرجان بهم الى أرض كنعان التي وعد الله آباءهم ان يعطيهم اياها . وقد زعموا ان الله هو الذي أمر موسى بذلك بقوله :

" ثم دخل أنت وشيوخ بني اسرائيل الى مصر وتقولون له : الرب اله العبرانيين الثقات ، فالآن لمضى سفر ثلاثة أيام في البرية ونذبح للرب الهنا " (١) .

" وبعد ذلك دخل موسى وهارون وقالوا لفرعون : يقول الرب اله اسرائيل : أطلق شعبي ليعبدوا لي في البرية . فقال فرعون : من هو الرب حتى أسمع لقوله فأطلق اسرائيل (٢) ؟ لا أعرف الرب واسرائيل لا أطلقه فقال : اله العبرانيين قد الثقات . فنذهب سفر ثلاثة أيام في البرية ونذبح للرب الهنا لثلا يصيبنا بالوباء أو السيف " (٣) .

وقد تكرر هذا الطلب من موسى عدة مرات حسب الأمر الالهى كما تقول الرواية . ولذلك استجاب فرعون لموسى وهارون بعد آيات عديدة رآها ان يخرج الرجال فقط :

" فقال لهما : اذهبوا اعبدوا الرب الهكم . ولكن من ومن هم الذين يذهبون ؟ فقال موسى : نذهب بفتياتنا وشيوخنا ، نذهب ببنيينا وناتننا ،

(١) خروج ١٨: ٣

(٢) وهذا يتفق مع ما جاء في قوله تعالى حكاية عن فرعون : " قال : فمن ربكما يا موسى " (سورة طه ٤٩) وقوله : " وما رب العالمين " (سورة الشرح ٢٣) وفي هذا من التكبر والاستعلاء والكفر ما لا يخفى .

(٣) خروج ٣-١: ٥

بفئتنا وبقرنا ، لأن لنا عيداً للرب . فقال لهما : يكون الرب معكم هكذا كما أطلقكم وأولادكم . انظروا ان قدام وجوهكم شراً . ليس هكذا اذهبوا أنتم الرجال واعدوا الرب لأنكم هكذا طالبون" (١) .

يظهر من هذا ان فرعون شك في الأمر فأراد ان يختبر صدقهما ، فسمح للرجال فقط دون غيرهم ، لأنهما ان كانا صادقين في الخروج لمسافة ثلاثة أيام فقط للعبادة ، فان ذلك لا يستدعي الا خروج الرجال الذين يتحملون مشاق السفر ذهاباً وعودة ، وأما الخروج بالنساء والأطفال والمواشي ، فهو أمر يدعو الى الشك في صدق الرجلين ، لذلك قال لهما : " ان قدام وجوهكم شراً " أى انكم تهيتون أهداباً يخالف ما تنطقون به . وهل هذا من أوامر الله تعالى الذى لا يأمر إلا بالحق والصدق ومহারبة الكذب ؟ كلا انه ليس من أوامر الله ولا هو من كلام موسى وهارون عليهما السلام . وانما الذى أمر الله ان يقولاه هو دعوة فرعون الى الايمان بالله ، وإلى ترك بنى اسرائيل يخرجون من أرضه فقام موسى وهارون بتبليغ أمر الله خير قيام . ولقد بين القرآن الكريم ما أمر به موسى وهارون ان يقولاه لفرعون ، كما بين أنهما قالاهما أمر به فقال : " فاتياه فقولاه ان رسولاً ربك فأرسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى " (٢) .

" فاتياه فرعون فقولاه : انا رسول رب العالمين . ان ارسل معنا بنى اسرائيل " (٣) .

" وقال موسى يا فرعون انى رسول من رب العالمين . حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معى بنى اسرائيل " (٤) .

(١) خروج ١٠ : ٨-١١ (٢) سورة طه ٤٧
(٣) سورة الشعراء ١٦-١٧ (٤) سورة الاعراف ١٠٤-١٠٥

فدلت هذه الايات البينات/ ^{على} ان موسى وهارون أمرا بأن يقولوا الحق لفرعون ،
 وأنهما قالا ذلك علنا ولم يخفيا شيئا . وقولهما لفرعون : " ولا تعذبهم " صريح
 في الدلالة على أنهما أرادا تحرير بنى اسرائيل ، وأخبرا فرعون بذلك جهرة .
 وكذلك دلت الايات الكريمة على أن موسى وهارون لم يقولوا عن الله : انه
 اله العبرانيين وانما قالا : " رب العالمين " وخطبا فرعون بأنه ربه . وما كان
 لهما ان يقولوا انه اله قبيلة من قبائل البشر وهو اله العالمين وسيدهم ، وانما
 الذى ادعى انه اله اسرائيل هو فرعون الذى لا يعترف لربه بالا لوهيئة
 المطلقة ، ولذلك قال للمصريين : " ما علمت لكم من اله غيرى " (١) ،
 يريد دفع ما قاله موسى وهارون ، وقال حينما أيقن بالهلاك في وسط
 البحر : " آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين " (٢) .
 ولكن ذلك لم ينفعه لنزول مقدمات الموت به .

٢ - نسبة العصيان الى موسى وهارون عليهما السلام

وما نسبوا الى هذين النبيين عليهما السلام زعمهم أنهما عصيا ربهما
 فيما أمرهما به ، وذلك حينما تذر بنو اسرائيل عليهما في برية صهيون بسبب
 عدم الماء ، وأمرهما الرب ان يكلم الصخرة لتعطى ماء فلم يفعل بل سخر موسى
 من الأمر فقال لقومه المجتمعين عند الصخرة حسب الأمر الإلهي : " اسمعوا
 أيها المردة ، أمن هذه الصخرة نخرج لكم ماء ؟ " ف ضرب الصخرة بعصاه موتين
 مع أنه لم يؤمر بذلك . ففضب الله عليهما كما تقول الرواية وعاقبهما بحرمانهما
 من دخول الأرض المقدسة ببنى اسرائيل .
 " فقال الرب لموسى وهارون : من أجل أنكما لم تؤمنا بي حتى تقدسانى
 أمام اعين بنى اسرائيل لذلك لا تدخلان هذه الجماعة الى الأرض التي أعطيتهم
 اياها " (٣) .

(١) سورة القصص ٣٨

(٢) سورة يونس ٩٠

(٣) عدد ١٢: ٢٠ سبق ايراد النص بتمامه قريبا في الموقف الثاني عشر .

ومن أجل هذا العصيان الذي ذكروه ، قالوا ان موسى وهارون عليهما السلام عوقبا بالموت قبل دخول أرض فلسطين . وأن موسى أشار الى هذا الغضب الالهى في عدة خطب فقال :

" وعلى أيضا غضب الرب بسببكم قائلا : وأنت أيضا لا تدخل الى هناك (١) وقال : " لكن الرب غضب على بسببكم ولم يسمع لى . بل قال لى الرب : كفاك لا تعد تكلمنى أيضا في هذا الأمر اصعد الى رأس الفسجة ، وارفع عينيك الى الغرب والشمال والجنوب والشرق ، وانظر بعينيك لكن لا تعبر هذا الأرض (٢) .

وقال : " وغضب الرب على بسببكم وأقسم انى لا أعبأ بالأردن ، ولا ادخل الأرض الجيدة التي الرب الهك يعطيك نصيبا ، فأموت أنا في هذه الأرض لا أعبأ بالأردن . وأما انتم فتعبرون وتشتلكون تلك الأرض الجيدة (٣) .

وزعموا ان الله تعالى خاطب موسى بعد وفاة هارون قائلا : " اصعد الى جبل عباريم هذا وانظر الأرض التي أعطيت بنى اسرائيل ، ومتى نظرتها تضم الى قومك أنت أيضا كما ضم هارون أخوك . لا تكما في بركة صين عند مخاصمة الجماعة عصيتما قولي أن تقدسانى بالما ، أمام أعينهم (٤) .

ونسبة عدم الايمان الى موسى وهارون انتقاص لمكانتهما الرفيعة ، وكذلك ما رتبوه على العصيان المذكور من الغضب الالهى على النبيين ، يدل على أن نظرة بنى اسرائيل الى هذين النبيين لم تتجاوز نظرة الشعوب المستعبدة الى قادة التحرير في عصرنا الحاضر كما أشرنا الى ذلك في بداية هذا البحث .

(١) تثنية ١ : ٣٧ (٢) تثنية ١ : ٣٧
(٣) تثنية ٣ : ٢٦ - ٢٧ (٤) عدد ٧ : ١٢ - ١٤

٣ - وصفهم موسى بالجرأة وسوء الأُذُب مع الله عز وجل :

ومن مواقفهم من موسى عليه السلام نسبتهم اليه ما يدل على الجرأة وسوء الأُذُب مع الله تعالى . فقد ذكروا أنه عليه السلام حاول ان يعفى من القيام بأعباء الرسالة بطرق مختلفة ، وأنه كلما أتى بحجة على موقفه ، جاء الرب بما يدحض حجته حتى لجأ في آخر الأمر الى الرفض القاطع بأسلوب يتسم بالجرأة وسوء الأُذُب مع الله تعالى . واليك بيان المواضع التي وردت فيها تلك المواقف :

الموضع الأول :

حينما أمر الرب موسى أن يعود الى مصر ليخرج بنى اسرائيل منها ، شك موسى في قدرته على القيام بذلك فقال : " من أنا حتى أذهب الى فرعون ، وحتى اخرج بنى اسرائيل منها ؟ " (١) .

فطمأنه الله تعالى بما يبدر خوفه فقال له : " انى أكون معك وهذه تكون لك العلامة انى أرسلتك . حينما تخرج الشعب من مصر تعبدون الله على هذا الجبل " (٢) .

الموضع الثاني :

حينما طمأنه الرب بأنه يكون معه فأزال بذلك مخاوفه ، وانتقل موسى الى موقف آخر ، وهو موقف الشك في قبول قومه لرسالته ، وما يتوقع منهم من طلب علامة يريدونها للاستدلال على صدقه ، فقال :

" ها أنا آتى الى بنى اسرائيل وأقول لهم : اله آبائكم أرسلنى اليكم . فاذا قالوا لى ما اسمه ؟ فماذا أقول لهم ؟ " (٣) .

فأرشده الله الى ما سيقول لهم ان هم سألوه عن اسم الاله الذى أرسله اليهم بقوله : " أهيه الذى أهيه وقال هكذا تقول لبني اسرائيل أهيه أرسلنى اليكم . وقال الله أيضا لموسى : هكذا تقول لبني اسرائيل : يهوه اله آبائكم اله ابراهيم واله اسحاق واله يعقوب أرسلنى اليكم ، هذا اسمى الى الابد وهذا ذكرى الى د ور فدور " (٤)

الموضع الثالث :

بعد ما أرشده الرب وعلمه ما يقول لقومه اذا عاد اليهم ، انتقل الى حجة أخرى ليجد فيها ما يكون سببا لا عفاؤه من القيام بواجب الرسالة ، وذلك بافتراض ما سيقول قومه حينما يخبرهم أنه رسول الله اليهم ، فقال :

" ولكن هاهم لا يصدقونني ولا يسمعون لقولي . بل يقولون لم يظهر لك الرب " (١) .

فأزال الله مخاوفه وأعطاه الآية الدالة على صدقه في دعوى الرسالة فقال : " ما هذه في يدك ؟ فقال : عصا ، فقال اطرعها الى الأرض . فطرعها الى الأرض فصارت حية . فهرب موسى منها . ثم قال الرب لموسى : مد يدك وامسك بذنبها . فمد يده وأمسك به . فصارت عصا في يده ، لكن يصدقوا أنه قد ظهر لك الرب اله آبائهم ، اله ابراهيم ، واله اسحاق ، واله يعقوب . ثم قال له الرب : أيضا أدخل يدك في عيك . فأدخل يده في عيه ثم أخرجها . وإذا يده برصاء مثل الثلج ، ثم قال له : رد يدك الى عيك . فرد يده الى عيه ، ثم أخرجها من عيه وإذا هي قد عادت مثل جسده . فيكون اذا لم يصدقوك ولم يسمعوا لصوت الآية الأولى أنهم يصدقون صوت الآية الأخيرة ، ويكون اذا لم يصدقوا هاتين الآيتين ولم يسمعوا لقولك أنك تأخذ من ماء النهر وتسكب على اليابسة ، فيصير الماء الذي تأخذه من النهر ماء على اليابسة " (٢) .

الموضع الرابع :

بعد أن عزز الله موسى بهذه الآيات الثلاث ، وأزال الحجة السابقة التي أراد ان تكون ما يعذر بسببه من القيام بواجب الرسالة - كما يزعمون - انتقل موسى الى حجة أخرى لعلها تكون أقوى مما سبق وأنسب لقبول طلبه ، فقال بلهجة يبدو فيها نوع من الخشونة :

" استمع أيها السيد لست أنا صاحب كلام منذ أمس ولا أول من أمس ولا من عين كلمت عبدك بل أنا ثقیل الفم واللسان " (٣) .

فأزال الرب هذا التخوف أيضا بقوله : " من صنع للانسان فما ؟ أو من يصنع أخرس أو أعم أو بصيرا أو أعمى ؟ أما هو أنا الرب ؟ فالآن اذهب ، وأنا أكون مع فمك وأعلمك ما تتكلم به " (١) ، غير ان موسى بقى على اصراره على الرفض كما تقول الرواية لبل كان موقفه بعد هذا أشد ، ولهجة أقوى .

الموضع الخامس :

بعد أن أكد الرب لموسى أن ما يتمسك به من عدم فصاحة وانطلاق لسانه سيزول ، وأن الله سيكون مع فمه ، بعد هذا كله ، كان له موقف أشد وأقوى ، وهو موقف الرفض النهائي الذى أثار غضب الرب عليه كما يقولون .

وذلك حيث قال :

" استمع أيها السيد أرسل بيد من ترسل " (٢) .

أى انه يقول أرسل تخيرى من تشاء واطركنى وشأنى . وهذا القول أثار غضب الرب على قائله :

" فحمى غضب الرب على موسى وقال : أليس هارون اللاوى أخاك ؟ أنا أعلم انه هو يتكلم ، وأيضا ها هو خارج لاستقبالك فحينما يراك يفرح قلبه . فتكلمه وتضع الكلمات في فمه ، وأنا اكون مع فمك ومع فمه وأعلمكما ماذا تصنعان . وهو يكلم الشعب عنك ، وهو يكون لك فما ، وأنت تكون له اله (٣) ، وتأخذ في يدك هذه العصا التى تصنع بها الآيات " (٤) .

(١) خروج ١١: ٤-١٢ (٢) خروج ١٣: ٤
 (٣) قال في السنن القويم : " أى تخوب عن الله بأمرك اياه بالكلام ، فانى أبلغك ما أريد وأنت تأمره بالتكلم بما أنبيئك به فتكون انت نائبا غ
 عنى ويكون هو نائبا عنك . وبهذا يسبق موسى أعلى من هارون " ج ١ ص ٣١٦ وفي التوراة السامرية : " وأنت تكون له سلطانا " .
 (٤) خروج ١٤: ١٧-١٧ .

هكذا قالوا عن موسى عليه السلام في أول خطاب جرى بينه وبين ربه
تبارك وتعالى وهو أمر لا يتصور وقوعه على هذا النحو الذي وضعوه في رواياتهم
المضطربة . وبعد هذاذكروا أن موسى قبل الرسالة ، وعاد الى مصر ، فأخبر
قومه برسالته ، وأراهم الآيات فآمنوا به وسجدوا . ثم ذهب الى فرعون ومعه
هارون يطلب منه اطلاق قومه ليعبدوا ربهم في البرية ، فأبى وضاعف عليهم
العذاب . فواجه بنو اسرائيل موسى وهارون فلاموهما لوما شديدا على ما حل
بهم من زيادة العنف . وكان لموسى موقف مع الرب كما تقول الرواية وهو ما نراه
في الحوضع التالي .

الموضع السادس :

حينما ضج بنو اسرائيل ورفعوا أصواتهم على موسى وهارون وهطوهم تبعة
ما ينزل بهم من العذاب على يد فرعون ، خاطب موسى ربه قائلا ؛
" يا سيد لماذا أسأت الى هذا الشعب ؟ لماذا أرسلتني ؟ فانه
منذ دخلت الى فرعون لا تكلم باسمك ، أساء الى هذا الشعب ، وأنت لم تخلص
شعبك " (١) .

الموضع السابع :

وفي هذا الموضع ذكروا أن موسى عليه السلام طلب من ربه أن يقيه من
الرسالة ان لم يغفر لقومه الذين عبدوا العجل ؛
" فرجع موسى الى الرب وقال له قد أخطأ هذا الشعب خطية عظيمة
وصنعوا لأنفسهم الهة من ذهب والآن ان غفرت خطيتهم والا فامحني من كتابك
الذي كتبت . فقال الرب لموسى : من أخطأ الى أمحوه من كتابي " (٢) .

الموضع الثامن :

وذكروا كذلك أن موسى خاطب ربه بشدة وعنف عندما طلب منه قومه أن
يطمعهم ليعلموا فقالوا ؛

" فقال موسى للرب : لماذا أسأت الى عبدك ؟ ولماذا لم أجد نعمة في عينيك حتى انك وضعت ثقل جميع هذا الشعب علي ؟ ألعلى حبلت بجميع هذا الشعب ؟ أولعلى ولدته حتى تقول لي : احمله في حضنك كما يحمل المربي الرضيع الى الأرض التي حلفت لابائهم ؟ من أين لي لحم حتى أعطى جميع هذا الشعب ؟ لأنهم سيكونون على قائلين : أعطنا لحماً لنأكل . لا أقدر أنا وحدي ان احمل جميع هذا الشعب لأنه ثقیل علی . فان كنت تفعل بي هكذا ، فاقتلني قتلاً ان وجدت نعمة في عينيك فلا أرى بليتي " (١) .

وبعد: فهذه الأمور التي نسبوها الى موسى عليه السلام لا تطيق بحقام النبوة ، ولا يمكن وقوعها على الوجه الذي ورد ذكره في رواياتهم . وهذا الأسلوب المتسم بالجرأة وسوء الأدب من المستبعد وقوعه بين ملوك الدنيا وخدمهم ، فضلاً عن أن يحدث بين ملك الملوك ، وأحد رسله الذي اختاره الله للرسالة على علم بمصلاحه لتحمل ما يلقي اليه من أوامر .

*

٤ - موقف موسى من ربه كما يوضحه القرآن الكريم :

لقد ذكر القرآن الكريم المواقف الصحيحة التي وقفها موسى عليه السلام من ربه من أول يوم خاطبه الله فيه بالرسالة الى أن ادى رسالة ربه على الوجه الذي تلقاها به ، وهو عليه السلام من أولى العزم الذين تميزوا من بين الرسل بالثبات والعزم والصبر في الأهوال والشدائد . لذلك فهو بعيد كل البعد عن مواقف الطيش والخفة والجرأة على رب العالمين . وفيما يأتي نورد الآيات القرآنية التي تبين الموقف الصحيح الذي وقفه موسى عليه السلام من ربه تبارك وتعالى :

أما ما نسبوا اليه من رفض مقام الرسالة ومراجعة ربه عدة مرات ليعفيه من منصب النبوة ، فيبين القرآن الكريم ذلك بأنه لم يتردد في قبول أمر الله تبارك وتعالى بل طلب من ربه أن يشد عضده بأخيه لفصاحة لسانه ، وذلك بأسلوب يفيض أدبا

ووقارا . وقد بينت الآيات القرآنية أيضا ان الله سبحانه عندما خاطب موسى في الوادى المقدس طوى ، وعرفه ان الله عز وجل هو الذى يخاطبه . طلب منه أن يلتقى عصاه وان يدخل يده في جيبه قبل أن يخبره أنه يرسله الى فرعون وقومه ليخرج بنى اسرائيل من الظلمات الى النور ويصفى أراه انقلاب العصا حية ، وخروج يده من جيبه بيضاء من غير سوء ، اخبره بالرسالة وأمره ان يتوجه الى مصر ويهرج بقومه ، فهناك طلب موسى عليه السلام من ربه أن يشد أزره بهارون عليه السلام فاستجاب الله له .

قال الله تعالى : " وهل أتاك حديث موسى . ان رأى نارا فقال لأهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى . فلما أتاها نودى يا موسى . انى انا ربك فاخلع نعليك انك بالوادى المقدس طوى . وانا اخترتك فاستمع لما يوحى اننى انا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى . ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى . فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى . وما تلك بيمينك يا موسى ؟ قال هي عصاى اتوكأ عليها وأهش بها على غنى ولي فيها ما رب أخرى . قال ألقيها يا موسى . فألقاها فاذا هي حية تسعى . قال غذاها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى . واضم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى . لنريك من آياتنا الكبرى . اذهب الى فرعون انه طغى . قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي . واجعل لي وزيرا من أهلى هارون اخى اشدد به أزرى . وأشركه في أمري . كي نسبحك كثيرا . ونذكرك كثيرا . انك كنت بنا بصيرا . قال قد أوتيت سوء لك يا موسى " (١) .

وقال تعالى : " ان قال موسى لأهله انى آنست نارا سأتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون . فلما أتاها نودى ان بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين . يا موسى انه أنا الله العزيز الحكيم .

وألقى عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف
انى لا يخاف لى المرسلون . الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانس
غفور رحيم . وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضا من غير سوء في تسع آيات
الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين" (١) .

وقال : " فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آمن من جانب الطور
نارا قال لأهله امكثوا انى اتست نارا لعل آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار
لعلكم تصطلون . فلما أتاهاتودى من شاطئ الوادى الأيمن في البقعة المباركة
من الشجرة ان يا موسى : انى أنا الله رب العالمين . وأن ألقى عصاك فلما
رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف انك من
الآمين . اسلك يدك في جيبك تخرج بيضا من غير سوء واضمم اليك جناحك
من الريب فذائك برهانا من ربك الى فرعون وملائه انهم كانوا قوما فاسقين .
قال رب انى قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون . وأخى هارون هو أفصح منى
لسانا فأرسله معى ردأ يصدقنى انى أخاف ان يكذبون قال : سنشد عضدك
بأخيك ونجعل لك سلطانا فلا يحملون اليكما باياتنا انتما ومن اتبعكم مستكبرا
الغالبون" (٢) .

هكذا يصحح القرآن الكريم المواقف الموضوعة التى نسبوها الى موسى عليه
السلام . فقد اتضح لنا منها ان الله أعطاه الآيتين قبل ان يطلب موسى وقبل
اخباره انه رسوله الى فرعون وقومه ، وأن موسى لم يناقش ربه في الأمر بعد
أن أمره ، بل طلب منه ان يمهده بأخيه هارون لأنه أقدر على التبيين والتوضيح
أكثر منه ، وأنه سيكون له مؤنسا ومعينا على ذكر الله تعالى . ولم يكن ذلك بلا
طلب من موسى كما زعمت الرواية اليهودية التى قالت ان رفض موسى قبول الأمر
الالهى هو الذى كان سببا في اعطائه الايات ، وامداده بها رون . والآية الثالثة
التي ذكرتها الرواية وهي استحالة الماء دما على اليابسة غير صحيحة . بل الدم
من جملة الآيات التي أعطاها الله لموسى بعد دخوله مصر ، ويدل على ذلك

قوله : " فذالك برهانان من ربك الى فرعون وملائته " أى آية العصا وآية
بياض اليد . وأما ما زعموه من أن موسى خاطب ربه بتلك الكلمات القاسية
حينما ضاعف فلارعون عذابه على بنى اسرائيل فهو أمر يرد القرآن الكريم أيضا .
ان أكد القرآن الكريم أن بنى اسرائيل اشتكوا الى موسى ما يمانونه من العذاب
قبل مجيئه ^{عليه السلام} ، وأنه عليه السلام نصحهم بالصبر ورغبهم في أن يظل رجاءهم
من ربهم النجاة قويا .

قال تعالى : " وقال الملا من قوم فرعون أنذر موسى وقومه ليفسدوا
في الأرض ويذكرك وآلهتك ، قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم
قاهرون . قال موسى لقومه : استعينوا بالله واصبروا ان الأرض لله يورثها
من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . قالوا أؤذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد
ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف
تعملون " (١) .

أى انه لم ينسب الى ربه عتروا وجيل الاساءة الى بنى اسرائيل ، ولم
ينسب اليه خلف الوعد كما زعمت الرواية اليهودية . وهذا هو الموقف الجدير
بأنبياء الله تعالى عليهم السلام .

*

ه - موقفهم من موسى عليه السلام كما بينه القرآن الكريم والسنة النبوية :

لقد بين لنا القرآن العظيم كيف كان بنوا اسرائيل مع موسى عليه السلام منذ
أن جاءهم في مصر الى ان كتب الله عليهم التيه في الأرض أربعين سنة على
رفضهم دخول الأرض المقدسة بعد خروجهم من مصر . وذكر القرآن الكريم أن
موسى عليه السلام أودى على يد بنى اسرائيل ، فقال تعالى :
" واذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذوني وقد تعلمون انى رسول الله
اليكم ، فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين " (٢)

أى أنهم آذوه عليه السلام وهم يعلمون انه رسول الله عز وجل اليهم ، وهذا يدل على شدة كفرهم وسوء فعالهم ، فان من علم ان موسى رسول الله فلاذاه ليس كمن جهل بذلك فلاذاه بسبب جهله .

وقال تعالى وهو ينهى المسلمين ويحذرهم من أن يسلكوا مسلك بنسب اسرائيل في ايداء نبيهم صلى الله عليه وسلم : " يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً " (١) .

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم نوع الايداء المذكور في هذه الآية فيما رواه عنه أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" ان موسى كان رجلاً حليماً ستيراً ، لا يرى من جلده شئ استحياء منه ، فلاذاه من آذاه من بنى اسرائيل فقالوا : ما يستتر الا من عيب بجلده ، اما برص ، واما أدرة (٢) واما آفة ، وان الله أراد أن يطره مما قالوا لموسى ، فخلا يوماً وحده ، فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل ، فلما فرغ أقبل الى ثيابه ليأخذها ، وان الحجر عدا بثوبه ، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر ، فجعل يقول : ثوبي حجر ثوبي حجر ، حتى انتهى الى ملاء من بنى اسرائيل فرأوه عرياناً ، أحسن ما خلق الله ، وأبرأه مما يقولون ، وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه ، وطفق بالحجر ضرباً بعصاه ، فوالله ان بالحجر لندباً من أثر ضربه / أو أربعاً أو خمساً . فذلك قوله : " يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً " (٣) .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال قسم النبي صلى الله عليه وسلم قسماً ، فقال رجل : ان هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله . فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه ثم قال : يرحم الله موسى ، فقد أودى بأكثر من هذا فصبر " (٤)

- (١) سورة الاحزاب ٦٩
(٢) "الأدرة بالضم نفخة في الخصية يقال رجل آدر : بين الأدرة بفتح الهمزة والبدال وهي التي تسميها الناس القيلة" . النهاية في غريب الحديث والأثر ج ١ ص ٣١ .
(٣) أخرجه البخارى في كتاب الأنبياء باب ٢٨ وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل باب فضائل موسى . واللفظ للبخارى وأخرجه البخارى أيضاً في كتاب الغسل عن ابي هريرة بلفظ قريب منه .
(٤) أخرجه البخارى في كتاب الأنبياء .

وجاء في حديث آخر ان الايذاء الذي ذكر في سورة الاحزاب ، زعمهم أن موسى قتل اخاه هارون فأظهر الله براءته ، ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في الفتخ فقال : " وقد روى أحمد بن منيع في مسنده والطبري وابن أبي هاتم باسناد قوى عن ابن عباس عن علي قال : " صعد موسى وهارون الجبل ، فمات هارون فقال بنو اسرائيل لموسى : أنت قتلته ، كان ألين لنا منك ، وأشد حبا . فآذوه بذلك . فأمر الله الملائكة فحملته فموت به على مجالس بنى اسرائيل فعلموا بموته . قال الطبري : يحتمل ان يكون هذا المراد بالآذى في قوله : " لا تكونوا كالذين آذوا موسى " . قلت : وما في الصحيح أصح من هذا . لكن لا مانع أن يكون للشئ سببان فأكثر كما تقدم تقريره غير مرة " (١) . ان رواية الامام البخاري لا تتنافى مع هذه الرواية لأن تلك ذكرت ان القوم آذوه بنسبة العيب الجسماني اليه ، وهو ما دلت عليه الآية . وهذه ذكرت أنهم آذوه بنسبة قتل هارون اليه ، ولم يرد في هذه الرواية ان آية الاحزاب دلت على هذا الايذاء ، بل الطبري هو الذي ذكر الاحتمال بعد أن أورد الرواية . وبهذا يتضح ان الروايتين دلتا على أمرين مختلفين . ولعل الايذاء الذي تعرض له موسى من قومه اكثر من أن يحصر في مسألة أو مسألتين ، فقد آذوه بألسنتهم وأعمالهم ، حين نسبوا اليه العيب الخلق ، وحين تردوا عليه مرارا وتكرارا ، واستمروا في ايذائهم اياه حتى توفاه الله . ولذلك خاطبهم عليه السلام بقوله : " لم تؤذوني " معبرا بالفعل المضارع الدال على التجدد والاستمرار ، لأنهم كانوا يؤذونه ايذاء مستمرا كما يتضح ذلك في الاُصول الآتية :

آذوه عليه السلام حينما طلبوا منه أن يجعل لهم الها من دون الله :

ومن ايذائهم رسولهم موسى عليه السلام أنهم طلبوا منه أن يجعل لهم الها يعبدونه من دون الله وذلك بعد أن نجا هم الله من يد فرعون وجاوز بهم البحر فأغرق عدوهم ، حين شاهدوا على جانب البحر الذي عبروا اليه قوما

يعبدون الأصنام ويعكفون عليها ، فوبخهم موسى عليه السلام ووصفهم بالجهل بحقوق الله عليهم وسوء ما كان أولئك القوم عليه من خسار . قال تعالى :
 " وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون . ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون . قال أغير الله أبغىكم إلها وهو فضلكم على العالمين " (١) .

آذوه عليه السلام بعبادة العجل في غيابه لمناجاة ربه

ومن ايذائهم أيضا أنهم اغتنموا فرصة غياب موسى عليه السلام لمناجاة ربه ، فاتخذوا العجل وعبدوه ، وهارون عليه السلام ينذرهم عقاب الله تعالى وسوء عاقبة امرهم . قال تعالى : " واذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون " (٢) . فأى إيذاء أشد من هدم صرح التوحيد وطمس معالمه خلال أربعين يوما ، وفيهم رسول أمين ينذر ويحذرهم من غضب الله تعالى وسوء المصير ؟

آذوه عليه السلام بأن طلبوا رؤية الله تعالى

ومن ايذائهم أنهم اشتروا عليه لايمانهم به أن يريهم الله تعالى عيانا : قال تعالى " واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرا الله جهرة فأخذتكم الساعة وأنتم تنتظرون " (٣) .

آذوه عليه السلام بتبديل ما بلغهم عن ربه من القول

وفي موضع آخر من مواضع الإيذاء آذوه عليه السلام بالعصيان حينما طلب منهم ان يدخلوا القرية ساجدين مستغفرين اذ بدلوا ما قيل لهم وحرفوه الى طلب مادي قليل : " واذ قلنا ادخلوا القرية فلكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقلوا نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين . فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون " (٤)

(١) سورة الاعراف ١٣٨-١٤٠ (٢) سورة البقرة ٥١
 (٣) سورة البقرة ٥٥ (٤) سورة البقرة ٥٨-٥٩

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم ما قاله قوم موسى ^{عوضاً} عما قيل لهم فقال
صلى الله عليه وسلم فيما رواه ^{عنه} أبو هريرة رضى الله عنه : " قيل لبنى اسرائيل
ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة ، فبدلوا ودخلوا يزحفون على أستاههم ، وقالوا
حبة (١) فى شعرة " (٢) .

أى انهم من شدة كفرهم وولعهم بالعصيان بدلوا السجود بالزحف
على أرباعهم ، وبدلوا طلب حط الذنوب بطلب الحنطة ، فتعرضوا لعقاب ربهم
بذلك .

وآذوه عليه السلام باعلانهم عدم الصبر على المن والسلوى

ومن اذائهم عليه السلام طلبهم من موسى ان يدعو ربه لينبت لهم
من الأرض ما يشتهون من طعام ، عوضاً عن طعام ينزل لهم من السماء ، وهو
الطعام الذى أعلنوا أنهم لن يصبروا عليه ؛ " (وإن ظلمت يا موسى لن نصبر على
طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفوصها
وعدسها ويصلها قال استبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير ؟ اهبطوا مصراً
فإن لكم ما سألتكم ، وضريت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ، ذلك
بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا
يعتدون " (٣) .

وآذوه عليه السلام حينما أمروا بذبح البقرة

ومن اذائهم الشديد لموسى عليه السلام أنهم حينما أمرهم الله بذبح
المبقرة ليعين لهم أمر القتيل الذى لم يعرف قاتله ، أخذوا يتهمون موسى عليه
السلام بالاستهزاء بهم ، ثم تآمروا فى الاستخفاف بأمر الله عز وجل فصاروا
يواجهونه بسؤال تلوسؤال عن أمر لا يستدعى أى استفسار ، وما كادوا ينفذون
ما أمروا به الا بعد ان شدد الله عليهم ما كان سهلاً عمله لولم يسألوا رسولهم
سؤال التعنت ، قال تعالى :

(١) حبة فى شعرة أى حنطة أو شعيرة انظر فتح البارى ج ٨ ص ٣٠٤

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب الأنبياء وكتب التفسير

(٣) سورة البقرة ٦١

" وان قال موسى لقومه : ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتعذنا

هزوا قال أعوذ بالله أن اكون من الجاهلين ، قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول انها بقرة لا فارض^(١) ولا بكر^(٢) عوان^(٣) بين ذلك فافعلوا

كما تؤمرون . قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة

صفراء فاقع^(٤) لونها تسر الناظرين - قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان

البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون . قال انه يقول انها بقرة لا ذلول^(٥)

تشير الأرض ، ولا تسقى الحرث مسلحة لاشية فيها^(٦) ، قالوا الآن جئت بالحق

فذبحوها وما كادوا يفعلون^(٧) .

وقد تجلّى في هذه الآيات ان ايمانهم بموسى لم يكن ثابتا ، بل كان

مزعزعا ومضطربا ، فانهم جوزوا عليه أن يستهزئ بهم في أمرهم بذبح البقرة

وهو ما لا يجوز وقوعه الا من الجاهلين . وأما الأنبياء الكرام فهم في معزل

عن ذلك ولذلك استعان موسى بربه ان يكون من الجاهلين المستهزئين .

ثم أنهم بعد ان شددوا في السوءال فشدّد الله عليهم ، قالوا لموسى عليه

السلام : " الآن جئت بالحق " وكأنهم لم يكتفوا بصدق نبيهم فيما بلغ

اليهم من أمر ربهم الا في نهاية الأمر ، مع انه عليه السلام جاء بالحق والصدق

من أول الأمر حتى أطاعوا وسلموا تسليما ، ولا يخفى ما في هذه الآيات الكريمات

من المعاني الدالة على ايداء بنى اسرائيل الشديد لنبيهم موسى عليه السلام .

(١) الفارض : المسنة (٢) البكر : الفتية أى لا همة ولا صغيرة

(٣) العوان : النصف بين البكر والهرمة .

(٤) الفقوع : أشد ما يكون من الصفرة وأنصعه .

(٥) الذلول : المذللة بالحرق والسقى .

(٦) لاشية فيها : لالون فيها يخالف لونها .

أنظر تفسير الكشاف ج ١ ص ٢٨٧ - ٢٨٨ وفتح الباري ج ٦ ص ٤٣٩ - ٤٤٠

(٧) سورة البقرة ٦٧-٧١ .

وَأَذَوْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَوْلِهِمْ "سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا"

ومن أيدائهم موسى عليه السلام أنهم حينما أخذ الله منهم الميثاق في جبل الطور ، واقتلع الجبل وأظلمهم به وطلب منهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا ، رفضوا أن يقولوا ذلك فقالوا : " سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا " . قال الله تعالى : " وَاذْخُلْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْمَاجَالَ بِكُفْرِهِمْ قَلْبًا بِشُكًّا يَا مَرْكُمُ بِهِ إِيْمَانُكُمْ أَنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ " (١) .

" وَاذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ " (٢) .

وَأَذَوْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَما رَفَضُوا دُخُولَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ

ومن أيدائهم الشديد لموسى عليه السلام ، رفضهم القاطع دخول الأرض المقدسة ، مع مناشدته عليه السلام إياهم مرارا وتكرارا ، وقد بدا كفرهم في هذا الموقف واستخفافهم بأمر الله تعالى ، واعتقادهم المادي في الذات الإلهية . قال تعالى :

" وَاذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يَوْثَ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ . يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ . قَالُوا يَا مُوسَى إِنْ فِيهَا قَوْمٌ جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ . قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَانْكُمُ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ . قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ . قَالَ رَبِّ انْصَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَأَخْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ، قَالَ فَانْهَاهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهِونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ " (٣) .

وفي هذا الموقف لم يبق على الايمان والطاعة من قوم موسى بعد هارون سوى رجلين شهد الله لهما بالايمان والطاعة وهما يوشع بن نون وكالب بن يفتة حسب الرواية اليهودية . وليس أدل على كفرهم وفسقهم الجماعي من هذا الموقف الذى يخاطب فيه موسى ربه قائلا : " رب اني لا أملك الا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين " . فاستجاب الله دعوته فحرم عليهم دخول الأرض المقدسة وكتب عليهم التيه أربعين سنة حتى انقرض أولئك القوم الفاسقون في التيه .

٦ - موقفهم من هارون عليه السلام

ان كفر أمة برسولها ورميها اياه بالسحر والجنون والسفه والكذب شىء مألوف ومعروف . أما ان تصف أمة رسولها بالكفر وعادة غير الله ودعوة الناس الى الشرك بالله تعالى ، فأمر لم يصلنا الا عن بنى اسرائيل الذين لا يتورعون في نسبة الكفر الى أنبيائهم عليهم السلام . وهذا نبي الله الكريم هارون عليه السلام زعموا أنه هو الذى صنع لهم العجل الذى عدوه في غياب موسى عليه السلام ، جاء ذلك في سفر الخروج حيث قال :

" ولما رأى الشعب ان موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون . وقالوا له قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا . لأن هذا موسى الرجل الذى أصددنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه . فقال لهم هارون : انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائك وبنيك وبناتك وأتوني بها . فنزع الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها الى هارون . فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالازميل وصنعه عجلا مسبوكا فقالوا هذه آلهتك يا اسرائيل التي اصددتك من أرض مصر . فلما نظر هارون بنى مذبحا أمامه ونادى هارون وقال غدا عيد للرب . فبكروا في الغد وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة ، وجلس الشعب للاكل والشرب ثم قاموا للعب . فقال الرب لموسى اذهب انزل لأنك قد فسد شعبك الذى أصددته من أرض مصر . . .

فانصرف موسى ونزل من الجبل . . . وقال موسى لهارون : ماذا صنع بك هذا الشعب حتى جلبت عليه خطية عظيمة ، فقال هارون : لا يحم غضب سيدي . أنت تعرف الشعب انه في شر . فقالوا لي اصنع لنا آلهة تسير أمامنا . لأن هذا موسى الرجل الذى أضعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه . فقلت لهم : من له ذهب فلينزعه ويعطنى فطرحته في النار فخرج هذا العجل^(١) . وقد ناقشت هذا النص اليهودى وبينت زيفه في الباب الثاني عند الحديث عن عاداتهم الاوثان في عهد موسى عليه السلام بما لا مزيد عليه .

٧ - موسى وهارون في القرآن الكريم :

ان لموسى وهارون عليهما السلام لمكانة عظيمة ومنزلة رفيعة في القرآن الكريم ، فقد ورد ذكر موسى عليه السلام في كتاب الله تعالى في نحو مائة وستة وثلاثين موضعا . وورد ذكر هارون عليه السلام في عشرين موضعا باسمه الصريح وبالأخوة لموسى في ثمانية مواضع . ولقد ارتبط ذكر هذين الرسولين في كتاب الله الكريم بدعوتهما ، وجهادهما في سبيل اخراج بنى اسرائيل من الظلمات الى النور ، تليفا لرسالات ربهما ، فقاما بذلك خير قيام ، وجاهدا في الله حق جهاده ، حتى استحقا من ربهما الكريم الأجر الجزيل والذكر الجميل . وفي هذا الموضع استعراض لبعض الآيات القرآنية التي جمعت بين هذين النبيين ، وبينت أنهما نبيان أرسلهما الله تعالى الى فرعون وقومه ، والى بنى اسرائيل الذين كانوا يبرزهون في أغلال العبودية ، وعذاب السخرة على يد فرعون وملائكته . واليك بيان بعض تلك الآيات : قال الله تعالى :

" واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا . وناديناه من جانب الطور الايمن وقريناه نجيا ، ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا " (٢)

" ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياءً وذكرنا للمتقين " (١) .
 " ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين " (٢) .
 " ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً . فقلنا
 اذها الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدعناهم تدعونا " (٣) .
 " ولقد مننا على موسى وهارون ، ولجيناهما وقومهما من الكرب العظيم .
 ونصرناهم فكانوا هم الغالبين . وآتيناها الكتاب المبين ، وهديناهما
 الصراط المستقيم . وتركنا عليهما في الآخريين سلاماً على موسى وهارون ، ائنا
 كذلك نجزي المحسنين ، افهما من عبادنا المؤمنين " (٤) .
 هكذا يبين القرآن الكريم ما لهذين النبيين الكريمين من منزلة رفيعة
 عند الله تعالى ، تعلو وتسمو على كل طعن أو فرية يروجها اليهود في
 أسفارهم عن هذين الرسولين عليهما السلام . وما هم بضارين بهـ
 الافتراءات سوى أنفسهم ، وأما هذان النبيان فهما بمنزل عن سوء ،
 وسلامة عن النقائص .
 ونختم كلامنا عنهما بالذكر المعطر الخالد الذي ترك الله عليهما
 في الآخريين فنقول : " سلام على موسى وهارون " .

(٢) سورة المؤمنون ٤٥

(١) سورة الانبياء ٤٨

(٤) سورة الصافات ١١٤-١٢٢

(٣) سورة الفرقان ٣٥-٣٦

المبحث الثالث

موقفهم من داود عليه السلام

١ - رميه بالزنا : ينظر اليهود الى داود عليه السلام نظرتهم الى احد ملوكهم العظام ،

فيصفونه بالحسنات أحيانا ، وبالسّيئات أحيانا أخرى ، ومما نسبوا اليه من الأمور

المسيئة فاحشة الزنا . فقد زعموا أنه زنى بامرأة احد جنوده فأحبها سفاها ،

ثم أقدم على جريمة أخرى إذ أرسل زوجها الى ميدان المعركة ، فرصد له من

أوقعه في أتون الحرب حتى قتل فيها ، فخلفه بعد ذلك على زوجته التي

كان قد دخل بها سفاها من قبل ، فولدت له تلك المرأة سليمان عليه السلام .

واليك نص ما جاء في ذلك :

” وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريريه وتمشى على سطح بيت الملك ،

فرأى من على السطح امرأة تستحم ، وكانت المرأة جميلة المنظر جدا ، فأرسل

داود وسأل عن المرأة ، فقال واحد : اليست هذه بتشيع بنت أليام امرأة

أوريا الحثي ؟ فأرسل داود رسلا وأخذها فدخلت اليه فاضطجع معها وهي

مطهرة من طمئنها ، ثم رجعت الى بيتها وحبلت وأخبرت داود وقالت : انى حبلنى . (١)

وتقول الرواية : ان داود لما علم أن المرأة قد حملت منه ، أراد ان يخفى

جريمته فطلب حضور زوجها من ساحة الحرب وجهاد الأعداء ليتصل بزوجه

ويمحو بذلك أثر جريمته ، فحضر الرجل ، ولكنه أبى ان يستظل بسقف بيته

واخوانه المحاربون في ميدان المعركة يعيشون في الخيام ، فبات على باب بيت

داود ، فدعاه داود ، فسقاه خمرًا ، وأسكره ليذهب الى بيته فلم يفعل ، ولما يئس

داود من حمله على ذلك ، كتب كتابا الى قائد الجيش فحمله أوريا نفسه ، وأمر

قائده أن يجعل أوريا في مكان تحمى فيه المعركة ، وينسحب بالجنود من خلفه

ليموت ، ففعل قائد الجيش ما أمر به ، فقتل أوريا في الحرب بتلك الخديعة .

وهذا نص ما جاء في ذلك :

" فأرسل داود الى يوبأ يقول أرسل الى أوريا الحثي ، فأرسل يوبأ أوريا الى داود . . . وقال داود لأوريا : انزل الى بيتك واغسل رجلك . فخرج أوريا من بيت الملك . . ونام أوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده ، ولم ينزل الى بيته . . . فقال داود لأوريا : أما جئت من السفر ؟ فلماذا لم تنزل الى بيتك ؟ فقال أوريا لداود : ان التابوت واسرائيل ويهوذا ساكنون في الغيام ، وسيدى يوبأ وعبيد سيدى نازلون على وجه الصحراء ، وأنا أتى الى بيتى لا لى وأشرب وأضطجع مع امرأتى ؟ وحياتك وحياة نفسك لا أفعل هذا الأمر . . . ودعا داود فأكل امامه وشرب وأسكره ، وخرج عند المساء ليضطجع في مضجعه مع عبيد سيده والى بيته لم ينزل . وفي الصباح كتب داود مكتوبا الى يوبأ وأرسله بيد أوريا ، وكتب في المكتوب يقول : اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة ، وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت . وكان في محاصرة يوبأ المدينة أنه جعل أوريا في الموضع الذى علم ان رجال البأس فيه ، فخرج رجال المدينة وهاربوا يوبأ فسقط بعض الشعب من عبيد داود ومات أوريا الحثي أيضا " (١) .

وفي هذا من الظلم العظيم ما لا يخفى ، لأنه قتل نفس بريئة بغير موجب لذلك ، وحاشا لنبي عمله الله خليفة في الأرض ليحكم بالقسط أن يتبع الهوى فيقدم على هذا العمل الشنيع والجرم الفظيع .

ثم ذكروا ان داود ضم تلك المرأة الى نسائه بعد خدادها على زوجها القتل سبعة أيام فقالوا : " فلما سمعت امرأة أوريا انه قد مات أوريا رجعتها ندمت بعلمها . ولما مضت الضاحة أرسل داود وضماها الى بيته ، وصارت له امرأة وولدت له ابنا . وأما الأمر الذى فعله داود ففبح في عينى الرب " (٢) .

ثم ذكروا ان ذلك الزرع الخبيث كان ولدا ذكرا فأصابه الله بالمرض فهلك . ثم جاء بعده سليمان عليه السلام . أى انهم جمعوا على هذا النبي الكريم وابنه النبي الكريم سليمان عليهما السلام سوات وعيوباً تنتزه عنها مكانتهم الطاهرة ،

(١) صموئيل الثاني ١١ : ٦-١٧ (٢) صموئيل الثاني ١١ : ٢٦-٢٧

من تلك السوءات أن رموا داود بالفاحشة ، ثم بالتسبب في القتل العمد بل وبالتستر على الجريمة بدفع زوج المرأة الى مواقعتها وهو يأبى ويرفض الى أن بلغ به الأمر الى اسكاره ، ومنها ان نسبوا اليه أنه خلف الزوج الشهيد على تلك المرأة وضمها الى قصره فاتخذها زوجة . أى انه زنى وقتل وتزوج بزانية . ثم أوردوا عقب هذه القصة أن نبياً اسمه ناثان أرسله^{الله} الى داود عليه السلام وقال له : * كان رجلان في مدينة واحدة ، واحد منهما غنى والاخر فقير . وكان للغنى غنم وبقرة كثيرة جداً . وأما الفقير ، فلم يكن له شيء الا نعجة واحدة صغيرة قد اقتناها ورباها ، وكبرت معه ومع بنيه جميعاً ، تأكل من لقمته وتشرب من كاسه ، وتنام في حضنه ، وكانت له كابنة . فجاء ضيف الى الرجل الغنى فعفا أن يأخذ من غنمه ومن بقره ليهيئ للضيف الذى جاء اليه . فأخذ نعجة الرجل الفقير وهياً للرجل الذى جاء اليه * (١) .

ولما سمع داود من ناثان هذه القصة التمثيلية ، غضب غضباً شديداً فحكم بقتل الرجل الغنى ، وضمان نعجة الرجل الفقير برد أربعة أمثالها اليه . فأخبره ناثان ان الرجل الذى فعل تلك الفعلة هو داود نفسه ، فوصفه وذكره بنعمة الله عليه ان جعله ملكاً ، ونجاه من اعدائه وأسبغ عليه المطاء . وأن من أنعم الله عليه بهذه النعم الجليلة ، لا ينهض أن يفعل ما فعله . وأخبره أن الله سوف يعاقبه على ما جناه . فأبدى له داود ندمه وتوبته ، غير أن ناثان أخبره بأن الله قد قضى أن يعاقبه بثلاث عقوبات : احداها : أن لا يفارق السيف بيته . وثانيتهما : أن يبعث عليه من اقاربه من يؤذى بنسائه جهاراً . وثالثتها : ان يموت ذلك الولد الذى جاء من تلك المرأة .

وتحقيقاً لهذه العقوبات ، ذكروا أن أحد أبناءه وهو آمنون بن داود قد زنى بأخته ثامار بنت داود (٢) . وأن أبشالوم ابنه زنى بسراريه أمام جميع بنى اسرائيل^(٣) .

(١) صموئيل الثاني ١٢ : ٤ - (٢) صموئيل الثاني ١٣ : ١ - ١٥

(٣) صموئيل الثاني ١٦ : ٢٠ - ٢٢

وهذه عقوبة الزنا في أهل بيته من أهل بيته ، وذكروا ان أبشالوم شقيق ثامار
قتل أخاه الزاني آمنون انتقاما لشقيقته ثامار ، ثم خرج على أبيه داود ، فبقي
يحارب أباه سنوات اهتز منه عرش داود . وهذه عقوبة السيف في بيته .
وقالوا ان ذلك الولد أيضا قد مات . فتست المعويات الثلاثة .

ومن الغريب أن اليهود قالوا في حق هذين النبيين ما لم يقولوا في
غيرهما من العيوب ، فقد ذكروا أنهما يرجعان إلى ليثة التي أدخلت على
يعقوب بلا نكاح فولدت له يهودا رابع أولاد يعقوب ، كما ذكروا ان يهوذا
هذا زنى بكتله التي مات عنها ابنه وهي ثامار ، فحملت من الزنا فولدت
له ولدين وهما فارص وزراح (١) ، وإلى فارص هذا يعول نسب هذين النبيين
في نظر اليهود (٢) .

٢ - بيان أن المثل المضروب لداود ليس مطابقا للقصة :

ان المثل المضروب لداود فيما نسب إليه من قصة امرأة أوريا على لسان
ناثان ، ليس مطابقا للقصة من عدة وجوه :

الوجه الأول : ان الرجل الفقير المقام في المثل مقام أوريا قد ربي النعمة ^{المقامة} مقام
المرأة . وليست كذلك امرأة أوريا ، بل هي زوجة . والامثل ان يقال انه
ملك نعمة لها من الصفات كذا وكذا ويذكر محاسنها .

الوجه الثاني : جاء في القصة ان النعمة كبرت مع ابنا الفقير ، وأما أوريا فلم
يرب زوجته مع بنيه والامثل ان يقال ان الرجل الفقير لديه نعمة تدر اللبن
على بنيه .

الوجه الثالث : ان الرجل الفني الذي شبه به داود لم يقتل مالك النعمة ،
وانما أخذها منه فقط . وأما داود فقد نسب إليه القتل ، أي قتل زوج المرأة .

فالأشبه أن يقال : أن الرجل الفنى قتل الرجل الفقير للاستيلاء على نعمة .

الوجه الرابع : أن الرجل الفنى ذبح نعمة الرجل الفقير . وأما داود ، فلم يقتل المرأة ولا أذاها . والأشبه أن يقال أن الفنى استولى على نعمة الرجل الفقير .

الوجه الخامس : أن الرجل الفنى قدم نعمة الفقير طعاما لضييفه . وأما داود فلم يقدم المرأة لأحد ، وإنما أخذها لنفسه حسب الرواية ، والأشبه أن يقال أنه ضم النعمة إلى تعاجله .

هذه الوجوه الخمسة تبين لنا ما بين المثل المضروب والقصة من فروق .
والمثل ينبغى أن يطبق على ما ضرب له ، والا فهو مثل ناقص ، والوحى الإلهي في هي مكانة رفيعة عن مثل هذه النقائص . فدل هذا على أن القصة والمثل المضروب لها موضوع مفتراة على هذا النحو . ولقد جاء في القرآن الكريم قصة رجلين متخاصمين على نعمة واحدة ادعى أحدهما أنها له ولا يملك غيرها ، بينهما خصمه يملك تسعا وتسعين نعمة ويغالبه على النعمة الواحدة فحكم داود للمدعى بحضور المدعى عليه ، وليس في القصة ما يدل على أن القصة جاءت على سبيل التمثيل . وفيما يلي استعراض لتلك القصة على ضوء القرآن الكريم .
مع بيان ما جاء في تفسيرها من أقوال أهل العلم .

٣ - نبأ الخصم في القرآن الكريم :

أن القرآن الكريم هو كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وهو الكتاب الذى لم يكل الله حفظه الى أحد من خلقه بل تكفل بحفظه من التحريف والتبديل والزوال بقوله : " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون " (١)
لذلك بقي محفوظا بحفظ الله تعالى من كل سوء فأصبح بذلك هو المصدر الصحيح والمعين الصافي الذى يتحتم أن يرجع اليه في معرفة الصحيح من قصص الأنبياء وأمهم . وأما الكتب التي سبقتها فقد حرفت وبدلت ، وتعدت عن الحق بعدا لا يدرك الحق معه منها . لذلك جعل الله القرآن الكريم مهيمنا على تلك الكتب هيمنة الحق على الباطل .
(١) سورة الحجر : ٩

قصة داود عليه السلام مع الخصم جاءت في القرآن الكريم باسم " نيساب " الخصم " في قوله تعالى : " وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف : خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط . ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب . قال لقد ظلمك بسوء الظن معك إلى تعاجله وان كثيرا من الخطأ ليس في بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وطن داود أنما فتناء فاستغفر ربه وخر راجعا وأتاب : ففغرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب " (١) .

٤ - مقارنة بين نبأ الخصم في القرآن وبين الرواية اليهودية :

في القرآن الكريم

في الرواية اليهودية

- | | |
|--|---|
| ١ - الخصمان حضرا إلى داود لطلب الحكم في الخصومة | ١ - نبي اسمه ناثان أرسل إلى داود |
| ٢ - أحد الخصمين بين له الخصومة | ٢ - ناثان قص عليه قصة المتخاصمين |
| ٣ - أحد الخصمين له تسع وتسعون نعجة والاخر له نعجة واحدة | ٣ - أحد الخصمين له غنم ومقر كثيرة جدا والاخر له نعجة واحدة |
| ٤ - صاحب النعاج طلب من خصمه أن يملكه النعجة الواحدة وغلبه في المطالبة ولم يأخذها | ٤ - الغني أخذ نعجة الفقير وقدمها طعاما لضيفه |
| ٥ - داود عليه السلام حكم للمدعي على المدعى عليه بأنه ظلمه | ٥ - داود حكم على الغني بالقتل وإعادة أربعة أمثال نعجته التي أخذها . |

وبهذه المقارنة يتضح أن ما جاء في القرآن الكريم هو الصحيح الذي يتبني ان يؤخذ به وأنه بعيد كل البعد عما جاء في الرواية اليهودية . ومع ذلك ذهب كثير من المفسرين الى تفسير الآيات السابقة تفسيراً يدور في فلك هذه الرواية اليهودية . واليك بيان تلك الأقوال بإيجاز .

٥ - بيان آراء المفسرين في تفسير آيات نبأ الخصم :

ان الآيات القرآنية الواردة في بيان نبأ الخصم ، تدل بسياقها على أن داود عليه السلام فوجى* بخصمين وهو في محرابه ، ففزع منهما لدخولهما عليه متسورين محرابه . وأنهما طمأناه بأنهما خصمان بقى بعضهما على بعض فجاءا يطلبان ان يحكم بينهما بالحق بلا ظلم ، وأن يرشدهما الى الصراط السوى ، فقص صاحب النعجة الواحدة قصتهما موضحاً أن النعجة الواحدة هي محل النزاع بينه وبين خصمه الذي له شبع وتسمون نعجة بينهما هو لا يملك غير تلك النعجة التي يتنازعا عليها ، فحكم داود عليه السلام للمدعى بقوله : " لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه " ، ثم ذكرت ثمة الآيات والآية التي بعدها ما يدل على أن هناك خطأ صدر عن داود عليه السلام ، وذلك في قوله : " وظن داود أنما فتناه فاستغفر به وخر راكعاً وأتاب . فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب " . أى ان الابتلاء الالهى الذى علم داود من هذه الخصومة ، واستغفاره وخروره راكعاً وانايته ، وقوله تعالى : " فغفرنا له ذلك " ، كلى هذه الأمور ، دلت على ان داود عليه السلام ارتكب خطأ ما . فما هو ذلك الخطأ ؟ فبناءً على هذا ذهب كثير من المفسرين الى أن الآيات القرآنية هذه انما جاءت تمثيلاً لداود عليه السلام على ذنب اقترفه لتنبيهه على ما أقدم عليه . وذهبوا في البحث عن ذلك الخطأ مذاهب شتى تعود بأصولها الى رواية اليهود السابقة ، وان اختلفت عنها زيادة ونقصاً .

القول الأول : انه نظر الى المرأة المتزوجة مريدا أن تكون زوجة له بمد أن رآها

بلا قصد .

القول الثاني : انه ارسل زوج المرأة للغزو وهو يتمنى أن يموت فيه .

القول الثالث : انه نوى أن يتزوج المرأة بمد ان قتل زوجها (١) .

القول الرابع : انه خطب المرأة التي خطبها أوربا فغاب عنها فتزوجها .

القول الخامس : انه لم يجزع على قتل زوجها كما كان يجزع على من قتل من الجند ،

ثم تزوجها .

القول السادس : انه حكم لأحد الخصمين قبل أن يسمع من الآخر (٢) .

القول السابع : انه فوجى* بجماعة من أعدائه يريدون قتله ، فوجدوا عنده حرسا

فتصنعوا هذه الخصومة . فعلم عليه السلام غرضهم ، فهم أن ينتقم

منهم . فظن أن ذلك ابتلاء* ، فاستغفر ربه ما هم به من الانتقام من

أعدائه (٣) .

القول الثامن : انه طلب من الزوج أن يتنازل له عن زوجته فتنازل له مستحييا

فتزوجها (٤) .

(١) يبدو أن القولين الثاني والثالث أحدهما مكمل للآخر فان ارسال الرجل

للغزو لا يكون موضع عتاب الا اذا قصد من ارساله ان يتزوج امرأته ان

قتل . فليتأمل .

(٢) فتح القدير ج٤ ص ٤٢٧ وفتح البيان الذى يعتبر نسخة اخرى لفتح القدير

ج٨ ص ١٦٢ مطبعة العاصمة القاهرة تاليف الشيخ صديق حسن خان

المتوفي سنة ١٣٠٧هـ سنة ١٩٦٥م

(٣) انظر تفسير ابي السعود ج٤ ص ٢٨٨

(٤) انظر غرائب القرآن ج٢٣ ص ٨٦ و تفسير ابي السعود ج٤ ص ٢٨٧ وفتح

القدير ج٤ ص ٤٢٧ .

وهذه الأقوال على كثرتها ترجع بأصلها الى الرواية اليهودية ما عدا القول بأنه حكم لأحد الخصمين قبل الاستماع الى الآخر . وبأنه هم أن ينتقم من أعدائه . هذان القولان فقط ليس لهما أصل في رواية اليهود . فالأول منهما هو المفهوم من سياق الآيات ، وأما الثاني فيحتاج في اثباته الى نص عن المعصوم ولا نص في ذلك ، فسقط مع بقية الأقوال .

٦- ردود العلماء لهذه الآراء :

وبجانب تلك الآراء التي تعود الى الرواية اليهودية والتي تناقلتها السنة المفسرين وأقلامهم في العصور المختلفة ، تزخر التفاسير بأقوال العلماء الذين نافحوا هذه الفرية عن نبي الله داود عليه السلام وشددوا النكير على من اعتمد على تلك الرواية الكاذبة في تفسير كلام الله تعالى . فمن أشدهم صولة وجولة في رد هذه التفاسير الامام ابن حزم رحمه الله تعالى في كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل حيث قال بعد أن أورد الآيات من سورة (ص) .

" وهذا قول صادق صحيح لا يدل على شيء " مما قاله المستهزئون

الكاذبون المتعلقون بخرافات ولدها اليهود ، وانما كان ذلك الخصم قوما من بنى آدم بلا شك مختصمين في نجاج من الغنم على الحقيقة بينهم ، بنى أحدهما على الآخر على نص الآية . ومن قال انهم كانوا ملائكة معرضين بأمر النساء ، فقد كذب على الله عز وجل وقوله ما لم يقل وزاد في القرآن ما ليس فيه ، وكذب الله عز وجل ، وأقر على نفسه الخبيثة أنه كذب الملائكة ، لأن الله تعالى يقول : " وهل أتاك نباء الخصم " فقال هو : لم يكونوا قط خصمين ، ولا بنى بعضهم على بعض ، ولا كان لأحدهما قط تسع وتسعون نجمة ، ولا كان للآخر نجمة ، ولا قال له : " اكلمنيها " . فاعجبوا لم يحمون فيه أهل الباطل أنفسهم (١)

(١) قوله : " لم يحمون فيه أهل الباطل أنفسهم " لم يتضح لي معناه . ونقل الشيخ جمال الدين القاسمي في تفسيره كلام ابن حزم هذا وجاء فيه : " لم يحمون فيه الباطل أنفسهم " ص ج ١٤ ص ٥٠٨٩ ولم يتضح لي المعنى أيضا . ولعل الصواب ان يقال : " لم يحمون في الباطل أنفسهم " . والله أعلم .

ونعوذ بالله من الخذلان ثم كل ذلك بلا دليل ، بل الدعوى المجردة ، وتالله ان كل امرئ منا ليصون نفسه وجاره المستور عن أن يتمشق امرأة جاره ، ثم يعرض زوجها للقتل عمدا ليتزوجها ، وعن أن يترك صلاته لطائر يراه (١) هذه أفعال السفهاء المتهوكين (٢) الفساق المتمردين ، لا أفعال اهل البر والتقوى ، فكيف برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أوحى اليه كتابه ، وأجرى على لسانه كلامه ؟ لقد نزهه الله عز وجل عن أن يعر مثل هذا الفحش بباله ، فكيف ان يستضيف الى أفعاله ؟ (٣) .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : " قد ذكر المفسرون هنا قصة اكثرها مأخوذ من الاسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه ، ولكن روى ابن ابي حازم هنا حديثا لا يصح سندده لانه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس رضى الله عنه ، وي زيد وان كان من الصالحين ، لكنه ضعيف الحديث عند الاثمة . فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة ، وأن يرد علمها الى الله عز وجل . فالقرآن حق ، وما تضمن فهو حق أيضا " (٤) .

وقال الزمخشري رحمه الله بعد أن استعرض تلك الآراء : " فهذا ونحوه مما يقبح أن يحدث به عن بعض المتسمين بالصلاح من أفناء المسلمين فضلا عن بعض أعلام الانبياء . وعن سعيد بن المسيب والحارث الأعور : أن على بن أبي طالب رضى الله عنه قال : " من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلده مائة وستين ، وهو حد الفرية على الانبياء " (٥) .

-
- (١) يشير الى ما ذكره المفسرون من ان داود شاهد حمامة من ذهب وهو في محرابه يصلى فمد يده ليأخذها فطارت فذهب خلفها فطارت من كوة فتبعها فوقع بصره على المرأة وهى تغتسل فكان ما كان من أمرها .
- (٢) المتهوك : المتحير كالهواك كشداد : الساقط في هوة الردى ، المتهوك التهور والوقوع في الشئ بغير مبالاة قاله في القاموس .
- (٣) الفصل في المثل ج٤ ص ١٨
- (٤) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص ٣١
- (٥) تفسير الكشاف ج٣ ص ٣٦٦ .

وحكم ابو السعود رحمه الله على تلك الاقوال بـأنها : " افك مبتدع مكروه ومكر مخترع بئسما مكروه ، تمجه الاسماع وتنفر عنه الطباع ، ويل لمن ابتدعه وأشاعه ، وتبا لمن اخترعه وأذاعه . ولذلك قال علي رضي الله عنه : " من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلده مائة وستين وذلك حد الفرية على الانبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم " (١) .

وقال الشيخ محمد الامين الشنقيطي رحمه الله : " واعلم أن ما يذكره كثير

من المفسرين في تفسير هذه الآية الكريمة ما لا يليق بمنصب داود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، كله راجع الى الاسرائيليات ، فلا ثقة به ، ولا معول عليه ، وما جاء منه مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم لا يصح منه شيء " (٢) .

وقال علي عبد الواحد وافي : " والقصة على هذا الوضع محض افتراء ،

ولا يتصور صدور وقائعها من رجل عادي ذي خلق (٣) ، فضلا عن نبي كريم .

ومن ثم أخطأ بعض المفسرين خطأ كبيرا ان فسروا ما جاء في القرآن الكريم في

سورة (ص) (٩٠) عن داود والخصمين اللذين اختصما اليه على النحو الذي

ورد في سفر صموئيل ، مع أن العبارات التي ذكرت بها القصة في القرآن

الكريم ، لا تدل صراحة على شيء من ذلك . ولذلك كان علي بن أبي طالب

رضي الله عنه يقول : " من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلده مائة وستين جلدة " يقصد بذلك أن من يتحدث هذا الحديث فانه يرتكب جريمة

القذف ، وحد القذف العادي في الاسلام ثمانون جلدة ولكن اذا تناول القذف

نبيا كريما كان مرتكبه خليقا بأن يضاعف له هذا الحد ضعفين " (٤) .

(١) تفسير ابي السعود ج ٤ ص ٢٨٨

(٢) اضواء البيان ج ٧ ص ٢٤

(٣) قوله : " ذي خلق " من غير ان يقيد الخلق بصفة يجعل الكلمة محتملة لأن

توصف بالحسن أو القبح وان كانت القرينة تدل على الحسن . لذلك يوصف

الخلق بالحسن وضده .

(٤) الاسفار المقدسة في الاديان السابقة للاسلام ص ٤٥

وبعد أن استعرضنا تلك الأقوال المشابهة لأقوال أهل الكتاب في قصة داود ، وعقبنا عليها بأقوال العلماء الذين شددوا بالنكير على من ذهب إلى الاعتماد على رواية اليهود من المفسرين في قصة داود ، بعد هذا كله يلوح لنا من سياق الآيات السابقة أن الخطأ الذي استغفر منه داود موقنا أن الله تعالى إنما ابتلاه به ، هو أنه عليه السلام حكم لأحد الخصمين قبل أن يسمع عن الآخر (١) مؤكداً حكمه بالقسم . فسرعان ما أدرك أنه أخطأ في حكمه للمدعى بتلك الطريقة ، وحسب وان كان الحق في الخصومة على نحو ما حكم به ولذلك جاء قوله بعد ذلك : " وان له عندنا لزلفى وحسن مآب " أى ان ذلك ليس بقادر في مكانته الرفيعة ومنزلته العالية عند الله ، وفيما ادخله من حسن الوفاة عليه يوم المآب ، وما يؤكد هذا المعنى قوله تعالى بعد ذلك : " يا داود انما جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب " ففيها حث على تحرى العدل في الحكم ونهى عن اتباع الهوى ، ووعيد شديد لمن ضل عن سبيل اللع باتباع الهوى . وفي هذا دليل على أن هناك تقصيرا وقع من داود عليه السلام في الحكم . وهذا كله مبنى على أن الخصم من البشر وهو الذى يدل عليه سياق الآيات ولو كانوا من الملائكة لما قص علينا بهذه الصورة ، وانما يوضح ذلك فيقول وهل أتاك نبأ الملائكة لا أنهم وان كان مقام التصريح قد اقتضى ان يقولوا لداود : " خصمان " فان الاخبار عما وقع بعد ذلك يقتضى أن يكون على سبيل التصريح . وحيث ان الله تعالى قال في مقام الاخبار أنهما خصمان ، وجب القول بأنهما خصمان على وجه الحقيقة ، وليس في القصة تمثيل أو تشبيه . وهذا هو الأليق بمقام النبوة ، وأبعد من القول على الله بلا علم ، وأقرب إلى ما يفهم من سياق الآيات القرآنية .

(١) انظر الجواهر في تفسير القرآن للشيخ طنطاوى جوهرى ج ١٨ ص ٧٩-٨٠ .

المبحث الرابع

موقفهم من سليمان عليه السلام

١ - رميهم سليمان بالكفر : ينظر اليهود الى سليمان نظرتهم الى داود عليهما السلام من حيث أن كلا منهما من ملوك بني اسرائيل ، وإذا كانوا ينظرون الى الأنبياء والرسل الذين يقرون بنبوشتهم تلك النظرة الخاطئة التي تحط من قدرهم ومكانتهم كما بدا ذلك فيما مضى ، فإن موقفهم من يعتبرونه أحد ملوكهم لا نبيا من انبيائهم ، هو أكثر تطرفا وأشد اساءة . فقد نسبوا اليه عليه السلام أقبح المعاصي وأعظمها ، وهو الشرك بالله تعالى . حيث زعموا أنه عليه السلام خالف شرع الله تعالى في النهي عن ادخال الأمم الى بيوت بني اسرائيل ، ودخول بني اسرائيل الى بيوتهم درءا للمفاسد المترتبة على ذلك ، وهي أن يألف بنو اسرائيل عادة الأصنام التي تعبدها تلك الأمم فيعبدوها . فلما خالف سليمان في زعمهم هذا التشريع الالهي وتزوج نساء كثيرات من الأمم الكافرة ، أثرت في عقيدته وسلوكه ، حتى بنى لهن المعابد وعمد معهن آلهتهن . وفي ذلك يقول سفر الملوك الأول :

" وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون . موآبيات ، وعمونيات ، وأدوميات ، وصيدونيات وحشيات (١) ، من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني اسرائيل : لا تدخلون اليهم ، وهم لا يدخلون اليكم ، لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم ، فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة ، وكانت له سبعمائة من النساء السيدات وثلاثمائة من السراى فأملت نساؤه قلبه . وكان في زمان شيخوخة سليمان ، أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى . ولم يكن قلبه كاملا مع الرب الهه كقلب داود أبيه . فذهب سليمان وراء عشتورث الالهة

(١) قال في السنن القويم : " كان الموآبيون والعمونيون والأدوميون في الشرق والصيدونيون في الغرب على شط البحر والحثيون في الشمال في جوار

الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين ، وعمل سليمان الشرقي عيني الحرب ، ولم يتبع الرب تماما كداود أبيه . حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكعوش رجس المؤابيين على الجبل الذي تجاه اورشليم . ولمولك رجس بنى عمون وهكذا فعل لجميع نساء الغريبات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن . ففضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب اله اسرائيل الذي ترائى له مرتين (١) ، وأوصاه في هذا الأمر ان لا يتبع آلهة أخرى فلم يحفظ ما أوصى به الرب (٢) . وفي هذا جناية كبيرة وبهتان عظيم على هذا النبي الكريم الذي ولد لنبي كريم وترعرع في بيت النبوة ثم أنعم الله عليه بالنبوة . * كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا *

وهذا الأمر الذي نسبوه الى سليمان عليه السلام مخالف للعقل والشرع . أما العقل فلا أنه لا يستسيغ أن يتزوج رجل الف امرأة ويعاشرهن معاشرة الأزواج . وهو أمر لا يتفق مع الطاقة البشرية المحدودة . وهذا العدد من النساء من الاجنبيات ^{فقط} وأما لساوئه الاسرائيليات ، فلا يدخلن في هذا العدد ، وأما الشرع فلأن الانبياء عليهم السلام صفوة البشر وهداتهم ، فلا يجوز عليهم أن يعبدا غير الله تبارك وتعالى ، كما لا ينهى لهم أن يقرأوا أهل بيتهم على عبادة الاوثان ويمكثهم من الكفر بالله ببناء المعابد لهم ، وهم عليهم السلام أبعد الناس عما يسخط الله تبارك وتعالى ، وأشدهم اقبالا على طاعته ، وأحرصهم على هداية الخلق ، وأعرفهم بما يليق بالله عز وجل وما لا يليق به . ولذلك يقول الحق تبارك وتعالى في بيان هذا الممنى :
 " ما كان لبشر أن يؤتيه ^{الله} الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ، ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون . ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيا مكرم بالكفر بعد ان أنتم مسلمون " (٣)

(١) زعموا أنه ترائى له مرة في جبعون ٣ : ٥ ومرة بعد بناء الهيكل ٩ : ٢ كما

سبق ذكره مفصلا في الباب الثاني .

(٢) الملوك الأول ١١ : ١٠ - (٣) آل عمران ٧٩ - ٨

قال ول ديورانت مشيرا الى هذا النص اليهودي : " ولما فرغ سليمان من اقامة ملكه شرع يستفتح به ، وأخذت عنايته بالدين ثقل على مر الأيام ، كما اخذ يتردد على حريمه اكثر مما يتردد على الهيكل . ولشد ما يلومه كتاب أسفار التوراة على شهامته ان اقام مذابح للالهة الخارجية التي كانت تعبدها زوجاته الاجنبيات ، ولا تطاوعهم أنفسهم على ان يصفحوا عنه لعدله الفلسفي - أو لعله السياسي - بين مختلف الآلهة " (١) .

ان هذه العبادة المزعومة ليست عدلا فلسفيا ولا سياسيا كما رأى ذلك ول ديورانت ، ولكنه خروج عن منهج الله وخيانة لعهدده وعدل للاوثان بربه ، وانما كان العدل وضعاً للامور في موضعها اللائق بها ، فان عبادة الاوثان شطط وبعد عن الحق ووضع للأشياء في غير موضعها ، فكيف توصف عبادة الاوثان وبناء صروحها بالعدل الفلسفي أو السياسي ؟ على ان هذه الرواية اليهودية فرية مختلقة وضعها من لا خلاق له في الايمان ، ورعى بها هذا النبي الكريم الذي جاء فيه وفي اخوانه الرسل والانبياء قول الله تبارك وتعالى :
 " ووهبنا له (اسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين)
 فذكرنا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين . واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين . ومن آباءهم وذرياتهم واخوانهم واجتبناهم وهديناهم الى صراط مستقيم . ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون . أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين أولئك اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه اجرا ان هو الا ذكرى للعالمين " (٢) .

(١) قصة الحضارة ج ٢ ص من المجلد الاول الشرق الأدنى ص ٣٣٧

(٢) الضمير في قوله : " له " يعود على ابراهيم عليه السلام .

(٣) سورة الانعام ٨٤ - ٩٠

هذه الآيات البينات تقطع تلك الفرية وتقتلعها من جذورها ، وتبين للمؤمنين أن سليمان عليه السلام ذو مكانة رفيعة عند الله تبارك وتعالى مع جماعة النبيين الأبرار والمصطفين الأخيار ، وهو عليه السلام من أمر محمد صلى الله عليه وسلم أن يقتدى بهداهم ، لا أنهم هم الذين هدى الله ، ولولا هدايتهم وصلاحتهم لما أمر الله عز وجل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقتدى بهديهم ، ولو كان سليمان كما زعم أولئك اليهود ، لكان الأمر بالاعتداء به في غاية القبح ، لأن الله تعالى لا يأمر بالكفر وإنما أرسل رسوله وأنزل كتبه لأحقاق الحق وإبطال الباطل فلا يوجد في الكون ما هو أشد بطلانا من الكفر برب العالمين وبهذا تبين بطلان ما كانوا يفتخرون به .

٢ - القرآن العظيم برأ سليمان عليه السلام من الكفر :

سبق إيراد النص اليهودي الذي تقول فيه اليهود على سليمان ورموه فيه بالفسق والردة وعادة الأوثان . وفي هذا الموضع إيراد الآية قرآنية كريمة ردت على اليهود ردا صريحا في نسبة الكفر إلى سليمان عليه السلام مما يدل على براءته وبعده عما يفضب ربه ، تعالى ، قال الله تعالى مخبرا عن اتباع اليهود ما كانت الشياطين تشيعه وتقرأه على ملك سليمان عليه السلام من السحر :

” واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن

الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر . . . ” (١) .

أي أنهم اتبعوا ما كانت الشياطين تقرأه وتتبعه في عهد ملك سليمان من السحر الذي ليس لسليمان به من صلة فينسب إليه ، وإنما الشياطين هم الذين أشاعوا بين الناس فنون السحر فكفروا بذلك حيث كانوا يعلمون الناس السحر على أنه من علم سليمان وأسراره التي أخضع بها الجن والانس ، ولم يكفر سليمان عليه السلام لهرائته من السحر ولما وعلا .

وفي هذا رد بليغ على مزاعم اليهود السابقة ، وفضح لتلك الفريسة التي نسبوها الى هذا النبي الكريم حيث نفي الله سبحانه عنه الكفر بعبارة صريحة تقطع لسان كل زنديق متقول حيث قال : " وما كفر سليمان " .
قال أبو السعود : " قيل كانت الشياطين يسترقون السمع ويضمون الى ما سمعوا أكاذيب يلقونها ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمونها الناس ، وفشا ذلك في عهد سليمان عليه السلام حتى قيل ان الجن تعلم الغيب (١) . وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم له ملكه الا بهذا العلم ، وبه سخر الانس والجن والطير والريح التي تجرى بأمره . وقيل ان سليمان عليه السلام كان قد دفن كثيرا من العلوم التي خصه الله تعالى بها تحت سرير ملكه فلما مضت على ذلك مدة توصل اليها قوم من المنافقين فكتبوا في خلال ذلك أشياء من فنون السحر تناسب تلك الأشياء المدفونة من بعض الوجوه ، ثم بعد موته واغلاص الناس على تلك الكتب اوهموهم أنه من عمل سليمان عليه السلام . وأنه لما بلغ هذا المبلغ الا بسبب هذه الأشياء (وما كفر سليمان) تنزيه لساحته عليه السلام عن السحر وتكذيب لمن افترى عليه بأنه كان يعتقد به . والتعرض لكونه كفرا للمبالغة في اظهار نزاهته عليه السلام وكذب باهتيه بذلك " (٢)

(١) جال في سورة سبأ ما يدل على أن الناس في ايام سليمان يعتقدون أن الجن كانت تعلم الغيب ولكن الله فضح ذلك بأن أخفى عليهم وفاة سليمان مدة من الزمن حتى عرفوا ذلك حين سقط بعدما أكلت الأرض عظامه التي توكأ عليها قال تعالى : " فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خربت بيت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في المذابح المهين " (١٤ سبأ) .

(٢) تفسير أبي السعود ج ١ ص ١٠٦-١٠٧

وقال الشيخ محمد جمال الدين القاسمي في تفسير هذه الآية : " هو حكاية لفن آخر من زيفهم وضلالهم ، اثر نبيذهم كتاب الله والعمل بما بين أيديهم . وهو اتباعهم لما تتلو الشياطين على ملك سليمان من السحر والكفر ، وأنه انما نال ذلك الملك بسبب معرفته السحر . وزادوا على ذلك فتنسوه الى الردة والكفر لأسباب افتروها عليه ، فبرأه الله تعالى من هذا الافتراء والاختلاق ، وألصق الكفر بأوليئك الشياطين الذين يضللون العقول والافهام بتعليم السحر والشعوذة ، واسناد التأثير الى غير الخالق سبحانه ، والصد عن سبيل الحق ، وابتغائهم اياها عوجا و " تتلو " بمعنى تقص وتحدث . من التلاوة وهي القراءة . أو بمعنى تكذب وتختلق . . . وذلك أنهم زعموا أن سليمان عليه السلام ارتد في اخر عمره وعبد الأصنام ، وبنى لها المعابد . كما تراه في الفصل الحادي عشر من سفر الملوك الثالث (١) . فانظر الى هذه الجرأة المظيية والقحة الكبيرة . ولما تنبه عقلاء أهل الكتاب المتأخرون لمثل هذه الفري ، اعترفوا بأنه ليس كل قول من الأقوال المندرجة في كتبهم المقدسة الهاميا ، بل بعضها كتب على طريقة المؤرخين بمعنى بلا الهام . كما في اظهار الحق " (٢) . وفي آية سورة الانعام التي سبق ذكرها قريبا دلالة صريحة على براءة سليمان وبهده عما كانوا يفترون . فقد ذكرت تلك الايات جملة من الانبياء من بينهم سليمان عليه السلام وأثبت عليهم ثناء كريما ، ونفت عنهم الضلالة ، ووصفتهم بالهداية والاستقامة ، وأمرت محمدا صلى الله عليه وسلم بالاعتداء بهداهم لكونهم أئمة الهدى وقادة الحق . فانظر في قوله تعالى وهو يثنى عليهم : " ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون " (٣) .

(١) والصحيح ان سفر الملوك الاول هو الذي اورد هذه الفرية كما سبق ذلك قريبا .

(٢) تفسير القاسمي " محاسن التأويل " ج ٢ ص ٢٠٧-٢٠٨

(٣) الانعام ٨٨

أما ان ذلك الدين الحق الذى كان عليه أولئك الانبياء الكرام هو دين الله القويم وهداه الذى يوفق الله له من يشاء من عباده ، ولو فرض أنهم اشركوا بربهم تاركين هدى الله لما كانت هناك مجاملة أو تستر عليهم ، بل تكون اعمالهم كلها كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف فلا يثابون عليها ولا يعتد لهم بها . لأن الصلة بين الله وبين عباده هي الاستقامة على شرعه ودينه ، فمن خالف شرعه ودينه وعهد غيره تعالى فقد قطع تلك الصلة واستحق غضب الله وسوء عقابه . فسلیمان عليه السلام من الذين هداهم الله وأنعم عليهم بالنبوة .

٣- سليمان عليه السلام كما في القرآن الكريم :

ان سليمان عليه السلام في القرآن الكريم احد انبياء الله تعالى وثاني النبيين الملكين . فقد أثنى عليه القرآن الكريم مع من أثنى عليهم من الانبياء الكرام ، كما أثنى / على وجه التخصيص والتنصيص ، وأورد ذكره في سبعة عشر موضعا من آياته وسوره .

وفي هذا الموضع ايراد لتلك الايات القرآنية التي تنص على مكانته عليه السلام عند الله تعالى ، وعند الذين آمنوا خلافا لما تتقوله عليه رواية اليهود الباطلة .

قال الله تعالى : " انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده ، وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهارون وسليمان وآتيناه داود زبوراً " (١) .

وقد سبق قريبا ايراد آيات سورة الانعام (٢) وهي صريحة في تهنئة

سليمان عليه السلام .

(١) سورة النساء ١٦٣

(٢) انظر سورة الانعام ٨٣-٩٠

وقال تعالى : " وداود وسليمان ان يحكمتا في الحرث ان نفشت فيه
غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين . ففهمتاها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما ،
وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين . وعلما صنعة لبوس لكم
لتحصنكم من بأسكم فهل انتم شاكرون . وسليمان الريح عاصفة تجري بأمره
الى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين . ومن الشياطين من يغوصون
له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين " (١) .

وفي هذه الايات ثلاث منقبات لسليمان عليه السلام x

المنقبة الاولى : ان الله سبحانه وتعالى فهمه من الحكم ما قد خفى على أبيه
داود عليه السلام وكل منهما نبي كريم ولكن الله يخص من يشاء بمزيد
فضل .

المنقبة الثانية : ان الله سبحانه سخر له الريح تأتمر بأمره وشجى في طاعته
كما يشاء . وهذا ما لم يكن لأحد من الناس .

المنقبة الثالثة : تسخير الشياطين له بحيث لا يربغون عن أمره وسلطانة فيعملون
له ما يشاء من عمل البناء والتعمير ومختلف انواع الصناعات . وهذا ايضا
ما خص الله به سليمان .

وقال تعالى : " ولقد آتينا داود وسليمان علما ، وقال الحمد لله الذى فضلنا
على كثير من عبادہ المؤمن وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس قد علمنا منطق
الطير وأوتينا من كل شيء " ان هذا لهو الفضل المبين . وحشر لسليمان جنود
من الجن والانس والطير فهم يوزعون . حتى اذا أتوا على وادى النمل قالت نملة
يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون . فتبسم
ضاحكا من قولها وقال رب اوزعنى ان اشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى
وأن اعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين . وتفقد الطير

فقال مالي لا ارى الهدد ام كان من الغائبين . لا عذبه عذابا شديدا
 اولاذبحنه اولياتبنى بسلطان مبين . فمكت غير بعيد فقال : أحطت بما
 لم تحط به وجئتك من سبأ بنباً يقين . اني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من
 كل شئ* ولها عرش عظيم . وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين
 لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون . الا يسجدوا لله
 الذى يخرج الخبء في السموات والارض ويعلم ما تخفون وما تعملون . الله لا
 اله الا هو رب العرش العظيم . قال سننظر اصدقت أم كنت من الكاذبين .
 ان هب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون . قالت
 يا أيها الملا انى القي الى كتاب كريم . انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن
 الرحيم . ألا تملؤا على واتوني مسلمين . قالت يا أيها الملا أفئتوني فى امرى
 ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون قالوا نحن اولوا قوة وأولوا بأس شديد
 والامراك فانظري ماذا تأمرين . قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية
 أفسدها وجعلوا أعزة اهلها أذلة وكذلك يفعلون . وانى مرسله اليهم بهدية
 فناظرة بم يرجع المرسلون . فلما جاء سليمان قال اتمدونن بمال وما آتاني
 الله خير مما آتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون . ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود
 لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون . قال يا أيها الملا أيكم
 يمتننى بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين . قال عفريت من الجن أنا آتيك به
 قبل ان تقوم من مقامك واني عليه لقوى أمين . قال الذى عنده علم من الكتاب
 أنا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل
 ربي ليبلونى أشكر ام اكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غني كريم .
 قال نكروا لها عرشها ننظر اتهدى ام تكون من الذين لا يهتدون . فلما جاءت
 قيل اهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين . وصدها
 ما كانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم كافرين . قيل لها ادخلى الصرح
 فلما رآته حسبته لجة وكشفت عن ساقها قال انه صرح مرمر من قوارير ، قالت رب
 انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان/رب العالمين" (١) .

وهذه الايات بطولها تؤكد ما لسليمان عليه السلام من منزلة رفيعة عند ربه الذى خصه بخصائص لا ينالها احد بعده . وأضافت هذه الايات الى تلك المنقبات الثلاث ، منقبتين هما : منقبة علم منطق الطير التي سخوت له أيضا ، ومنطق النمل التي أدرك سليمان مقالها فابتسم ضاحكا وشكر ربه على ذلك . ومنقبة استخدام تلك القوى التي سخرها الله له في الدعوة الى الله تبارك وتعالى ، وذلك ما دل عليه أمر الهدد الذى كان سببا في اسلام ملكة سبأ .

وجاء تأكيد هذا الأمر وزيادة منقبة اخرى لسليمان عليه السلام في

قوله تعالى :

”ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ، ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير . يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب ، وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور . فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين “ (١)

اي ان الله سبحانه سخر لسليمان الريح التي تجرى في الغداة مسافة لا تقطع عادة الا في الشهر وتجرى في الرواح مسافة ماثلة ، وانه عز وجل أسال له النحاس من معدنه كما يسيل الماء من ينبوعه ، وسخر له الجن يهيمون له ابنية عالية ، وصحافا واسعة كالحياض ، وقدورا ثابتات حيث توضع لعظم حجمها ، وانه عز وجل حينما قضى على سليمان الموت لم يعلم الجن بذلك ، الا بعد ان اكلت الأرض عصاه التي كان متكئا عليها فسقط عليه السلام . هنالك تبين للناس أمر الجن الذين كان يعتقد فيهم علم الغيب . وظهر انهم لو كانوا يعلمون الغيب لما خفي عليهم امروقاته حتى ظلوا يعملون ما أمروا به من الاعمال مدة طويلة بعد ان توفاه الله تعالى .

وفي آية أخرى أكد القرآن الكريم أن سليمان عليه السلام له مكانة عالية عند ربه في الدنيا والآخرة وأنه أوتي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فقال تعالى :

"ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب . إذ عرض عليه بالعشى الصافيات الجياد (١) . فقال اني أحببت حب الخير (٢) عن ذكر ربي (٣) حتى توارت بالحجاب . ردوها علي فطفق مسحاً بالسوق والاعناق . ولقد فتننا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً (٤) ثم أناب . قال رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي انك أنت الوهاب . فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب (٤) . والشياطين كل بناء وغواص . وآخرين مقرنين في الاصفاد . هذا عطاؤنا فامنن (٥) أو امسك بغير حساب (٦) ، وان له عندنا لزلزلي وحسن مآب (٧) .

هذا هو سليمان عليه السلام كما وضعه القرآن الكريم . فهو نبي من انبياء الله تعالى وملك أوتي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده . وان له عند الله عز وجل لزلزلي وحسن مآب .

قال في السنن القويم : " وعند العامة حكايات كثيرة عن سليمان لم يمس لها أصل في الكتاب ولا في العقل ، ومنها انه عرف لغة الحيوانات ، وأنه استخدم الجن بسحره " (٨)

(١) الصافيات : جمع صافن وهي الخيل التي تقف على ثلاثة أرجل وترفع الرابعة وطرف حافرهما على الأرض والجياد جمع جواد وهو الفرس السريع .

(٢) حب الخير : آثرت حب الخيل

(٣) عن ذكر ربي : عن تذكر أمر ربي في العناية بها لأنها عدة الجهاد .

(٤) جسداً : شيطاناً .

(٥) رخاء طيبة لينة . " حيث أصاب " حيث قصد وشاء .

(٦) " فامنن " : أعط (٧) " بغير حساب " بغير حرج .

(٨) سورة ص ٣٠-٤٠ (٩) السنن القويم ج ٤ ص ٢٦٦

وللباحث ان يناقش ما جاء في السنن القويم على النحو التالي :

أولا : من المراد بالعامّة المذكورين هنا ؟ أهمّ العامّة من اهل الكتاب ؟ أم هم العامّة من البشر ؟ أو هم المسلمون ؟

فإذا اريد بالعامّة عامّة الفريقين من اليهود والنصارى او عامّة احدهما ، فيقال من اين استقى اولئك العامّة هذه المعلومات التي خفيت على خواص القوم مثل كاتب السنن القويم ؟ وإذا علمنا ان اسفار اهل الكتاب وخاصة اسفار المهد العتيق لم تكتب في عهد من نسبت اليهم من الاشخاص ، أفلا يكون ما تناقله العامّة بعض ما لم يصل الى علم اولئك الكتاب من الحقائق

التي تناقلها الناس شفاهاً ؟ فقد كان ما دون ذلك الاسفار مثل ما لم يدون من الحقائق حيث كانت كلها ما تناقلها الناس شفاهاً ثم دون بعضها وترك البعض أفلا يحتمل ان تكون هذه القصة بعض تلك الحقائق التي لم تدون ؟ وما أكثر ما لم يدون

في أسفار اليهود من الحقائق ! وقد يكون ما تناقله العامّة أكثر صحة ما دون

في تلك الاسفار فكون العظمة يتسكون بها لا يدل على عدم صحتها ، كما

لا يعتبر التدوين دليلاً على صحة ما دون ، لأن ما جاء من اهل الكتاب

في أسفارهم ليس له سند يعول عليه ، ولا فرق بين ما كتبه ، وبين ما

يتناقلونه شفاهاً . هذا اذا اريد بالعامّة عامّة الفريقين او احدهما ، وكذلك

اذا اريد بالعامّة عامّة البشر .

وأما اذا اراد بالعامّة المسلمين فيقال له : ان المسلمين لم يتناقلوها على

أنها حكايات ، وانما اخذوها على انها حقائق ثابتة ثبوت وجود سليمان .

أخبر بها العلیم الخبير كما بينت الايات السابقة .

ثانياً : ما المراد بالكتاب في قوله : " ليس لها أصل في الكتاب " ؟

لا شك ان المراد به الكتاب المقدس عند هم بمعهديه القديم والجديد . ليت

شمري كيف يعتبر كتاب يحتاج في اثبات صحته الى دليل ، ميزانا لعدم صحة

ما لم يأت فيه ؟ !

ثالثا : اعتبار علم سليمان عليه السلام بلفة الحيوانات ، وتسخيره للجن أمرا منافيا للعقل امر غير مسلم به لأن ذلك ممكن عقلا وواقع فعلا . واما امكانه عقلا فلا لأن ذلك خاضع لقدرة الله تعالى الذي لا يمجزه شيء . وأما وقوعه فعلا ، فلأن الله تعالى أخبر بوقوعه ، وما أخبر الله بوقوعه فهو واجب التصديق والتسليم ، ومن اصدق من الله حديثا ؟ ! وايضا لا خلاف بين اهل الكتاب والمسلمين في أن ادم اول البشر وانه اول من عرف الكلام ، فمعرفة ادم بالكلام ابتداء معرفة سليمان بلفة الحيوانات ، لأن الذي علم آدم ، هو الذي علم سليمان . ويرد على هذا أيضا ما جاء في سفر التكوين عند قوله : " وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التي علمها الرب الاله . فقالت للمرأة احقا قال الله لا تاكل من كل شجرة الجنة ؟ ... فقالت الحية للمرأة لن تموت بل الله عالم انه يوم تأكلان منه تنفتح اعينكما فتكونان كالله عارفين الخير والشر " (١) .

أليس هذا ما جاء في الكتاب المذكور ؟ فكيف علمت حواء لغة الحية ؟ ولماذا لم يكن مخالفا للعقل ما جاء في سفرهم هذا ؟ واعتبرا ما جاء في غيره مخالفا للعقل مع انهما أمران متماثلان ليس احدهما أولى بالتكذيب أو بالتصديق من الآخر ، وأي عقل هذا الذي يرى ان العلم بلفة الحيوانات وتسخير الجن مخالف للعقل ؟ واما تسخير الجن لسليمان ، فليس منافيا للعقل ، فالجن بعض مخلوقات الله تعالى الكثيرة وهي وغيرها خاضعة لقدرة الله تعالى الذي خلقها من العدم . فالذي سخر لنا الشمس والقمر ، وسخر لنا ما في السموات وما في الأرض هو الذي سخر لسليمان الجن والشياطين كما سخر له الريح تجري بأمره . ولكن الذي لا يقبله المؤمن هو ادعاء ان ذلك التسخير كان بواسطة السحر ، فسليمان عليه السلام لم يستخدم السحر في تسخيرهم ، وانما الله تعالى هو الذي أمرهم بطاعته أمر الا صهر ب لهم

عن قوله * ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب السعير * هذا هو موقف العقل السليم من ذلك التسخير الالهي والتعليم الرباني . وأما العقل الذي يستبعده ، فهو العقل الذي يرى ان مريم حملت الاله في بطنها ، فولدته وأرضعته ، وتعرض لكل ما يتعرض له البشر من تطورات وتغيرات ، حتى بلغ مهاج الرجال فقتل على يد اليهود صلبا ، وهو يستنجد ويسترحم أباه ، ثم دفن كسائر البشر . غير انه قام من قبره بعد ثلاثة ايام فصعد الى السماء وجلس بجانب أبيه ، فكون احد الاقائيم الثلاثة التي تكون مجتمعة لها واحدا . وهو ايضا نفس العقل الذي يرى ان الاله ياكل ويشرب ويصارع ويغلب . وهذا العقل ليس من العقل السليم في شئ * حتى يكون ميزانا لما يعقل أو لا يعقل .

المبحث الخامس

موقفهم من عيسى عليه السلام

١- انتظارهم ظهور المسيح :
كان بنو اسرائيل يرتقبون ظهور ملك منهم يدعى المسيح ، يوحد صفوفهم ، ويعيد لهم السيادة ولا لهيبة التي كانت قد تلاشت بعد وفاة سليمان ، وتكون لهم السيادة على العالم في ظله ، ويعيشون في نعيم مقيم ، وعز مستديم وكلما هبت عليهم ريح المحن والاستكانة والضعف ، منوا أنفسهم بذلك المسيح المنتظر ، وازداد ترقبهم لظهوره ، وقد بلغت تلك الأمانى ذروتها حينما اقتلموا من أرض فلسطين وحملوا أسرى الى بابل . وكانوا يعتقدون انهم يمشون في ظل ذلك الملك في غاية السعادة ومتهنى العظمة ، وان طباع الحيوانات المفترسة تتغير ، فتكون السباع مسدلة أليفة لسائر الحيوانات ويكون الخير وفيرا .

يقول بولس حنا مسعد نقلا عن القلمود : " ان المسيح عندما يأتي تنتج الأرض حلوى وأثوابا من الصوف وحنطة خصبة ، الحبة الواحدة منها تزن ثقل كلية ثور فحل " (١) .

ويقول أيضا : " ان المسيح يعيد قضيب الملك الى اسرائيل فتخدمه وتخضع له الممالك . وعندئذ يمتلك كل يهودى ألفين وثمانمائة عدد وثلاثمائة وعشرة أبطال يكونون تحت امرته ، بيد ان المسيح لا يأتي ما لم ينقرض ملك الشعوب غير اليهودية وتتلاشى الشقاوة " (٢) .

بعد عودة بنى اسرائيل من السبي ، وفي الايام التي كانوا يخضعون فيها لحكم الرومان ، ولد عيسى بن مريم عليه السلام ولادة عجيبة اضطربت منها السنة اليهود وأفقدتهم ، فقد ولد من عذراء طاهرة بلا أب فلما بلغ مبلغ الرجال أرسله الله الى بنى اسرائيل برسالة اصلاحية ، لم تخرج عن القواعد العامة التي دلت عليها التوراة في العقيدة والشرعية ، الا ما أراد الله نسخه من الاحكام المفروضة

فيها على لسان عيسى عليه السلام . فيبلغ عليه السلام رسالة ربه واخبر بني اسرائيل انه هو المسيح الذي ينتظرونه زمنا طويلا وان المجد الذي يريد تأسيسه ليس ملكا دنيويا وانما هو الاصلاح الروحي الموصل الى ملكوت الله تعالى . فما كان جواب قومه الا التكذيب ، والمقاومة ، ورميه بعظام الاُمور وقبائح الخصال ، ولكنه صابر وثابر على دعوته ، وقاوم اليهود في كل مكاث نزل به مقاومة عنيفة ، وفضح ما هم عليه من الكفر والنفاق والرياء ، ووصفهم باقبح الاوصاف ، فأمن به كثيرون ، وكفرا آخرون ، فكان لكل من الفريقين مواقف منه عليه السلام . وهذا ما سيأتي توضيحه على ضوء ما روته الاناجيل السليحية ، وما وصل اليها نقله عن التلمود ، ثم نختم ذلك بما قص الله شارك وتعالى علينا من ذلك في القرآن الكريم .

٢ - موقفهم من عيسى عليه السلام كما روته الاناجيل :

ورد في الاناجيل ان كثيرا من اليهود آمنوا بالمسيح عليه السلام حينما شاهدوا الآيات التي ^{جرت} على يديه ، وعدوا كثيرا منهم قاوم دعوته وأعلن له العداوة . وكانت الكهنة والفريسيون والكتبة - وهما من فرق اليهود - يعادون المسيح معاداة سافرة ، وكان الفريسيون أشدهم وأكثرهم مقاومة له . ولكي يتضح موقفهم منه كما روته الاناجيل اليك بعض نصوصها فيما يأتي :-
أولا - موقف الفريسيين كما روته الاناجيل :

" فلما خرج الفريسيون تشاوروا عليه لكي يهلكوه فعلم يسوع وانصرف من هناك " (١)

* فرقة الفريسيين اكثر فرق اليهود عددا في الماضي والحاضر . واهم ما تتنازع به هذه الفرقة على الفرق الاخرى الاعتراف بجميع اسفار العهد القديم وأسفار التلمود ويطلق على فقهاءهم اسم الربانيين . وكذلك تتنازع بالايان بالبعث بعد الموت ولكن بالعودة الى الدنيا والتنعم فيها وذلك حينما يأتي مسيحهم الذي ينتظرونه . انظر الاسفار المقدسة لعلي عبد الواحد ص ٥٥ ومقارنة الاديان (١) - اليهودية ص ٢٢٢-٢٢٤

"أما الفريسيون فلما سمعوا قالوا هذا لا يخرج الشياطين ، الا

ببعلزبول^{رئيس} الشياطين " (١) .

"حينئذ ذهب الفريسيون وتشاوروا لكي يصطادوه بكلمة فأرسلوا اليه

تلاميذهم مع الهيروديسين قائلين يا معلم نعلم انك صادق وتعلم

طريق الله بالحق ولا تبالى بأحد لانك لا تنظر الى وجوه الناس ، فقل لنا

ماذا تظن أيجوز . ان تعطى جزية لقيصر ام لا ؟ فعلم يسوع خبثهم

فقال لماذا تجربونني يا مراؤون ؟ أروني معاملة الجزية فقدموا له دينارا

فقال لهم : لمن هذه الصورة والكتابة ؟ فقالوا له لقيصر . فقال لهم :

أعطوا اذا ما لقيصر لقيصر وما لله لله فلما سمعوا تعجبوا وتركوه ومضوا " (١)

"أما الفريسيون فلما سمعوا انه ابكم الصدوقيين اجتمعوا معا ، وسأله

واحد منهم وهو ناموسى ليجربه قائلا : يا معلم أية وصية هى العظمى فى

الناموس ؟ فقال له يسوع : تحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك

ومن كل فكر ، هذه هى الوصية الاولى العظمى . والثانية مثلها تحب قريبك

كنفسك . بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والانبياء " (٢) .

"وكان الفريسيون ايضا يسمعون هذا كله وهم محبوبون للمال فاستهزأوا

به فقال لهم : أنتم تبررون أنفسكم قدام الناس ولكن الله يعرف قلوبكم

ان المستعلى عند الناس هو رجس قدام الله " (٤) .

" فقال له الفريسيون أنت تشهد لنفسك شهادة ليست حقا " (٥) .

(١) متى ١٢ : ٢٤ (٢)

(٢) متى ٢٢ : ١٥-٢٢ وانظر ايضا انجيل مرقس ١٢ : ١٣-١٧ وفي انجيل

لوقا ذكر ان الذين سألوهم رؤساء الكهنة والكتبة لا الفريسيون انظر

لوقا ٢٠ : ١٩-٢٦

(٣) متى ٢٢ : ٣٤-٤٠ (٤) لوقا ١٦ : ١٤-١٥

(٥) يوحنا ٨ : ١٣

ثانيا - موقف الكتبة* كما روته الاناجيل :

" فطلب رؤساء الكهنة والكتبة ان يلقوا الايادي عليه في تلك الساعة ولكنهم خافوا الشعب لانهم عرفوا انه قال هذا المثل^{عليهم} (١) .

" وكان رؤساء الكهنة والكتبة يطلبون كيف يقتلونه لانهم خافوا الشعب فدخل الشيطان في يهوذا الذي يدعى الاسخريوطي وهو من جملة الاثنى عشر فمضى وتكلم مع رؤساء الكهنة وقواد الجند كيف يسلمه اليهم ففرحوا وواعدوه ان يعطوه فضة فواعدهم وكان يطلب فرصة ليسلمه اليهم خلوا من جمع (٢) .

ثالثا - موقفه عليه السلام من الفريقين :

لم يهادن المسيح عليه السلام اولئك اليهود الذين قاوموه وآذوه ورموه بالكذب والجنون وهددوه بالقتل ، ولم يبال بما اظهروه له من العداوة السافر بل كان له موقف صريح لا يجروء عليه الا نبي مؤيد من ربه تبارك وتعالى . وفيما يلي نستعرض بعض نصوص الاناجيل التي تحكي لنا موقف المسيح عليه السلام من خصومه :

حينما طلب منه الكتبة والفريسيون ان يريهم آية قال لهم المسيح :

" جيل شريد وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية الا آية يونان النبي " (٣) .

* الكتبة احدى فرق اليهود التي عاصرت المسيح وكانت مهتمهم كتابة

الشريعة ونسخها لمن يطلب حتى مكنتهم هذه الوظيفة من معرفة

الشريعة فقاموا بوظيفة اخرى وهي الوعظ والارشاد ، وكان هذا العمل ما

يدر عليهم الاموال ولما تسرب الوهن الى الفريسيين وقل اتباعهم احتلوا

مركز الصدارة وأسسوا مدارس خاصة نشروا بواسطتها تعليماتهم وبسطوا

نفوذهم وازداد ثراؤهم . انظر مقارنة الاديان ١ - اليهودية ص ٢٢٧-٢٢٨ .

(٢) لوقا ٢١ : ٢-٦

(١) لوقا ٢٠ : ١٩ -

(٣) متى ١٢ : ٣٩

وحينما عاب الكتبة والفريسيون تلاميذه لعدم غسلهم أيديهم حينما ياكلون قال لهم : "وانتم ايضا لماذا تتعدون وصية الله بسبب تقليدكم فان الله اوصى قائلا : اكرم اباك وامك ومن يشتم ابا واما فليمت موتا ، وأما انتم فتقولون من قال لابيه وامه قربان هو الذى تنتفع به متى فلا يكرم اياه أو أمه فقد ابطالتم وصية الله بسبب تقليدكم . يا مراؤون حسنا تنبأ عنكم اسمياء قائلا يقترب الى هذا الشعب بغمه ويكرمنى بشفته وأما قلبه فمبتعد عني وباطلا يعبدوني وهم يعلمون تعاليم هي وصايا الناس" (١) .

"أليس موسى قد أعطاكم الناموس وليس احد منكم يعمل الناموس لماذا تطلبون ان تقتلوني ؟ أجاب الجميع وقالوا : بك شيطان من يطلب ان يقتلك ؟" (٢) .

"انا عالم انكم ذرية ابراهيم لكنكم تطلبون ان تقتلوني لان كلامي لا موضع له فيكم . . . لو كنتم أولاد ابراهيم لكنكم تعملون أعمال ابراهيم ، ولكم الان تطلبون ان تقتلوني وانا انسان قد كلمكم بالحق الذى سمعته من الله هذا لم يعمله ابراهيم . . . أنتم من أب هو ابليس وشهوات أبيكم تريدون ان تعملوا . . . متى تكلم بالكذب فانما يتكلم مما له لأنه كذاب وابو الكذاب وأما انا فلا أنى اقول الحق لستم تؤمنون بي من منكم يهكتنى عن خطية ؟ فان كنت اقول الحق فلماذا لستم تؤمنون بي ؟ الذى من الله يسمع كلام الله لذلك انتم لستم تسمعون لانكم لستم من الله . فأجاب اليهود وقالوا له : ألسنا نقول انك حسنا سامرى وبك شيطان أجاب يسوع انا ليس بي شيطان لكنى اكرم أبى وانتم تهينوننى . . . فقال اليهود الان علمنا أن بك شيطانا" (٣) .

"حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلا : على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون فكل ما قالوا لكم ان تحفظوه فاحفظوه وافعلوه ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون فانهم يحزمون احمالا ثقيلة عسرة

الحمل ويضعونها على اكتاف الناس وهم لا يريدون ان يحركوها باصبعهم .
وكل اعمالهم يعملونها لكي تنظرهم الناس غير مراعون عصائهم ويعظمون
أهداب ثيابهم ، ويحبون المتكأ الاول في الولايم ، والمجالس الاولى في
المجامع والتحيات في الأسواق وان يدعوهم الناس سيدي سيدي " (١) .

هكذا وصف المسيح عليه السلام اليهود ، وبين احوالهم التي لازمتهم
في أجيالهم المتعاقبة ووبخهم على خطاياهم التي يصرون عليها ، ويسدلون
عليها ستار النفاق باظهار الصلاح والتقوى وإطالة الصلوات ، وأمر الناس بصلاح
هم أبعد ما يكونون عنه ، وانهم يريدون ان يكرمهم الناس وينادوهم بالسيادة
وأن تكون لهم الصدارة في المجالس والمجامع . وتلك صفات من لا خلاق له من
الناس . وعلى هذا دل القرآن الكريم في قوله : " أتأمرون الناس بالبر وتنسون
انفسكم وانتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون " (٢) .

٣ - موقفهم من عيسى كما جاء في التلمود :

يصف التلمود عيسى عليه السلام وصفا شنيعا ^{يدل} على شدة عداوة اليهود
ويغضبهم له ، ولعل السرف في ذلك انه عليه السلام فضح عيوبهم وكشف
عوراتهم للناس كما دل على ذلك النص السابق آنفا .
يقول ظفر الاسلام خان في كتابه التلمود تاريخه وتعاليمه وذلك نقلا عن
الدكتور جوزيف باركلي :

" ان الطبقات الاولى من التلمود شملت كثيرا من السب والشتيم ضد
سيدنا المسيح عليه السلام والمسيحية ، ولكن الطبقات الاخيرة لا تشمل الا القليل
جدا بعد ان طهرتها الكنيسة . ومن طبقات التلمود التي كانت تسب وتشتم سيدنا
المسيح طبعة امستردام لسنة ١٦٤٥ م . وقد نعمت فيها السيد المسيح
بالكلمات الاتية :

- ١ - ذلك الرجل " The one " ٢٠ - مثل ذلك الرجل
- " Such an one " . وجاء في نفس الطبعة أيضا :
- ٣ - " أحسق " A Fool " ٤٠ - " المجذوم " The Leper
- (المصاب بالجذام) . ٥ - غشاش بنو اسرائيل
- " The Deceiver of Israel " . وجاء في نفس
- الطبعة أيضا : ٦ - " يدعى أنه ابن الجندي يوسف بنديرا
- " Joseph pandira " . اهلكت به مريم (نعوذ بالله من
- هذا البهتان الاثم !) قبل زواجها ٧ - المعجزات التي قام
- بها المسيح كانت بقوة السحر " Sorcery " . وأنه قد تعلم
- السحر اثنا وجوده في مصر . واستدلوا على ذلك لأنهم وجدوا على جسد
- المسيح عليه السلام علامة لشق اللحم (!) ٨٠ - زعموا انه تعلم ما كان يقوله
- للناس على يد يوشوا بن برخيا " Joshua ben perachia "
- وزعموا ايضا أن يوشوا هذا قد حرره - كسبا " Excommunicated "
- وألقيه بين قرون اربعمئة كبح لتفتك به (هذا رغم ان يوشوا عاش قبل
- المسيح بسبعين سنة !) ٩ - قبل صلب المسيح اعلن في المدينة عن
- طريق النداء العام ان يحضر الذين يريدون الشهادة ببراءة المسيح ولكن
- احدا لم يتقدم (!) ١٠ - يقول التلمود ان المسيح عليه السلام رمى بالا حجار
- ثم صلب مساء عيد الفصح . ١١ - تلاميذ المسيح ملحدون " Heretics "
- ويطلق التلمود عليهم اسما شائنة فاضحة ويتهمهم باتيان افعال قبيحة (١) .
- ويقول محمد علي الزعبي : " رغم ان العهد القديم بشر بالمسيح ، تنكر
- اليهود له ، وحاكوا الدسائس وسبوا الموءمات كموءمتي مريم المجدلية ،
- وأعطوا ما لقيصر لقيصر) مثلا ، ولذا لك رأي هدايتهم مستحيلة ، وفارقهم

قائلا : أرسل الى خاصته وخاصته لم تقبله . ولذا لا يوجد كتاب ينظر المسيح بعين حمراء سوى التلمود ومشتقاته من مؤلفات اليهود التي اتخذته مصدرا . أما العذراء الصديقة ، فقد خصها التلمود بحملات قاسية ، اخفها قوله : (كان الجنود الرومان يسبحون في بحيرة ، وقد نزلت مريم تسابح وتمانق وتراقص جنديا رومانيا يدعى " بندارا " ومنه حملت بالمسيح . وقد كشف القرآن الكريم هذه المغبثات اليهودية وفضح اللسان المريض ، الذي اعلنوه على مريم بهتاناً وافكا " (١) .

ويقول الدكتور احمد شلمى : " يقول التلمود عن المسيح : ان يسوع الناصري موجود في لجات الجحيم بين القار والنار . وان امه مريم أتت به من العسكري " بندار " عن طريق الخطيئة . وان الكنائس النصرانية هي بحقام القاذورات ، والواعظون فيها أشبه بالكلاب النابحة ، وان قتل المسيحي من الأمور المأمور بها ، وان العهد مع المسيحي لا يكون عهدا صحيحا يلتزم اليهودى القيام به ، وانه من الواجب ان يلعن اليهودى ثلاث مرات رؤساء المذهب النصراني وجميع الملوك الذين يتظاهرون بالعداوة لبنى اسرائيل " (٢) . وجاء في كتاب الكنز المرصود في قواعد التلمود : أن التلمود وصف المسيح بأنه ساحر ووشى وأنه مجنون وكافر لا يعرف الله وانه يهودى مرتد " (٣) . هكذا كانت مواقف اليهود من المسيح عليه السلام ، وهي كفر صريح وانتقاص عظيم وبهتان مبین . ومع هذا الموقف الذى وقفه اليهود من المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، فان النصارى الذين يتمسحون به ويقولون انهم اتباعه ، هم الذين اقاموا دولة اليهود في أرض فلسطين الاسلامية ، وهم الذين يحمون وجودها ويدافعون عنها بكل ما أوتوا من قوة . وذلك على الرغم من أن النصارى

(١) د فائن النفسية اليهودية ص ١٢٧-١٢٨

(٢) مقارنة الاديان ١- اليهودية ص ٢٧٥

(٣) الكنز المرصود ص ٩٩-١٠٠

يعتقدون قديما وحديثا ان اليهود هم الذين قتلوا المسيح صلبا وانهم
يعادونه ويعادون النصارى عداً سافراً كما تبين لهم ذلك من خلال تعاليم
التلمود الهدامة . ليت شعري ما سراتفاق النصارى مع اليهود في هذا المص
على هضم حقوق المسلمين ومحاربتهم مع ان المسلمين اكثر الناس ايماناً واجلالاً
للمسيح عيسى ابن مريم عليه السلام على أساس انه احد انبياء الله الكرم ،
أرسله الله الى بنى اسرائيل بعد ولادته المجيبة من عذراء بلا أب ، فاعجب
لهذا التواطؤ اليهودى النصراني !!! ؟

٢ - موقفهم من عيسى ابن مريم عليه السلام كما جاء في القرآن الكريم :

تدل الايات القرآنية الواردة في بيان موقف بنى اسرائيل من نبي الله
عيسى عليه السلام على أنهم وقفوا منه منذ ولادته الى ان رفعه الله عز وجل من
بينهم ثلاثة مواقف ينتظمها أمران ، الأمر الاول ولادته عليه السلام من عذراء
لم يمسسها بشر . الأمر الثاني : رسالته الى بنى اسرائيل ؛ وفيما يلي ايضاح
لتلك المواقف على ضوء ما دلت عليه الايات القرآنية الكريمة :

الموقف الاول : موقف من رماهم مريم بالفاحشة ، وأنها أتت به لغير رشدة ،
فقد بين ذلك القرآن الكريم في قول الله تعالى بعد ان ذكر جملة من الأسباب
التي لعنوا من أجلها :

" ويكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً " (١)

قال النيسابورى : " فانكارهم قدرة الله تعالى على خلق الولد من غير أب وكذا
انكارهم نبوة عيسى كفر ، ونسبتهم الزنا لمريم بهتان عظيم ، لأنه ظهر لهم عند
ولادة عيسى من الكرامات والمعجزات ما دلهم على برائتها من كل سوء " (٢) .
وقال تعالى مخبراً عن موقفهم وقذفهم الصريح لمريم حينما جاءت قومها
من المكان الذى ولدت فيه عيسى وهي تحمله :

"فَأَتَتْ بِهَا قَوْمَهَا/ ^{تحمله} قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا . يَا أُخْتَ هَارُونَ
مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا" (١) .

أَيُّهَا مَرْيَمُ بَعْدَ مَا تَنَحَّتْ عَنْ قَوْمِهَا وَاعْتَزَلْتَهُمْ بَعْدَ حَمْلِهَا الْمَفَاجِيءَ
بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ الْعَجِيبَةِ ، فَوُلِدَتْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَتَتْ بِهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَهِيَ
تَحْمِلُهُ ، فَقَذَفُوهَا بِالْفَاحِشَةِ ، وَرَمَوْهَا بِالزَّانَا مَلِجَ انْتِهَمَ عَلَى عِلْمٍ بِصَلَاحِ أَبَوَيْهَا
وَبَعْدَهُمَا عَمَّا يَرِيبُ . فَمَا كَانَ مِنْ مَرْيَمَ إِلَّا أَنْ أَحَالَتْ قَوْمِهَا عَلَى مَلَأَ :
" فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نَكَلِمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا - قَالَ أَنِّي عَبْدُ اللَّهِ
أَتَانِي الْكِتَابُ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا . وَجَعَلَنِي مَبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ
مَا رُمْتُ حَيًّا . وَبَرَأَ بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَارًا شَقِيًّا . وَسَلَامٌ عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ
وَيَوْمٍ أُمُوتُ وَيَوْمٍ أُبْعَثُ حَيًّا" (٢) .

فَقَدْ كَانَ كَلَامُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ فِي الْمَهْدِ آيَةً أُخْرَى عَلَى بَرَاءَةِ أُمِّهِ ،
وَمَكَانَةِ هَذَا الْمَوْلُودِ الْمُبَارَكِ ، أَضْفَ إِلَى ذَلِكَ أَنْ مَا تَكَلَّمَ بِهِ اشْتَمَلَ عَلَى مَا هِيَ
لِهَذَا الْمَوْلُودِ مِنْ مَكَاشِفَةٍ عَظِيمَةٍ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَمَا يَصْحَبُهُ مِنْ بَرَكَاتٍ
أَيْنَمَا حَلَّ ، وَمَا يَتَّصِفُ بِهِ مِنْ صَلَاحٍ وَثَقْوَى يَتِمُّ فِي إِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَإِتِّهَا
الزَّكَاةِ طَوْلَ حَيَاتِهِ وَفِي الْبَرَاءَةِ . وَمَعَ هَذِهِ الْآيَةِ الْبَيِّنَةِ الدَّالَّةِ عَلَى بَرَاءَتِهَا
فَقَدْ اسْتَمَرُّوا عَلَى هَذَا الْقَوْلِ الْبَظِيءِ ، وَالْبَهْشَانِ الْعَظِيمِ .

الموقف الثاني : موقف المؤمن يدين لدعوته عليه السلام ، وهم المؤمنون الصالحون ،
وَالْآتِبَاعُ الْمَخْلُصُونَ الْمَعْرُوفُونَ بِالْحَوَارِيِّينَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ . فَقَدْ جَاءَ فِي حَقِّ
هُوَ لَا : قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى :

" فَلَمَّا أَحْسَسَ عِيسَى مِنْهُمْ الْكَفْرَ قَالَ مِنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ
أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ . رَبَّنَا آتِنَا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبِعْنَا الرَّسُولَ
فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ" (٣) .

(١) سورة مريم ٢٧ - ٢٨

(٣) سورة آل عمران ٥٢ - ٥٣

(٢) سورة مريم ٢٩ - ٣٣

وقوله : " يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم
للحواريين من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فأمنت طائفة من
بنى اسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا
ظاهرين " (١) .

أى ان عيسى عليه السلام حينما أدرك أن معظم بنى اسرائيل كفروا
به ، نادى في الحواريين قائلا : من أنصارى الى الله ؟ أى من مؤيدى فى
نصرة دين الله والدعوة اليه ؟ فاستجاب الحواريون لندائه ، وهم الصفوة
المختارة من أتباعه ، فأعلنوا إيمانهم بالله وأشهدوه عليه السلام على
اسلامهم . وقال تعالى : " وإن أوحيت الى الحواريين ان آمنوا بي ورسولي
قالوا آمنا واشهدوا بأننا مسلمون " (٢) .

هذا الموقف هو أحد ثلاثة مواقف كانت لبنى اسرائيل من عيسى عليه
السلام فيما يختص بأمر الدعوة التى بعث بها . وهو : لم يبق منهم أحد
على وجه الأرض الآن . والسلمون هم خلفاؤهم فى الايمان به .

الموقف الثالث : موقف المعارضين لدعوته عليه السلام . وهم الذين كفروا به
وناصبوه العداء السافر ، وعزموا على قتله ، ولكن الله نجاه من الموت على ايديهم
المطوثة بدماء الانبياء والصالحين . وتبين هذا الموقف الكفرى الآيات
الآتية :

" ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئكم بالحكمة ولا تبين لكم بعض الذى
تختلفون فيه . فاتقوا الله وأطيعون . ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط
مستقيم . فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم " (٣)
وكذلك دلت الآية السابقة من سورة آل عمران على كفرهم به عليه السلام

(٢) سورة المائدة ١١١

(١) سورة الصف ١٤

(٣) سورة الزخرف ٦٣-٦٥

وذلك في قوله تعالى : " فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري السي
الله " الآية .

وعليه دلت آية سورة الصف في قوله : " فأمنت طائفة من بنى اسرائيل
وكفرت طائفة " الآية . وكذلك قوله : " وان قال عيسى ابن مريم يا بنى
اسرائيل انى رسول الله اليكم مصداقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول
يأتى من بعدى اسمه أحمد ، فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مجين " (١) .
كان هذا موقف فريق من بنى اسرائيل من رسالة عيسى عليه السلام ،
وهو الكفر والمقاومة ووصف ما أجرى الله على يديه من الايات الدالة
على صدقه بأنه سحر مجين . وهو لا * هم أغلب اليهود في عصر عيسى عليه
السلام وبعده حتى يومنا هذا . وهم الذين زعموا انهم قتلوه صلبا . ولكن
القرآن الكريم كذبهم وبين أنهم لم يقتلوه ولم يصلبوه ، ولكن الا * مراتبهم
عليهم . وهذا الزعم اليهودى الذى كذبه القرآن كان سبب ضلال النصارى ،
فانهم يمتقدون ان المسيح قتل على ايدى اليهود على الصليب . فقدسوا
الصليب وبعده وقد استحق اليهود غضب الله ولعنته بسبب هذا الزعم
الفاسد كما بين القرآن الكريم بقوله :

" وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه
ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفسى شك منه ما لهم به من علم الا
اتباع الظن وما قتلوه يقينا . بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيم " (٢) .

٥ - مكانة عيسى ابن مريم كما جاء في القرآن :

ان عيسى ابن مريم عليه السلام أحد الرسل العظام الذين أرسلهم الله
الى قومهم بالخير والبركة والهدى والرحمة . فقد ورد ذكره في القرآن الكريم

في خمسة وعشرين موضعاً ، كما ذكر القرآن الكريم لقبه " المسيح " في أحد عشر موضعاً . وفي كل آية ذكر فيها عليه السلام يمين الله للمؤمنين مكانته عند الله تعالى ، ومنزلته الرفيعة مع اخوانه المرسلين ، وخصائصه التي وهبها الله له ، كولاته من غير أب ، وكلامه في المهد ، وابرائه الاكبر والابرص ، وغير ذلك مما يؤيد لنا انه عليه السلام ذو مكانة رفيعة عند ربه عز وجل . وهو أحد أولي العزم الخمسة في قوله تعالى : " واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً . ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذاباً أليماً " (١) .

وقوله : " شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه ، الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب " (٢) . وهو رسول الله وكلمته وروح منه خلقه على خلاف ما جرت به سنته في البشر حيث ولد بلا أب من عذراء طاهرة لم يمسسها بشر . وعلى هذا دل قول الله تعالى : " اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمع المصطفى عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والاخرة ومن المقربين ، ويكلم الناس في المهد ، وكهلاً ومن الصالحين " (٣) .

فأى المنزلة أعظم من هذه المنزلة التي كانت لعيسى عليه السلام في كتاب الله تعالى ؟ أتلك التي أنزله اليهود ، فبئست المنزلة ، أم تلك التي أنزله النصارى المؤمنون ؟

يقول الله تعالى مبينا منزلة رسوله عيسى عليه السلام : " ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون " (٤) .

(٢) سورة الشورى ١٣

(١) سورة الاحزاب ٧-٨

(٤) سورة المائدة ٧٥

(٣) سورة آل عمران ٤٥-٤٦

وفي هذه الآية تتجلى مكانة عيسى عليه السلام وهي مكانة الرسالة
الالهية التي أنعم الله بها عليه كغيره من سبق من الرسل الذين لم يكن
عيسى بدعا منهم . فهو لم يكن كاذبا في دعوى النبوة والرسالة كما زعم اليهود ،
ولم يكن الها من دون الله كما يزعم النصارى ، لأنه بشريا كل الطعام لا فتقاره
اليه ، والا لوهية في معزل عن ذلك . فثبت أنه برى رفيع القدر ما رماه به
اليهود من صفات النقص ، جدير بصفات الرسل الذين خلوا من قبله ، لأنه
واحد منهم فلا يستحق ان يعبد من دون الله لأنه مخلوق مفقور . هذه
هي مكانة عيسى عليه السلام في القرآن الكريم .

المبحث السادس

موقفهم من محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين

تمهيد : كان اليهود على معرفة كاملة بصفات نبي آخر الزمان الذي وردت ثموته في التوراة ، ومختلف أسفار الانبياء ، كما وردت صفاته والبشارة به في الانجيل . وكان اليهود يتصورون ان يكون ذلك النبي الذي عرفوه بصفاته من بنى اسرائيل . ولكن النبوة لا تكون بالتمنى ولا بالاماني وانما تكون بحض فضل الله واصطفائه لمن يشاء من عباده الاختيار . فقد أراد الله تعالى ان تكون النبوة الخاتمة والرسالة العامة في غير بنى اسرائيل فبعث محمدا صلى الله عليه وسلم من بنى اسماعيل برسالة عالمية خاتمة . فأثار ذلك غضبهم وحقدهم وحسددهم ، فأنكروا مصروفته به من خلال نعوته الواردة في كتبهم ، فكفروا به وكذبوه ، وقاوموا دعوته وآذوه بالسنتهم وأيديهم غير جالين بسايات الله تتلى عليهم ، ولم يملطوا بما في أيديهم من كتب دلت على صدقه دلالة واضحة جعلتهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، فخابوا وخسروا خسارنا مهينا ، وضلوا ضلالا بعيدا . وفي فقرات هذا المبحث ، نستعرض بعض النصوص الدالة على نعوت النبي محمد صلى الله عليه وسلم من أسفار اليهود ، ثم نعتب على ذلك بنصوص من القرآن الكريم تدل على ان الانبياء السابقين من بنى اسرائيل بشروا بالنبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ، وان اليهود كانوا يعرفونه معرفة لا لهم فيها ، واللهم كفروا به ، وكتموا ما جاء في كتبهم من صفاته ، حسدا من عند انفسهم ، وآذوه بالسنتهم وأيديهم ، فحققت عليهم لعنة الله ، وحل بهم غضبه وعقابه .

البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم في الاسفار اليهودية :

البشارة الاولى : لقد خاطب موسى عليه السلام قومه قبل وفاته قائلا : " يقيم

لك الرب الهك نبيا من وسطك ، من اخوتك مثلى له تسمعون " (١) .

ثم بين لهم أنه عليه السلام بشرهم بذلك النبي الذي سيحدث من بين

اخوة بنى اسرائيل ، لأن الله عز وجل وعد بذلك حيث قال : " أقيم لهم

نبيا من وسط اخوتهم مثلك ، وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه ،

ويكون أن الانسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا

أطالعه " (٢) .

وفي هذا بشارة بنبوة تكون في اخوة بنى اسرائيل ، وهم بنو اسماعيل ،

لأنه لا يصح ان يراد بالاخوة هنا احد أسباط بنى اسرائيل لكونهم مجتمعين

تحت قيادة موسى عليه السلام منذ خروجهم من مصر ، ولو كان المراد بنو

اسرائيل لقال " منكم " فدل هذا على ارادة اخوة بنى اسرائيل وهم بنو

اسماعيل . فان قيل ان اخوة بنى اسماعيل ليسوا بنو اسماعيل فقط . فان

بنو آدوم أى ابنا عيسو بن اسحاق . ونرى قطورة احدى زوجات ابراهيم

عليه السلام ، هم كذلك اخوة بنى اسرائيل ، أفلا يحتمل ان يكون ابنا ابراهيم

من قطورة او بنو عيسو بن اسحاق هم الذين قصدوا بهذه البشارة ؟ قيل ينفي

هذا الاحتمال أمران :

الامر الاول : ما جاء في سفر التكوين من الوعد الالهى الذى جاء فيه قوله وهو

يخاطب ابراهيم عليه السلام : " وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا اباركه

وأثمره واكثره كثيرا جدا . اثني عشر رئيسا يلد ، وأجعله أمة كبيرة " (٣)

(٢) تثنية ١٨ : ١٨-١٩

(١) تثنية ١٨ : ١٥

(٣) تكوين ١٧ : ٢٠

وهذا الوعد الالهي لنبيه ابراهيم عليه السلام لم يكن الا بشارة بان ذرية اسماعيل سيكون لها شأن عظيم ، وسوف تحتل مكانة رفيعة بين الأمم ، ولا يكون ذلك الا سيادة الدين وسياسة الدنيا بما شرعه الله ، وهذا لم يقع الا بعد بعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، فان الله عز وجل جمع لبنى اسماعيل بعد بعثه بين امامة الدين ، وسيادة الدنيا .

وكذلك جاء في سفر التكوين أن الله بشرهاجر بذرية عظيمة فسي موضعين : الموضع الأول ، حينما هربت هاجر من وجه سارة انقلد لها : "تكثر اكر نسلك فلا يعد من الكثرة . . . ها أنت حبلتي فتلدن ابنا وتدعين اسمه اسماعيل لأن الرب سمع لمذلتك وانه يكون انسانا وحشيا يده عد على كل واحد ويد كل واحد عليه وأمام جميع اخوته يسكن" (١) . الموضع الثاني ، حينما صرفها ابراهيم مع ولدها اسماعيل - حسب قول الرواية - بشرها الملاك قائلا : "مالك يا هاجر لا تخافى لأن الله قد سنع لصوت الفلام حيث هو . قومي احملي الفلام وشدى يدك به لا تئى ساجعله أمة عظيمة" (٢) .

والأمة العظيمة هي الأمة المؤمنة بربها ، والمعتزة بدينها ، ولم تكن ذرية اسماعيل كذلك الا بعد ان ارسل الله فيهم محمدا صلى الله عليه وسلم . ولم يكن هذا الوعد لبنى عيسو ولا لبنى ابراهيم من قطورة ، ولم يعرف أنهم صاروا أمة عظيمة أو ان نبيا منهم بعث . قال الامام ابن تيمية رحمه الله تعالى معلقا على النص الثاني : " قال المستخرجون لهذه البشارة : معلوم أن يد بنى اسماعيل قبل بعث محمد صلى الله عليه وسلم لم تكن فوق أيدي بنى اسحاق ، بل كان في بنى اسحاق النبوة والكتاب . وقد دخلوا مصر زمن يوسف مع يعقوب ، فلم يكن لبنى اسماعيل فوقهم يد . ثم خرجوا منها لما بعث موسى وكانوا مع موسى أعز اهل الأرض لم يكن لأحد عليهم يد . ثم مع يوشع

بعده الى زمن داود ، وملك سليمان الذى لم يوت احد مثله ، وسلط عليهم
بعد ذلك بخت نصر ، فلم يكن لبنى اسماعيل عليهم أمر ، ثم بعث المسيح
وخرب بيت المقدس الخراب الثاني ، حيث أفسدوا في الأرض مرتين ، ومن
حينئذ زال ملكهم وقطعهم الله في الأرض أما ، وكانوا تحت حكم الروم والفرس ،
والقبط ، ولم يكن للعرب عليهم حكم اكثر من غيرهم ، فلم يكن لولد اسماعيل سلطان
على احد من الأمم ، لا أهل الكتاب ولا الأُمِّيَّين ، فلم يكن يد ولد اسماعيل
فوق الجميع حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم الذى دعا به ابراهيم
واسماعيل حيث قالوا : " زينا وابعث فيهم رسولا منهم يثلو عليهم آياتك
ويعلمهم الكتاب والحكمة ويذكهم انك انت العزيز الحكيم " (١) فلما بعث ،
صارت يد ولد اسماعيل فوق الجميع ، فلم يكن في الأرض سلطان أعز من
سلطانهم ، وقهروا فاروس والروم وغيرهم من الأمم السامرية ، وقهروا اليهود
والنصارى والمجوس والمشركين والصابئين . فظهر بذلك تحقيق قوله في التوراة :
" وتكون يده فوق الجميع ويد الكل به " (٢) وهذا أمر مستمر الى آخر
الدهر " (٣) .

الأمر الثاني : لم يثبت أن نبيا ما بعث في بنى عيسو وبنى ابراهيم من قطورة ،
فثبت أن النبي الذى بشر بنو اسرائيل ببعثه من اخوتهم هو محمد صلى الله
عليه وسلم ، لأنه لم يثبت ان نبيا بعث في بنى اسماعيل بعد تلك البشارة
الا محمد صلى الله عليه وسلم .

(١) سورة البقرة ١٢٩

(٢) في الترجمة العربية المتداولة هكذا : " يده على كل واحد ويد كل واحد
عليه " وفي الترجمة العربية للنسخة السامرية هكذا : " يده بالكل ويد الكل
به " وهي ترجمة قريبة من ترجمة ابن تيمية اى التي اعتمد عليها .

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ٣ ص ٣١٣ - ٣١٤ .

ويؤكد هذا المعنى ما ذكر في البشارة من الماثلة بين النبي الموعود به ، وبين موسى عليه السلام فان النبي الماثل له في امور كثيرة هو محمد صلى الله عليه وسلم . ومن بين وجوه الماثلة بينهما ان محمدا صلى الله عليه وسلم صاحب شريعة ، وموسى كذلك ، ومنها انه أوتى كتابا وموسى كذلك ، ومنها انه بعث بالجهاد وموسى كذلك . ومنها انه جمع شتات الامة ووحد صفوفها وموسى كذلك .

وكذلك يؤكد ارادة هذا المعنى قوله : " واجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه " . فانه يدل على ان النبي الموعود به يحفظ كلام الله ويبلغه شفاها الى الناس ، فكان محمد صلى الله عليه وسلم كذلك ، لانه نبي أمي لا يكتب ولا يقرأ ، وانما يتلقى الوحي الالهي فيحفظ ما يلقى اليه من كلام ربه .

وقوله : " ويكون ان الانسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطلبه " يدل على أن الله يؤيد ذلك النبي على من يعارضه ويكره ما يدعو اليه . وهذا هو الذي كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فانه أيده ونصره على من عارضه وكفردعته من جميع الامة . فكانت له الغلبة والتأييد حتى ظهر دين الله وكانت كلمته الحسنی هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى .

وقال ابن القيم رحمه الله : " قوله في التوراة : " نبيا أقیم لهم من وسط اخوتهم مثلك ، به فليؤمنوا " . . . حرفوا تأويله ، اذ لم يمكنهم ان يبدلوا تنزيله . وقالوا هذه بشارة بنبي من بنى اسرائيل . وهذا باطل من وجوه : أحدها ، أنه لو أراد ذلك لقال : " من أنفسهم " كما قال في حق محمد صلى الله عليه وسلم : " لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم " (١) وقال تعالى : " لقد جاءكم رسول من أنفسكم " (٢) ولم

يقول من اخوتكم . الثاني ، أن المعهود في التوراة : ان اخوتهم غير بنى اسرائيل . ففي الجزء الاول من السفر الخامس قوله : " أنتم عابرون في تخوم اخوتكم بنى العيص (١) المقيمين في سيمير ، اياكم ان تطعموا في شئ من أرضهم " (٢) . فاذا كان بنو العيص اخوة لبنى اسرائيل - لا بن العيص واسرائيل ولدا اسحاق ، والروم هم بنو العيص ، واليهود بنو اسرائيل ، وهم اخوتهم - فكذلك بنو اسماعيل اخوة لجميع ولد ابراهيم . الثالث ، ان هذه البشارة لو كانت بشمويل (٣) وغيره من بنى اسرائيل لم يصح ان يقال بنو اسرائيل اخوة بنى اسرائيل ، وانما المفهوم من هذا : ان بنى اسماعيل أو بنى العيص هم اخوة بنى اسرائيل ، الرابع ، أنه قال : " سأقيم^(٤) انبيا مثلك " وفي موضع آخر " أنزل عليه تورا مثل تورا موسى " . ومعلوم ان شمويل وغيره من انبيا بنى اسرائيل لم يكن فيهم مثل موسى لا سيما وفي التوراة : " لا يقوم في بنى اسرائيل مثل موسى " (٥) . وأيضا فليس في بنى اسرائيل من أنزل عليه تورا مثل تورا موسى الا محمد والسيح عليهم الصلاة والسلام . والمسيح كان من أنفس بنى اسرائيل ، لا من اخوتهم ، بخلاف محمد صلى الله عليه وسلم ، فانه من اخوتهم بنى اسماعيل . وأيضا ، فان في بعض ألفاظ هذا النص " كلکم له تسمعون " وشمويل لم يأت بزيادة ولا بنسخ لأنه انما أرسل ليقوى أيديهم على أهل فلسطين ، وليردهم الى شرع التوراة . فلم يأت بشريعة جديدة ، ولا كتاب جديد . وانما حكمه حكم سائر الانبيا من بنى اسرائيل ، فانهم كانوا يسوسهم الانبيا . كلما مات نبي قام فيهم نبي " (٥) .

البشارة الثانية : جاءت في سفر التثنية أيضا على لسان موسى عليه السلام حيث

قال : " جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سمير وتلا^(٦) من جبل قارن وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم " (٦) .

(١) العيص هو عيسو بن اسحاق (٢) انظر تثنية ٢ : ٤-٥

(٣) قوله : شمويل : يريد صموئيل

(٤) عبارة سفر التثنية : " ولم يقم بعد نبي في بنى اسرائيل مثل موسى الذي عرفه

الرب وجها لوجه " ١٠ : ٣٤

(٥) اغاثة اللهفان ج ٢ ص ٣٦١ - ٣٦٢ (٦) تثنية ٣٣ : ١-٢

وجاء في سفر حبقوق قوله : " الله جاء من تيمان والقدوس من جيل

فاران ... جلالة غطى السموات والأرض امتلات من تسييحه " (١) .

ان سيناء وسمير وجيل فاران أماكن شرفها الله تعالى بنزول الوحي

فيها على ثلاثة من أنبيائه الكرام صلوات الله وسلامه عليهم . فسينا خاطب

الله فيه موسى عليه السلام . وسمير هو المكان الذي كان يقيم فيه عيسى عليه

السلام . وفاران هي مكة حيث ولد محمد صلى الله عليه وسلم ونزل عليه

القرآن الكريم .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : " قال العلماء - واللفظ لمحمد

بن قتيبة - ليس بهذا خفاء على من تدبر ، ولا غموض ، لأن مجىء الله من طور

سيناء انزاله التوراة على موسى من طور سيناء ، كالذي هو عند اهل الكتاب

وعندنا وكذلك يجب ان يكون اشراقه من ساعير انزاله الانجيل على المسيح ،

وكان المسيح من ساعير - أرض الخليل بقرية تدعى " ناصرة " واسمها سعى من

اتبعه من نصارى . وكما يجب ان يكون اشراقه من ساعير بالمسيح ، فكذلك

يجب ان يكون استعلائه من فاران ، انزاله القرآن على محمد صلى الله عليه

وسلم . وجبال فاران هي جبال مكة . قال : وليس بين المسلمين واهل الكتاب

خلاف في ان فاران هي مكة ، فان ادعوا أنها غير مكة ، فليس ينكر ذلك من

تحريفهم وافكهم . قلنا اليس في التوراة ان ابراهيم أسكن هاجر واسماعيل

فاران ؟ وقلنا : دلونا على الموضع الذي استعلن الله منه ، واسمه فاران والنهي

الذي أنزل عليه كتابا بعد المسيح . أوليس " استعلن " و " علن " هما بمعنى

واحد ؟ وهو ما ظهر وانكشف . فهل تعلمون ظهور دين ظهور الاسلام

وفشار في مشارق الأرض ومغاربها فشوه ؟ . وقال ابو هاشم بن ظفر : " ساعير "

جبل بالشام ، منه ظهرت نبوة المسيح . قلت ويجانب بيت لحم ، القرية التي

ولد فيها المسيح ، قرية تسمى اليوم " ساعير " ولها جبال تسمى ساعير " (٢)

(١) حبقوق ٣: ٣ و التيمان ساكن بنى عيسو

(٢) الجواب الصحيح ج ٣ ص ٣٠٠-٣٠١

وقال الامام ابن القيم رحمه الله : " قوله في التوراة : " جاء الله تعالى من طور سيناء ، وأشرق نوره من سيعير ، واستعلن من جبل فاران ومعه ربوات القديسين " . وهم يعلمون ان جبل سيعير هو جبل السراة الذي يسكنه بنو الميصر ، الذين آمنوا بعيسى . ويعلمون ان هذا الجبل كان مقام المسيح . ويعلمون ان سيناء هو جبل الطور . وأما جبال فاران ، فهم يحملونها على جبال الشام . وهذا من جهتهم وتحريف التأويل . فان جبال فاران هي جبال مكة ، وفاران اسم من اسماء مكة وقد دل على هذا نص الثوراة : ان اسماعيل لما فارق أباه سكن في بركة فاران وهي جبال مكة . ولفظ الثوراة : " ان اسماعيل اقام في بركة فاران وأثكحته " أمه امرأة من أرض مصر " (١) ، فثبت بنص الثوراة ان جبال فاران سكنى لولد اسماعيل ، وإذا كانت الثوراة قد أشارت الى نبوة تنزل على جبال فاران ، ولزم انها تنزل على ولد اسماعيل لأنهم سكانها ، ومن المعلوم بالضرورة انها لم تنزل على غير محمد صلى الله عليه وسلم من ولد اسماعيل عليه السلام وهذا من أظهر الأمور بحمد الله تعالى (٢)

البشارة الثالثة : جاءت في الزمير في قوله : " الحجر الذي رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية . من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا . هذا هو اليوم الذي صعد فيه الرب . نبتهج ونفرح فيه . آه يا رب خلص آه يا رب أنقذ . مبارك الاتى باسم الرب . باركناك من بيت الرب " (٣) . وهذا النص فيه البشارة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم . ويكونها خاتمة النبوات ، لأن المراد بالحجر الذي صار رأس الزاوية ، هو محمد صلى الله عليه وسلم الذي ختم الله به النبوة والرسالة . وذلك ما يشير عجب بنى اسرائيل الذين لم ينظروا الى بنى عمهم اسماعيل نظرة توقير ، بل نظروا اليه والى ذريته نظرة

(١) تكوين ٢١ : ٢١ (٢) اغاثة اللهبان ج ٢ ص ٣٦٣

(٣) زمير ١١٨ : ٢٢ - ٢٦

تحقير ، ان عابوه بأنه ابن الامة وزعموا انه لا يستحق الميراث مع اسحاق ،
وانما اسحاق هو صاحب الميراث الشرعي . ولكن الله هو الذى حكم بهذا ولا
معقب لحكمه ولا راد لقضائه ولو كره الحاسدون .

ويشهد لهذه البشارة قوله صلى الله عليه وسلم : فيما رواه ابو هريرة
عنه رضى الله عنه قال : " ان مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا
فأحسنه وأجمله الا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ويمججون
له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال : فانا اللبنة وانا خاتم النبيين " (١)
وأكد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام هذه البشارة موضحا لبنى اسرائيل
ان الرئاسة الدينية والنبوة ستنتزع منهم وتعطى لامة اخرى ، فقال : " أما قرأتم
في الكتب الحجر الذى رفضه البنائون هو قد صار رأس الزاوية من قبل الرب
كان هذا وهو عجيب في أعيننا . لذلك اقول لكم : ان ملكوت الله ينزع منكم
ويعطى لامة تعمل إيمانه ، ومن سقط على هذا الحجر يترفض . ومن سقط
هو عليه يسحقه " (٢) .

وبعد ، فهل يوجد ما هو أوضح وأبين من هذه البشارة التي وصفت

النبي صلى الله عليه وسلم وصفا دقيقا ؟ !

البشارة الرابعة : في سفر أشعيا حيث جاء فيها قوله : " هوذا عدى الذى
أعزده مختارى الذى سرت به نفسى وضعت روحى عليه فيخرج الحق للامم ،
لا يصيح ولا يرفع صوته ولا يسمع في الشارع صوته قصبة مرضوضة لا يقطف
وفتيلة خامدة لا يطفى ، الى الامان يخرج الحق ، لا يكل ولا ينكسر حتى
يضع الحق في الارض ، وتنتظر الجزائر شريعته " (٣) .

وهذه الصفات لا تنطبق على غير محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو عبد الله

ومختاره الذى أعزده وأيده بنصره وسروحه من عنده ، حتى أخرج الحق لجميع
الامم بلا كلل ولا ملل ولا انكسار ، فعمت شريعته كل الآفاق .

(١) أخرجه البخارى في كتاب المناقب باب ما جاء في اسماء رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

(٣) اشعيا ٤٢ : ١-٤

(٢) متى ٢١ ج ٤٢-٤٤

البشارة الخامسة : في آخر الاسفار اليهودية وقد جاءت البشارة به صلى الله

عليه وسلم على لسان ملاخي حيث قال :

" ها أنا أرسل اليكم ايليا النبي قبل مجي يوم الرب العظيم والخوف ،

فيرد قلوب الآباء على الابناء وقلب الابناء على آباءهم . لئلا آتى واضرب

الأرض بلعن " (١) .

ووجه دلالة هذا النص على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أن ايليا لم

يبعث حتى في عصر المسيح ، لذلك سأل اليهود المسيح هل هو ايليا او نبي

آخر ؟ فأجابهم أنه ليس هو ، فدل ذلك على أنه لم يأت حتى ذلك

الحين . والنبي المبعوث قبل يوم الرب العظيم الذي هو يوم القيامة ،

هو محمد صلى الله عليه وسلم . لأنه نبي آخر الزمان لقوله صلى الله عليه وسلم :

"بعثت الساعة كهاتين " (٢) فقرن بين اصبعية الوسطى والتي تلي الابهام ،

اشارة الى انه نبي آخر الزمان ، وأن مبعثه يسبق الساعة كما تسبق الوسطى

السبابة . ولقد أكد عيسى ابن مريم عليه السلام هذه البشارة فقال : " الحق

أقول لكم لم يقم من بين المولودين أعظم من يوحنا المعمدان . ولكن الأصغر

في ملكوت السموات أعظم منه . ومن أيام يوحنا المعمدان الى الآن ملكوت السموات

يفضب ، والفاصبون يختطفونه . لأن جميع الأنبياء والناموس الى يوحنا

تنبأوا . وان اردتم ان تقبلوا ، فهذا هو ايليا المزمع ان يأتى من له أذنان

للسمع فليسمع " (٣) .

هكذا كان اليهود على علم ومعرفة بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم .

وهذه نصوص أسفارهم شاهدة عليهم . ولكن هذه البشائر لم تجد منهم

آذانا صاغية . فعموا وضموا . وفيما يأتى نستعرض الآيات القرآنية التي تنص

على أنهم يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم ولكنهم كفروا به حسدا ان يكون من غير

بنى اسرائيل .

(١) ملاخي ٤ : ٥-٦

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، تفسير سورة النازعات عن طريق سهل

ابن سعد رضى الله عنه .

(٣) متى ١١ : ١١-١٥

معرفة اليهود بصحة النبي صلى الله عليه وسلم كما جاء في القرآن الكريم

ان النصوص اليهودية التي تم استعراضها فيما سبق ، جعلتنا ندرك أن اليهود كانوا يعرفون ان نبيا من اخوتهم بنى اسماعيل يبعث في آخر الزمان يختم الله به النبوة والرسالة . وفيما يأتي نستعرض النصوص القرآنية الكريمة التي تدل على معرفة اليهود لذلك النبي معرفة محققة لا لبس فيها ، وأنهم لم يؤمنوا به حسدا وبغيا ان يجعل الله النبوة في غيرهم ، فيكونون تابعين لنبي من غير بنى اسرائيل بعد ان كانت فيهم النبوة والرسالة دهرًا من الزمن . على ان القرآن الكريم أنصف طائفة منهم آمنت بما عندهم من البشائر الدالة على محمد صلى الله عليه وسلم ، وبأدركت الى الايمان به ، والتصديق بما أنزل الله عليه من الكتاب ! وهذا كله ما سنراه في الايات القرآنية التي نستعرضها هنا .

الآيات القرآنية الدالة على معرفتهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وكفرهم به :

كان اليهود المقيمون بالمدينة وما حولها قبل صحت النبي صلى الله عليه وسلم يستفتحون على مشركي العرب بنبي يبعث في آخر الزمان يؤيد كتابه التوحيد الذي هم عليه ، ويخذل الوثنية واصحابها ، وأنهم سيقاتلون المشركين معه قتل عاد واره ، وبينما هم على ذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهاجر الى المدينة ، فعرفه اليهود المقيمون بها معرفة محققة ، فعوضا عن المبادرة الى الايمان به ، أنكروا معرفته ، وكفروا به ، وظاهروا المشركين على قتاله ، وزينوا لهم ما هم عليه من الوثنية ، فأوهموهم أنهم أهدى سبيلا من المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ففضح الله عز وجل هذا الموقف اليهودي بقوله :

" ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين . بشمسا اشتروا به أنفسهم ان يفكروا بما أنزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من

يشاء من عباده فباؤوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين . وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين " (١) .

وقال تعالى : " ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نهذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون " (٢) .

وقال تعالى : " وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون . ولكن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك ^{ما أنت} بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين . الذين آتيناهم الكتاب يصرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون " (٣) .

وقال تعالى : " الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون " (٤) وقال : " الذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين " (٥) .

وقال : " وانه لفي زبر الاولين أولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بنى اسرائيل " (٦) .

انصاف القرآن لمن آمن منهم :

ومع أن غالبية اليهود كفروا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، فان منهم فريقا صدق وآمن به صلى الله عليه وسلم فكان له فضلان : فضل العمل بما كان في ايديهم من كتب ، وفضل الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وفي بيان هذه الطائفة المؤمنة جاءت هذه الايات الكريمة :

- | | |
|-------------------------|----------------------------|
| (١) سورة البقرة ٩٠-٩١ | (٢) سورة البقرة ١٠١ |
| (٣) سورة البقرة ٤٤-٤٦ | (٤) سورة الانعام ٢٠ |
| (٥) سورة الانعام ١١٤ | (٦) سورة الشعراء ١٩٦-١٩٧ |

قال الله تعالى بعد أن بين أخلاق اليهود الذين لا تفتأ نفوسهم

تسمى في اضلال الناس وجرحهم الى اتباع هوى النفس : " الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون " (١)

وقال تعالى بعد أن ذكر مكائد اليهود وما عاقبهم الله به من الذل والمسكة بسبب كفرهم وقتلهم أنبياء الله تعالى : " ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين ، وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين " (٢) .

أى ليسوا سواء في الاتصاف بما سبق ذكره من كفر وقتل لأنبياء وغيرهما من القبائح ، بل منهم طائفة سلحت من الصيوب التي تردى فيها غيرهم ، وهم الذين دخلوا في الاسلام وصدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم واستقاموا على ذلك ، واتبعوا هدى الله بتلاوة القرآن وكثرة سجودهم ، وبالامر بالخير والنهي عن الشر ، وبالايمان المستمر بالله واليوم الآخر والمسارة في أعمال البرد وعلى هذا دل قوله تعالى :

" الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به مؤمنون ، وإذا يتلى عليهم

قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين . أولئك يؤثنون أجراً مرتين بما صبروا ويدرأون بالحسنة السيئة وما رزقناهم ينفقون . وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين " (٣)

وقال تعالى : " وكذلك أنزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب

يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الا الكافرون " (٤) .

(٢) سورة آل عمران ١١٣-١١٥

(١) سورة البقرة ١٢١

(٣) سورة القصص ٥٢-٥٥ ذكر العلماء ان هذه الايات من سورة القصص نزلت

في نصارى الحبشة وقيل في نصارى نجران ومهما قيل في سبب نزولها فانها تدل على ان في اهل الكتاب من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم لما عرف من صفاته في الكتب السابقة .

(٤) سورة العنكبوت ٤٧ .

وقال تعالى : " وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله لا يشثرون بآيات الله ثنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب " (١) .

وقال : " ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبهكون ويزيدهم خشوعا " (٢) .

وقال تعالى في وصف كتابه المجيد : " وانه لفي زبر الاولين . أولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بنى اسرائيل " (٣) أى ان القرآن ورد ذكره والتنويه به والثناء عليه في كتب الاقدمين المنزلة من عند الله تعالى كالتوراة والانجيل . أغفل المشركون عن ذلك ، ولم يكن لهم آية تدل على أنه منزل من عند الله تعالى أن يعرفه علماء بنى اسرائيل بما في كتبهم من نعمته وهم الذين أسلموا منهم ؟ .

كفرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وكنان صفاته في كتبهم :

ان السنة الالهية اقتضت ان يكون اكثر الناس غير مؤمنين فكذلك اقتضت حكمته ان يكون اكثر بنى اسرائيل غير مؤمنين مع انتفاء ما يوجب كفرهم ، ووجود ما يدعوهم الى الايمان العميق . ولذلك نصى الله عليهم ووبخهم في كثير من الآيات القرآنية بواليك بعض تلك الآيات :

قال الله تعالى : " وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثنا قليلا واياي فاتقون ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون " (٤) .

وقال : " يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وانتم تشهدون . يا أهل

(١) سورة آل عمران ١٩٩ (٢) سورة الاسراء ١٠٧-١٠٩

(٣) سورق الشعراء ١٩٦-١٩٧ (٤) سورة البقرة ٤١-٤٢

الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون . وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذى انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلمهم يرجعون ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله ان يوءتى احد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يؤتية من يشاء والله واسع عليم" (١) .

وقال تعالى : " ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس^{في الكتاب} أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون . الا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم" (٢) .

وقال : " ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثننا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يذكهم ولهم عذاب أليم . أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار ، ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد" (٣) .

وقال تعالى : " ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون . ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون . فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون" (٤) .

وقال عز وجل : " ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا أولئك الذين لعنهم الله ومن يلحق الله فلن تجد له نصيرا" (٥) .

(٢) سورة البقرة ١٥٩-١٦٠

(١) سورة آل عمران ٧٠-٨٣

(٤) سورة آل عمران ٢٣-٢٥

(٣) سورة البقرة ١٧٤-١٧٦

(٥) سورة المائدة ٥١-٥٢

ولقد بين الله عز وجل انه أخذ العهد المؤكد والميثاق الفليظ من الأنبياء على أن يؤمنوا بالنبى الذى سيبعثه مصداقا لما معهم من الكتاب ، وأن ينصروه ، فمأهدهم عز وجل أنهم ليفعلن . فاشهد الله بعضهم على بعض وشهد عليهم بذلك مهددا متوعدا من أعرض عن هذا الميثاق فقال تعالى :

" واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ، فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ، أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها واليه يرجعون " (١) .

وهذا الميثاق المأخوذ من النبيين قصد به إتباعهم كذلك ، ولهذا قال تعالى بعد أن أمر النبي صلى الله عليه وسلم - وأمره أمر لا تتمه لتبعيةهم له بالآيمان بالله وما أنزل على من سبق من الأنبياء عليهم السلام - وبعد أن قرر ان الدين المقبول عند الله هو الاسلام الذى عليه محمد صلى الله عليه وسلم : " كيف يهذى الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهذى القوم الفاسقين . أولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون . الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم " (٢) .

قال السيد محمد رشيد رضا في تفسير المنار : " وفي روح المعاني : أخرج عبد بن حميد وغيره عن الحسن أنهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى رأوا نعت محمد صلى الله عليه وسلم في كتابهم وأقروا وشهدوا أنه حق . فلما بعث من غيرهم حسدا والعرب على ذلك فأنكروه وكفروا بعد إقرارهم حسدا

(١) سورة آل عمران ٨١-٨٣

(٢) سورة آل عمران ٨٦-٨٩

للصرب حين بعث من غيرهم . وأخرج ابن أبي حاتم عن طريق العوفي عن ابن عباس مثله " (١) .

مكرهم المتكرر بالنبي صلى الله عليه وسلم :

ان اليهود الذين عاصروا النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة وغيرها ، لم يكفهم انهم كفروا به وانكروا معرفتهم له ، وكنتموا ما يدل على التنويه به في كتبهم ، بل مكروا بالنبي صلى الله عليه وسلم وظاهروا عليه المشركين ونقضوا بينه و ما كان بينهم من معاهدة ، ووقفوا منه ومن المسلمين مواقف يطول ذكرها . ومن المفيد هنا أن نكتفي بما أورده العلامة ابن القيم في اغاثة اللهفان حيث قال رحمه الله تعالى :

" وقد كانوا يتنوعون في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنواع الخيل والكيد والمكر عليه ، وعلى أصحابه ويرد الله سبحانه وتعالى ذلك كله عليهم : فتحيلوا عليه وأرادوا قتله مرارا والله تعالى ينجيه من كيدهم . فتحيلوا عليه وصعدوا فوق سطح واخذوا رحي أرادوا طرحها عليه ، وهو جالس في ظل حائط ، فأتاه الوحي فقام منصرفا وأخذ في حريهم واجلائهم (٢) .

(١) تفسير المنار ج ٣ ص ٣٦٢

(٢) كان ذلك من بنى النضير حين ذهب اليهم في جملة من الصحابة فيهم أبهكر وعمر ليستعينهم في دية رجلين قتلها عمرو بن أمية الضمري في مرجعه من بئر معونة وكانا في عهد مع النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعلم به عمرو . وكان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين اليهود حلف على المناصرة والمعدونة فكلهم في ذلك فقالوا نعم فتآمروا على قتله فأعلمه الله بالوحي فعاد مسرعا . انظر السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ١٨٥-١٩٠ الطبعة الثانية لمصطفى الحلبي سنة ١٣٧٥ هـ وهاشم اغاثة اللهفان .

(١) ومكروا به ، وظاهروا عليه أعداءه من المشركين ، فظفره الله تعالى بهم .

(٢) ومكروا به ، وأخذوا في جمع المدو له ، فظفره الله تعالى برئيسهم فقتله .

ومكروا به ، وأرادوا قتله بالسسم ، فأعلمه الله تعالى به ، ونجاه منه (٣) .

ومكروا به ، فسحروه ، حتى كان يخيل اليه أنه يفعل الشيء ولم يفعله .

فشغاه الله تعالى وخلصه (٤) .

ومكروا به في قولهم (" ٧٢ : ٣ " آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا

وجه النهار واكفروا آخره) ، يريدون بذلك تشكيك المسلمين في نبوته ، فانهم

إذا أسلموا أول النهار ، أطمان المسلمون اليهم ، وقالوا : قد اتبعوا الحق ،

وظهرت لهم أدلته ، فيكفرون آخر النهار ، ويجحدون نبوته ، ويقولون لم

نقصد الا الحق واتباعه ، فلما تبين لنا أنه ليس به رجعنا عن الايمان به .

وهذا من أعظم خبثهم ومكرهم .

ولم يزالوا مواضعين مجتهدين في المكر والخبث الى ان أخزاهم الله

بيد رسوله واتباعه صلى الله عليه/وسلم ورضى عنهم - أعظم الخزي ، ومزقهم

كل ممزق وشعثت شملهم كل شعث .

وكانوا يعاهدونه عليه الصلاة والسلام ، ويصالحونه ، فاذا خرج لحرب

عدوه نقضوا عهده . ولما سلب الله تعالى هذه الأمة ملكها وعزها وأذلها ،

وقطعهم في الأرض ، انتقلوا من التدبير بالقدرة والسلطان ، الى التدبير

بالمكر والدهاء ، والخيانة والخداع . وكذلك كل عاجز جبان ، سلطانه في

مكره وخداعه ، وسهته وكذبه . ولذلك كان النساء بيت المكر والخداع والكذب

والخيانة . كما قال الله تعالى عن شاهد يوسف عليه السلام انه قال :

(" ٢٨ : ١٢ " انه من كيدكن ان كيدكن عظيم " (٥) .

(١) كان ذلك في غزوة الخندق (٢) هو كصب بن الاشرف .

(٣) كان ذلك في فتح خيبر اذ اهديت له شاة مسمومة فاعلمه الله بذلك .

(٤) سحره صلى الله عليه وسلم عبيد بن الأعصم اليهودي .

(٥) اغاثة اللفهان ج ٢ ص ٣٣٥ - ٣٣٧ .

وهذه الوقائع التي ذكرها ابن القيم رحمه الله تعالى من أدل الدلائل على ما واجهه النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود من مكروخداع وخبث جمل الله وباله عليهم ان كان تدميرهم في تدميرهم " ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين" (١) " اننا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد " (٢) " ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين كتب الله لأغلبن انا ورسلي ان الله قوى عزيز " (٣) .

سبهم للنبي صلى الله عليه وسلم :

ان موقف اليهود من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقتصر على الكفر به ومناصرة اعدائه والكيد له ، بل تجاوز ذلك الى شاداته بألفاظ ذات معنيين ، احدهما سب واهانة ، والاخر ليس كذلك . ويظاهرون بانهم يقصدون المعنى الحسن ، وهم انما يريدون سب النبي صلى الله عليه وسلم ، واهنته ، فكشف الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ما انطوت عليه نفوسهم الخبيثة ، ونهى المؤمنين ان يستخدموها مثل تلك الألفاظ الموهمة مراعاة لحقوق النبي الكريم ، وبعدا عما قد يوهم سوء الا " رب معه صلى الله عليه وسلم ، وبين لهم ان اهل الكتاب لا يحبون أن يخصهم الله بهذا الخير الكثير المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، شأنهم في ذلك شأن اخوانهم المشركين فقال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب اليم . ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء " والله ذو الفضل العظيم " (٤) .

(١) سورة المنافقون ٨

(٢) سورة غافر ٥١

(٣) سورة المجادلة ٢٠-٢١

(٤) سورة البقرة ١٠٤-١٠٥

قال الواحدى (١) : " قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا

راعنا) الآية : قال ابن عباس في رواية عطاء : وذلك أن العرب كانوا يتكلمون بها ، فلما سمعتهم اليهود يقولونها للنبي صلى الله عليه وسلم أعجبهم ذلك ، وكان " راعنا " في كلام اليهود سباً قبيحاً . فقالوا : انا كنا نسب محمداً سراً ، فلان أعلنوا السب لمحمد فانه من كلامه ، فكانوا يأتون نبي الله صلى الله عليه وسلم فيقولون : يا محمد راعنا ويضحكون . ففطن بها رجل من الأنصار وهو سعد بن عباد ، وكان عارفاً بلغة اليهود وقال : يا أعداء الله ، عليكم لعنة الله ، والذي نفس محمد بيده لئن سمعتها من رجل منكم لأضربن عنقه ، فقالوا : ألسنتم تقولونها ؟ فأنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا) الآية (٢) .

وقال الزمخشري : " كان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذالقى عليهم شيئاً من العلم : راعنا يا رسول الله : أى راقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهمه ونحفظه ، وكانت لليهود كلمة يتسابون بها ، عبرانية ، أو سريانية وهي راعينا . فلما سمعوا يقول المؤمنين راعنا ، افترضوه وخطبوا به الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهم يهنون به تلك المسبة ، فنهى المؤمنون عنها ، وأمروا بما هو في معناه ، وهو : (انظرنا) من نظره اذا انتظره " (٣) .

ولقد حكى القرآن الكريم مقالة اليهود التى نهى المؤمنين في الآية السابقة أن يقولوا مثلها فقال تعالى : " ألم ترالى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون ان تضلوا السبيل . والله اعلم بأعذائكم وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً . من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا

(١) الواحدى هو ابو الحسن على بن احمد الواحدى النيسابورى .
 (٢) أسباب النزول ص ٢٠-٢١ طبعة دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٣٩٥ هـ
 (٣) تفسير الكشاف ج ١ ص ٣٠٢

واسمع غير مسمع وراهننا: ليا بألسنتهم وطعنا في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا" (١).

قال النيسابوري : " والمعنى ، يقتلون بألسنتهم الحق الى الباطل حيث يضعون (راعنا) موضع (انظرنا) و (غير مسمع) موضع : لا سمعت مكروها ، أو يقتلون بألسنتهم ما يضررونه من المايم الى ما يظهره من التوقييرنفاقا ، أو لعنهم كانوا يقتلون أشداقهم والسنتهم عند ذكر هذا الكلام سخرية وطعنا على عادة المستهزئين ، فبين الله تعالى / أنما ^{انهم} يقدمون على هذه الأشياء طعنا في الدين ، ونبه بذلك على ما كانوا يقولونه فيما بينهم : انا نشتمه ولا يضره ، ولو كان نبيا لعرف باظهار ذلك عليه ، فانقلب ما جعلوه طعنا في الدين دلالة قاطعة على صحته ، لأن الاخبار عن الخيب معجزة " (٢) . وفي موضع آخر يذكر القرآن الكريم موقفهم الاجرامي من النبي صلى الله عليه وسلم وتحالفهم مع المنافقين الذين يتربصون الدوائر بالنبي وصحبه ولا يتورعون عن ارتكاب كل عمل من شأنه ان يحزن المؤمنين ويثبط عزائمهم ان كانوا يتناجون فيما بينهم ، اذا رأوا المؤمنين ليغيظوهم ويوهموهم أن المجاهدين قد هزموا ، وأن اقايرهم قد قتلوا فنهاهم الله عن ذلك ولكنهم عادوا لما نهوه عنه ، وكانوا مع ذلك يرتكبون جرما عظيما في حقه صلى الله عليه وسلم ، ان يحيونه بتحية فيها الدعاء عليه بالموت قائلهم الله فقال تعالى : " ألم تر الى الذين نهوعن النجوى ثم يمدون لما نهوا عنه ويتناجون بالايم والعدوان ومحصية الرسول واذا جاءوك حيوك بما لم يحييك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير " (٣) .

(٢) غرائب القرآن وغرائب الفرقان ج ٥ ص ٥٣

(١) سورة النساء ٤٤-٤٦

(٣) سورة المجادلة ٨

قال أبو السعود رحمه الله في تفسير هذه الآية : " نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون بأعينهم اذا رأوا المؤمنيين فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عادوا لمثل فعلهم . والخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام والهمزة للتعجب من حالهم وصفة المضارع للدلالة على تكرر وعودهم وتجدده واستحضر صورته المحيية ، وقوله تعالى : " (ويتناجون بالاثم والعدوان ومعضية الرسول) عطف عليه داخل في حكمه أى بما هو اثم في نفسه وعدوان للمؤمنين ، وتواص بمعضية الرسول عليه الصلاة والسلام . وذكره عليه الصلاة والسلام بمعنوا الرسالة بين الخطابين المتوجهين اليه عليه الصلاة والسلام لزيادة تشنيعهم واستمظام معصيتهم ، وقرئ : ويتناجون بالاثم والعدوان بكسر العين ومعصيات الرسول (واذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله) فيقولون السام عليك أو أنهم صباحا والله سبحانه يقول : (وسلام على المرسلين) (ويقولون في أنفسهم) أى فيما بينهم (لولا يعذبنا الله بما نقول) أى هلا يعذبنا الله بذلك لو كان محمد نبيا (حسبهم جهنم) عذابا (يصلونها) يدخلونها (فبئس المصير) أى جهنم " (١) .

هكذا كان موقف اليهود من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقد كانوا في غاية الوقاحة وسوء الأدب معه صلوات الله وسلامه عليه حتى في الآداب العامة التي جرت العادة البشرية عليه ، مثل تبادل التحية ، فانهم يرون في السلام عليه خسارة لهم وتوقيرا له صلى الله عليه وسلم . ولما كان عدم تبادل التحية بين الناس دليلا على العداوة والبغضاء وعلى اعلان الحرب ، وليست لديهم شجاعة لاعلان الحرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سلكوا مسلك الخداع الذى هو دأبهم وخلقهم الذى توارثوه ، فعمدوا الى الألفاظ الموهمة التي قد لا يظن لها الا العالمون بأسلوبهم الخبيث ، فهم حينما وجدوا مسبحة

في لفظ " راعنا " الذي يقوله المؤمنون لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمعناه الصحيح الدال على الإسهال والتأني ، عمدوا إلى استخفافه ، وهم أنما يقصدون به إهانتة عليه الصلاة والسلام ، وحيثما وجدوا تحية أهل الإسلام التي هي السلام قريبة من لفظة " السام " التي بمعنى الموت ، عمدوا إليها فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : السام عليك ، وكانوا يستمرون على هذه المسبة ، ويقولون لو كان محمد نبيا لموقفنا بعذاب الله على ما نقول له ، فيجعلون حلم الله وأمهاله دليلا على عدم نبوته صلى الله عليه وسلم ، ولكن الله عز وجل يريد أن يعلی لهم ويتركهم ليوم عظيم ، فان عذاب الدنيا أهون ، وانه ليس دليلا على أن من تعرض له يكون دائما على الباطل ، وانما قد يصاب به المؤمن أشحانا من الله له ، كما يتشم أهل الضلال والكفر في الدنيا استدراجا من الله تعالى ، وأما عذاب الآخرة فهو الميزان الصحيح لأعمال الناس في الدنيا . فالناجون منه هم الصالحون المتقون ، والمعذبون به هم العصاة المذنبون . فهو لا الذين آذوا النبي صلى الله عليه وسلم وظنوا أن سلامتهم من العقوبة في الدنيا دليل على سلامة ما هم عليه من السلوك ، وعلى عدم نبوته صلى الله عليه وسلم ، وتركوا ليوم عظيم يكفيهم ما فيه من عذاب الله وسوء عقابه " حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير " .

ولقد روى الإمام البخاري رحمه الله عن طريق الزهري قال : أخبرني عروة " أن عائشة رضى الله عنها قالت : دخل رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : السام عليك . ففهمتها فقلت : عليكم السام واللعنة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مهلا يا عائشة ، فان الله يحب المرفق في الأمر كله . فقلت يا رسول الله أولم تسمع ما قالوا ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقد قلت عليكم " (١)

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان باب كيف الرد على أهل الذمة بالسلام .

متمسك اليهود في انكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

علما بما سبق من البشائر التي وردت في أسفار اليهود ، ومن الآيات القرآنية التي تم استعراضها أن اليهود أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم مع ما تقرر في أسفارهم المختلفة من النصوص الدالة على نبوته وصفاته التي جعلتهم يعرفونه معرفة ثامة كما يعرف أحدهم أبناءه من بين أبناء الناس ، وعلما هناك أن الذي دفعهم إلى الكفر هو البغى والحسد ، وسعيه صلى الله عليه وسلم بما يخالف هواهم ، فقد أكدت الآيات القرآنية السابقة وغيرها أنهم إنما كفروا بغيا وحسدا واتباعا للهوى ، لا لشبهة أو جبت ذلك أي أنهم لا متمسك لهم من عقل أو نقل في انكار نبوته صلى الله عليه وسلم .

واليك فيما يأتي جملة من الآيات القرآنية التي تبين هذا المعنى :

قال الله تعالى مخاطبا المؤمنين : " أفطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون . وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون " (١) .

قال السيد قطب رحمه الله تعالى في توجيه معنى الآية : " افطمعون أن يؤمنوا لكم ، وهم يضيفون إلى خراب الذمة ، وكتمان الحق ، وتحريف الكلم عن مواضعه . . الرياء والنفاق والخداع والمراوغة ؟ وقد كان بعضهم إذا لقوا المؤمنين قالوا : آمنا . . أي آمنا بأن محمدا مرسل ، بحكم ما عندهم في التوراة من البشارة به ، وبحكم أنهم كانوا ينتظرون بعثته ، ويطلبون أن ينصرهم الله به على من عداهم . وهو معنى قوله : " وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا " . . ولكن : " إذا خلا بعضهم إلى بعض " . . عاتبهم على ما أفضوا للمسلمين من صحة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ومن معرفتهم بحقيقة بعثته من كتابهم ،

فقال بعضهم لبعض : " اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم " .
فتكون لهم الحجة عليكم ؟ . . . وهنا تدركهم طبيعتهم المحجبة عن معرفة صفة
الله وحقيقة علمه : فيتصورون ان الله لا يأخذ عليهم الحجة الا أن يقولوها
بأفواههم للمسلمين ! أما اذا كنتموا وسكتوا فلن تكون لعلهم حجة ! . .
وأعجب العجب ان يقول بعضهم لبعض في هذا : " أفلا تعقلون ؟ " . . . فيا
للسخرية من العقل والتعقل الذي يتحدثون عنه مثل هذا الخديث ! " (١) .
ويقول تعالى بينا السبب الحقيقي لكفرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم :
" بثما اشتروا به انفسهم ان يفكروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله
على من يشاء من عباده قباءاً وبغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين " (٢) .
قال الشوكاني رحمه الله : " والمعنى انهم باعوا انفسهم بهذا الثمن
البخس حسداً ومنافسة (ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده) " (٣)
وقال تعالى مؤكداً هذا المعنى : " ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب
ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله يخشى بوجهه من يشاء والله
ذو الفضل العظيم " (٤) .
وقال سبحانه : " ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم
كفاراً حسداً من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى
يأتي الله بأمره ان الله على كل شئ قدير " (٥) .
وقال تعالى : " أم يحسدون الناس على ما أتاهم الله من فضله وقد آتينا
آل ابراهيم الكتاب والحكم وآتيناهم ملكاً عظيماً " (٦) .
وقال : " لئلا يعلم أهل الكتاب ان لا يقدر على شئ من فضل الله وان
الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم " (٧) .

(١) في ظلال القرآن ج ١ ص ٨٤-٨٥ طبعة دار الشروق سنة ١٣٩٩ هـ الطبعة
الشرعية الثامنة في بيروت .

(٢) سورة البقرة ٩٠ (٣) فتح القدير ج ١ ص ١١٣ (٤) سورة البقرة ١٠٥

(٥) سورة البقرة ١٠٩ (٦) سورة النساء ٥٤ (٧) سورة الحديد ٢٩

وهذه الايات كلها دلت دلالة بيّنة على ان اليهود كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم حسداً وحقداً أن اتهم الله على غيرهم من الأمم التي يحتقرونهم بالنبوة والكتاب ، واصطفاهم من دونهم بحمل افضل الرسالات الالهية وأشملها وأعماها ، ومهما حسدوا وبغوا ، فانهم لا يقدرّون ان يضمنوا فضل الله تعالى الذي قسم بين عاده الفضائل حسب مقتضيات حكمته ، لا مانع لما أعطى ولا راد لما قضى " والله يختص برحمته من يشاء " والله ذو الفضل العظيم " وما دنا قد علمنا من دلالة الايات القرآنية ان اليهود لا متمسك لهم في كفرهم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم الا البغى والحسد ، فليس علينا أن نضيع الجهد في البحث في مسألة انكارهم للنسخ الذي اتخذوه ذريعة لانكار النبوة المحمدية بدعوى ان شريعة موسى شريعة أبدية ، وأن القول بجواز النسخ يؤدى الى جواز البداء على الله تعالى . وهو ان يظهر له ما قد خفي عليه في التشريع السابق فينسخه بتشريع لاحق . وهذه المسألة لم تكن في الحقيقة سببا لانكار نبوته ، فان النسخ جائز عقلا ، وواقع نقلا في كتبهم كما هو واقع عندنا . وتجويزه لا يؤدى الى تجويز البداء على الله تعالى . فكيف يستقيم ويصح انكار النسخ فرارا من القول بالبداء ، مع انهم جوزوا على الله تعالى الحزن والندم في مواضع كثيرة من اسفارهم وقد سبق ايضاح ذلك في الباب الثاني . أوليس ذلك تجويزا للبداء على الله في أفصح معناه وأقبح صوره ؟ ام انهم لا يدركون بمعقولهم ما تكتبه أيديهم من أباطيل نسبوها الى الله تعالى والى انبيائه الكرام ظلما وافتراء وجهلا واجترأ ؟ وعلى هذا فليس علينا أن نبحث في مسألة الفسخ من جواز وعدم جواز ، أو وقوع وعدم وقوع بعد ان تقرر ان اسفارهم مليئة بوقوعه وأنه لم يكن سببا لانكار النبوة ، بل هم انكروا النبوة اولا وكفروا ، ثم بحثوا عن خيط يتعلقون به فوجدوا انكار النسخ أقرب الى تأييد هواهم فلم يوفقوا . ويبدو ان الكتاب الذي سن جعلوا انكار النسخ من اليهود هو سبب انكار النبوة المحمدية لم يكن تمبيرهم دقيقا ، فان اليهود لم يكونوا مجمعين في انكار النسخ وعدم جوازه . وانما كانوا مجمعين على ان شريعة الاسلام لم تنسخ شريعتهم .

قال الدكتور شعبان محمد اسماعيل : " ان انكار النسخ ليس غاية عندهم ، ولكنه وسيلة فحسب . أما الغاية ، فهي انكار رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، على الاطلاق . فان اعجزهم ادراك هذه الغاية ، فلا اقل من انكار أنهم مطالبون بتصديقه ، واتباعه فيما جاء به " (١) .

ولقد أحسن البوصيري حيث قال في هزيمته (٢) :

إذا هم استقرأوا البداء وكـم ساء
ق وبـالا عليهم استقرأه
وأراهم لم يحملوا الواحد القـهار في الخلق فاعلا ما يشاء
جوزوا النسخ مثلما جوزوا النسخ عليهم لو انهم فقهوا
هو الا ان يرفع الحكم بالحكم وخلق فيه وأمر سوا
ولحكم من الزمان انتهـا ولحكم من الزمان ابتـدا
فسلوهم أكان في مسخهم نسـخ لا آيات الله ام انشـا
وبدا في قولهم ندم اللـه على خلق آدم أم هـطـا
أم محا الله آية الليل ذكرـا بعد سهو ليو جـد الاسـا
أم بدا لاله في ذبح اسحـا ق وقد كان الا مرفيه مضـا
أو ما حرم الاله نكـاح الـ أخت بعد التحليل فهوزنـا
لا تكذب ان اليهود وقد زـا غوا عن الحق معشر لو مـا
جحدوا المصطفى وآمن بالطـا غوت قوم هم عندهم شرفـا
قتلوا الا أنبياء واتخذوا المعـجل الا انهم هم السفـهـا

هكذا كانت مواقف اليهود من محمد صلى الله عليه وسلم . وكذلك كانت مواقفهم من أنبياء الله ورسله الكرام صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين . نسأل الله العظيم بوجهه الكريم ان يمن علينا بمنه وكرمه بمجاورتهم في جنات النعيم انه جواد كريم ، وهو البر الرحيم . وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

(١) نظرية النسخ في الشرائع السماوية ص ٢٩
مطابع الدجوى بالقاهرة رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٧/٣٠٥٨

(٢) ديوان البوصيري ص ٦٣ - ٦٤

خاتمة البحث

ان الله عز وجل خلق الجن والانس لعبادته ، وتكفل بحفظهم ورزقهم
وتعليمهم منهج هدايته . فقال تعالى : " وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ، ان الله هو الرزاق
ذو القوة المتين " (١) .

ولما خلق الله تعالى آدم عليه السلام علمه وهدايه ، وأمره ونهايه ،
فكانت معرفة الله وعبادته وحده لا شريك له هي الفطرة السليمة والصلة المستقيمة
التي فطر الله آدم وذريته عليها . كما قال تعالى : " فأقم وجهك للدين
حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم
ولكن أكثر الناس لا يعلمون " (٢) ،

ولكن الله عز وجل أنشأ من بعد ذلك قروناً فطال عليهم الأمد ، فأخذوا
ينحرفون عن الجادة المستقيمة ، والفطرة السليمة ، فافتطعوا أمرهم بينهم زبراً ،
مختلفين بذلك على أركان أسلافهم منه على بينة وهدى من الله عز وجل ،
فبعث الله اليهم رسله تترى ، وأنزل عليهم كتبه ليخرج الناس من الظلمات الى
النور . كما قال تعالى " كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين
وأُنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وما اختلف فيه الا
الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما
اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم " (٣) . وقال :
" وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلطوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما
كانوا فيه يخطفون " (٤) .

وبعد أن ارسل الله رسله ، وأنزل عليهم كتبه ، وبلغوا ما أرسلوا به الى أممهم
على الوجه الذي أوتوه ، كان الناس فريقين ، فمنهم من هداه الله فاستجاب لدعوة

(١) سورة الذاريات ٥٦-٥٨ (٤) سورة يونس ١٩

(٢) سورة الروم ٣٠

(٣) سورة البقرة ٢١٣

الرسول عليهم الصلاة والسلام . وهم قليل . ومنهم من أبى واستكبر وكفر بدعوة
الرسول وهم كثير . قال تعالى : " ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله
واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ، ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا
في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين " (١) .

كذلك كان البشر في غابر الأزمان ، وهكذا يعيش من جاء بعدهم الآن
على اختلاف بين لا عذر لهم فيه ، لأن هدى الله لم يزل يأتيهم ورسول الله
تتابع فيهم ، وكتبه المنزلة تتلى عليهم وتنتشر فيهم ، فكان ما خصى الله به
بنو إسرائيل من الأنبياء والرسل والكتب ، أكبر ما عرف في تاريخ الأمم . ذلك
بأنهم امتازوا من بين سائر البشر بالعناد الشديد ، ومقاومة دعوة الرسل وصيحات
الأنبياء . ونصائح المصلحين . فكانوا يقتلون الأنبياء ويقتلون الذين يأمرون
بالخير من الناس ، ويسعون في أيذائهم سعيا متواليا . فاذا آمنوا برسول من
رسلهم في حياته ، كان إيمانهم به مضطربا . وإذا غاب عنهم رسولهم غيبة
موتة ، أو مات ، فإنهم كانوا يرتدون عن دعوته ويكفرون برسالته حتى
تصل بهم الحال إلى أن يعبدوا الأوثان وينبذوا كتاب الله وراء ظهورهم .
وهكذا كان بنو إسرائيل بعد غياب موسى عنهم أربعين ليلة لمناجاة
ربه . فأنهم اتخذوا العجل الذي صنعه أيديهم ، فعبدوه قائلين انه الههم
واله موسى ، ولكن موسى لم يهتد إليه وذهب يبحث عنه في موضع آخر . وفي
ذلك من الكفر برسولهم والاستهانة بنبيهم ما لا يخفى . وبعد ما توفي موسى عليه
السلام تاركاً فيهم التوراة فيها هدى ونور ، انقلبوا على أعقابهم فحرفوا التوراة وبدلوا ،
وافتروا على الله كذبا ، فقالوا لما كتبه أيديهم انه من عند الله وما هو من عند الله .
ونهبوا إلى وصف الملك الجليل سبحانه وتعالى بصفات لو وصف بها أحد ملوك
الدنيا ، لكان في ذلك حط من قدره وتنقيص لمكانته . فكيف برب العالمين
وملك الملوك أجمعين ؟؟ ونهبوا في وصف أنبياء الله تعالى إلى ما يناقض عصمتهم ،

ويناقض دعوتهم ، ويتناقض مع منزلتهم الرفيعة عند الله تعالى ، وعند الذين آمنوا .

فأصبحوا بتحريف الكتب الالهية ، وعبادة الاوثان ، وتنقيص الذات الالهية العلية وتحسيسها ، والخط من مكانة الانبياء والقتل لكثير منهم ، أصبحوا بذلك كله كفر فجرة لا نظير لهم بين اخوانهم الذين كفروا من سائر البشر ،

وهذه الصفات الاربعة التي اتصفوا بها - أي تحريف الكتب المنزلة ، والاعتداء على مقام الألوهية ، وعبادة الاوثان ، والاعتداء على أنبياء الله قتلًا وايداءً وكفرًا بدعوتهم ، وبسبب الفواحش اليهم ، هذه الأمور هي التي تمت دراستها في هذه الرسالة طبقًا للخطة التي رسمتها ووضحتها في المقدمة ، ولقد وصلت من هذا البحث الى الخلاصة الآتية :

١ - أن الاسفار اليهودية حسب محتوياتها لم تكن على نسق واحد ، أو في موضوع واحد . فمنها أسفار دينية فيها طائفة من العقائد والاحكام . ومنها أسفار تاريخية وهي كثيرة . ومنها أسفار اصلاحية يدعو أصحابها فيها بنى اسرائيل الى التوبة عن المعاصي ، والعودة الى الجادة المستقيمة . ومنها أسفار لا تمت الى الدين ولا الى التاريخ او الاصلاح بصلة . وانما هي اسفار اما في الغزل البذيء المبتذل ، او في القصص ، او في الحكمة .

ومع هذا التنوع فيما تشتمل عليه تلك الاسفار من الموضوعات فانه يستخلص

منها ثلاثة عناصر رئيسية :

العنصر الأول : موقف بنى اسرائيل من الذات الالهية حيث اعتقدوا في الله تعالى

خلاف ما دعت اليه الرسل ونزلت به الكتب.

العنصر الثاني : موقفهم من الانبياء عليهم الصلاة والسلام حيث لم يسلم من شرهم

وأزاهم أحد من أنبياء الله تعالى سواه في ذلك من سبقهم أو عاصرهم .

العنصر الثالث : موقفهم من الأمم حيث استباحوا دماءهم ، وأموالهم وأعراضهم ،

وسموا في ابادتهم من وجه الأرض بمختلف الوسائل ، و نظروا اليهم نظرة استخفاف وازدراء ، وجعلوا أنفسهم فوق المستوى الانساني ،

٢ - ان تلك الأسفار على كثرتها وتنوع ما فيها من موضوعات ، لم يحرف مؤلفوها ولا تاريخ تليفها على وجه اليقين وانما يقول اهل الكتاب في ذلك قولاً غارياً عن البينة .

٣ - انها على ما هي عليه من الوضع الآن ليست مما أنزل الله على موسى وغيره من انبياء الله تعالى ، لبعدها عن الحقائق الدينية والتاريخية ، ولاضطراب يسود معظم نصوصها . ولتناقضها تناقضاً عظيماً ،

٤ - انها لم تثبت عن طريق التواتر ولا عن طريق الاتحاد .

٥ - انها لم تكتب في عصر واحد بل كتبت في عصور مختلفة تمتد الى الف سنة أو تزيد .

٦ - ان محتوياتها مزيج غريب ، وخليط عجيب بين الحق والباطل والسمو والتردى .

٧ - انها لا تتوفر فيها شروط تجعلها من الكتب المقدسة .

٨ - يتلخص الموقف الاسلامي منها في ان القرآن الكريم اخبرنا بانها محرفة مبدلة ، وأن ما وافق الحق الثابت لدينا من نصوصها آتيا بها كل من عند ربنا . وما خالف ما ثبت لدينا في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ردناه . وما لم يوافق ولم يخالف ما صح عندنا ، وكان مما يجوز وقوعه وشبوه عقلاً وشرعاً ، توقفنا في تصديقه وتكذيبه وفوضنا امره الى الله تعالى .

٩ - ان الحدود التاريخية لبنى اسرائيل تمتد الى ابراهيم عليه السلام الذي يعتبر جد هم الثاني ، وجد بنى اسماعيل الاول .

١٠ - لا يصح ما زعمه اليهود من ان ابراهيم عليه السلام خرج به أبوه من أرض قومه قاصداً به أرض كنعان ، لأن أباه كان من الكافرين الذين كفروا بالله وقاموا دعوتهم . حيث طلب من ابراهيم ان يمتزله ، فاعتزله ابراهيم وهاجر .

- ١١ - ان ابراهيم عليه السلام خرج من أرضه وعشيرته في سبيل الله لا في سبيل طلب المراعى الفسيحة كما زعم اليهود .
- ١٢ - ان اسم والد ابراهيم عليه السلام هو آزر كما ذكره القرآن الكريم وأكدته السنة الثابتة . وأما تارح الذى ذكره المؤرخون تبعاً لاهل الكتاب فيحتمل ان يكون اسماً ثانياً له ، كما يحتمل ان يكون غير صحيح .
- ١٣ - ان سارة زوجته ليست اخت ابراهيم من النسب كما ذكره اهل الكتاب ، بل هي زوجته فقط . بناءً على ما دلت عليه السنة الصحيحة ، وما يؤيد ذلك من نصوص اسفارهم حيث لم يرد ذكر لسارة في جملة أولاد تارح الذين ورد ذكرهم في سفر التكوين بالتفصيل . أضف الى ذلك ذكرها بأنها كنة تارح ، والكنة امرأة الابن أو الأخ كما في القاموس المحيط ، ولو كانت اخت ابراهيم لأبىه كما زعموا لكنت علاقة النسب أولى بالذكر ،
- ١٤ - ان الذبيح هو اسماعيل عليه السلام وليس اسحاق كما زعم اهل الكتاب ومن هذا حذوهم . وهو الذى دل عليه سياق آيات سورة الصافات ، وأكدته العبارة الواردة في روايتهم . وهي عبارة " وحيدك " التي جاءت وصفاً للذبيح في سفر التكوين ، فان اسحاق لم يكن وحيد ابراهيم في يوم من الأيام . لولادة اسماعيل قبله بثلاث عشرة سنة باتفاق اهل الكتاب . فثبت أنه لم يكن وحيد ابراهيم ، وأنه لم يكن الابن الذبيح .
- ١٥ - ان ابراهيم لم يطرد اسماعيل واهله استجابة لطلب سارة التي زعموا انها قالت لا يرث مع ابني اسحاق . ولكنه صحبهما في خروجهما ، وأسكنهما بمكة المكرمة ، استجابة لأمر الله تبارك وتعالى . وعليه دلت الايات القرآنية .
- ١٦ - ان الرجال الثلاثة الذين جاءوا ابراهيم بالبشرى هم ملائكة الله المكرمين ، وليس اهدم الهاء كما زعم اليهود في روايتهم .
- ١٧ - انهم لم ياكلوا من الطعام الذى قدمه لهم ابراهيم عليه السلام . خلافاً لما زعمه اليهود من انهم اكلوا وشربوا .

- ١٨ - ان آباء بني اسرائيل أنبياء كرام . اصطفاهم الله وهداهم . وليسوا حريصين على الدنيا وجمع حطامها كما زعم اليهود .
- ١٩ - انهم يلعنون عن الكذب والمكر والخداع التي وصفهم بها اليهود في أسفارهم ،
- ٢٠ - انهم لم يوزنوا أبناءهم أموالاً ، وإنما ورثوهم عقيدة الاسلام الحقة ، وعبادة الله وحده لا شريك له .
- ٢١ - ان الله عز وجل اوحى الى عبده موسى وحاطبه بعدما قضى موسى الأجل الذي اتفق عليه مع حميه وسار باهله كما نص عليه القرآن الكريم ، ولم يكن ذلك وهو يرضى غم حميه كما زعمت روايتهم .
- ٢٢ - ان موسى وهارون واجها من فرعون وقومها من المصاعب ما يصعب وصفه .
- ٢٣ - ان الذي شفع النجمل لبني اسرائيل وموسى في مناجاة ربه هو السامري لا هارون عليه السلام كما زعم اليهود ذلك كذبا وافتراء .
- ٢٤ - ان الاختيار الالهى لبني اسرائيل وتفضيلهم على العالمين ، معناه عرض أسباب الفضل وموجباته عليهم بحيث لو عملوا بذلك وقبلوه ، كانوا افضل من غيرهم من البشر . لأن الفضل منوط بالايمان والعمل الصالح وحيث ثبت كفرهم بالله وبرسله ، وتحريفهم كتبه المنزلة لهدايتهم ، وافسادهم في الأرض مرارا ، فانه لا فضل لهم ولا كرامة .
- ٢٥ - ان تعصب بني اسرائيل واعتقادهم انهم أبناء الله وأحباءه وانهم شعب الله المختار ، هو الذي يؤثر في عقيدتهم ، ويوجه سلوكهم . فيفعلون ما يشاءون من الفساد والافساد بلا خوف من الله ولا عطف ولا رأفة على من سواهم من البشر . وذلك التعصب أيضا هو الذي يجعلهم ينظرون الى غيرهم من الأمم نظرتهم الى البهائم التي لا فائدة من حياتها فيسعون في الأرض فسادا ، ويفسدون في أرض الله قتلا ونهباً ومكيدة وتدميرا .

٢٦ - ان نظرتهم الى الالهية نظرة مضطربة . لانهم يتصورون الاله
تصورا بعيدا عن العقل السليم والثقل الثابت الصحيح . ان يرون ان اله الكون
وبارئهم ومدبره ، غالطهم وسكن بجوارهم في حلمهم وترحالهم ، وأنه قد يفعل
الشيء ثم يندم على فعله ، حتى يصل به الأمر الى الحزن والبكاء واللطم والدعاء
على نفسه بالويل . تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

٢٧ - ان نصوصهم تدل على أنهم يرون جواز تعدد الالهة في الكون .
ولذلك استباحوا عبادة الاوثان في عصورهم المختلفة ، وتقربوا اليها بمختلف
أنواع القربات .

٢٨ - ان نصوصهم تدل على أنهم يرون ان الرب العظيم قد يخشى
من ان يغلب على امره ، فيبادر الانسان بضربة وقائية . كما ذكروا ذلك في
قصة بناء برج بابل الذي اثار خوفه من اتفاق الناس ضده على أمر ما ، فنزل
وبلبل لسانهم وفرقهم في الأرض .

٢٩ - دلت نصوصهم على ان الاله قد يستفيد من بعض اعمال البشر ،
وتصل اليه المنافع ، وقد اتضح ذلك من النصوص التي تذكر ان الرب يسره
ان تصل اليه رائحة الشواء . وذلك هو الضلال البعيد .

٣٠ - ان نصوصهم تدل على ان الاله قد ينسى الشيء فيحتاج الى
ما يذكره به ، ويجعل الشيء فيحتاج الى علامة تعرفه بما يجهل . وقد اتضح
ذلك من قصة القوس الموضوع في السحاب علامة على الميثاق الذي بين الله
وبين نوح . فاذا جاء المطر وضع الاله فيه قوسه لكي يذكره بذلك الميثاق ،
فلا يفرق الارض ومن عليها بالطوفان مرة اخرى . كما اتضح لنا من ادعائهم أن
الرب طلب من موسى ان يأمر بني اسرائيل ان يعلموا أبواب منازلهم وعتباتها
بالدم في مصر ليلة الخروج منها ، لأن الاله في زعمهم أراد ان يجتاز في مصر
ليضرب كل بكر من اهلها ، فاذا رأى الدم على أبوابهم وأعتابهم ، تجاوزهم
ولم يعاقبهم مع المصريين خطأ .

- ٣١ - ان نصوصهم تدل على ان الاله من الجوارح ما يطاثل جوارح المخلوقات . وذلك كالوجه ، والجبهة ، والرأس واليد ، والكف ، والاصبع ، والرجل ، والقدمين ، والاُذنين ، والاُنْف ، والشفَتين ، والاُجْفان ، وغير ذلك مما لا يليق بذات الله العلية على الوجه الذى وردت به في نصوصهم .
- ٣٢ - ان عبادة الاوثان كانت منهم في عهد موسى عليه السلام ، الذى يعتبر اكثر عصورهم صلة بالايمان بالله ، وان ذلك استمر فيهم بعد وفاته ، ثم انتشر فيهم على نطاق واسع في عصر ملوكهم . فأصبحت الوثنية ديانسة رسمية فيهم قرونا عديدة . حتى عاقبهم الله معاقبة شديدة ، ففرقهم في الائم أسارى تخيم عليهم الذلة والمسكنة أينما حلوا ونزلوا .
- ٣٣ - ان نصوصهم تبين لنا انهم ينظرون اليه تعالى نظرتهم الي ملوكهم ، فاذا أغدق الله عليهم الاموال وأصابوا نعمة ، فرحوا بذلك ، ورضوا عنه وعبدوه . واذا عاقبهم بذنوبهم وأصابتهم مصيبة بما كسبت أيديهم ، سخطوا عليه ، وازداد كفرهم واصرارهم على الضلال .
- ٣٤ - انهم يرون أن النبوة قد تنال بالكسب . وان اى انسان يمكن أن يكون نبيا ولو كان متصفا بصفات مخلة بالمروءة والشرف .
- ٣٥ - انهم يغلطون بين وظيفة النبي ووظيفة الكهان والعرافين . اذ ان كلا منهم يخبر بالمفشيات ويتنبأ عن المستقبل . وقد يرجعون الى النبي ليسألوه عما ضاع من اموالهم أو ضل من مواشيهم ، وقد اطلقوا على النبي اسم الرائي في بعض مراحل تاريخهم لأنه يرى البعيد .
- ٣٦ - أنهم لا يرون للأنبياء العصمة من المعاصي صغيرة كانت أو كبيرة ، كعاهشة الزنا ، والكذب ، والخداع . أو ما هو اكبر من ذلك كال كفر بالله وعبادة الأصنام . وقد تبين لنا ذلك من نسبة الزنا الى لوط وداود عليهما السلام . ونسبة الكذب والخداع الى ابراهيم واسحاق ويعقوب عليهما السلام ، ونسبة الكفر وعبادة الاوثان الى هارون وسليمان عليهما السلام .

٣٧ - انهم يرون ان الله تعالى قد يأمر بالفحشاء . وتبين لنا ذلك من قصة هوشع الذى زعموا ان الله أمره أن يتخذ امرأة زانية مرتين ، وقصة حزقيال الذى زعموا ان الله أمره ان ياكل الخبز على ما يخرج من بطن الانسان من الخمر .

٣٨ - انهم لطغوا نسبهم ونسب أنبيائهم بقذارة الزنا . حيث زعموا ان يعقوب عاش زوجته الكبيرة ليثة بلا عقد نكاح ، فولدت له اكثر أبناء الذين جاء منهم اكثر انبيائهم ، كما ذكروا ان يهوذا ابن يعقوب زنى بكنته المسماة ثمار ، فولدت له توأمين من الزنا . فكان من نتيجة تلك الفعلة ، ذرية جاء منها داود وسليمان . وزعموا أيضا أن سليمان عليه السلام ولد تلك المرأة التي زعموا ان أباه فجر بها . لا دراهم وشلت ألسنتهم وعشرهم .

٣٩ - انهم كثروا دعوة الأنبياء ، ولم يذكروا في أسفارهم عن الأنبياء الا الجوانب المادية من تاريخهم و تاريخ أممهم . وقد تبين لنا ذلك من موقفهم من دعوتى نوح وابراهيم عليهما السلام .

٤٠ - انهم قتلوا أنبياء الله الذين عاصروهم ، لأنهم كانوا يوبخونهم على معاصيهم ويأمرونهم بما لا تهوى أنفسهم . ولا أجل ذلك كذبوا فريقا منهم ، وفريقا قتلوا . وفريقا آخر سمعوا في ايذائهم وقتلهم ولكن الله عصمهم منهم .

٤١ - ان من سبقهم من الانبياء لم يسلم من لسانهم الطويل ، فانهم أطلقوا السنتهم عليهم بالسوء ، وأساءوا اليهم وذكروهم بالمساوى وهم الانبياء المطهرون .

٤٢ - ان احدا من الانبياء لم يسلم من لسانهم أو يدهم ، فالسابقون منهم نالتهم السنتهم بالسوء ، واللاحقون ممن عاصروهم ، نالتهم ايديهم ومكرهم السيء . فبذلك يعتبرون قلة الأنبياء حقا ، وأعداء المرسلين لأنهم فتنوهم جميعها ، والفتنة أشد من القتل .

٤٣ - انهم كفروا بنبوة عيسى ابن مريم عليه السلام ، ورموا أمه الحذراء
البتول بفاحشة الزنا وانها أتت به من السفاح .

٤٤ - انهم تآمروا عليه وحاولوا قتله ، ولكن الله تعالى العزيز الحكيم
رد كيدهم ومكرهم عليهم ، ورفع نبيه اليه وسلمه من أيديهم المطفئة بدما
الأنبياء الأقطهار .

٤٥ - انهم لم يقتلوا عيسى عليه السلام ولم يصلبوه . ولكن ذلك
لا يحفيهم من عداوتهم الشديدة له ولا تبعاعه من المؤمنين .

٤٦ - انهم كشوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهم يعرفونه كما يعرفون
أبنائهم . وقد حرفوا من أجل كتمان نبوته نصوصا كثيرة وردت على لسان أنبيائهم
الذين بشروا به . وقد شهدت عليهم الايات القرآنية بذلك . كما بقيت في
أسفارهم نصوص تفضحهم وتبين خبيث طويتهم .

٤٧ - ان انكار النسخ عند اليهود لم يكن سببا لانكار النبوة المحمدية ،
ولكن انكارها هو الذي دفعهم الى انكار النسخ ، ثم الاحتجاج بعدم جوازه
ووقوعه - في زعمهم - على عدم صحة النبوة المحمدية ورسالة العامة الناسخة
للشرائع السابقة . مع ان النسخ دلت على وقوعه نصوص اسفارهم مما يناقض رأيهم .

٤٨ - ان اليهود أعداء الأنبياء والرسل والصالحين من عباد الله ،
وهؤلاء صفوة البشر وخيارهم ، ومن عادى أولئك الصفوة المختارة ، وأزاهم
وقتلهم ، لحرقى ان يسعى في الارض فسادا ، ويقتل الأبرياء من الناس ويدمر
منازلهم وديارهم . ومن كانت هذه صفاتهم منذ نشأتهم وعبر تاريخهم الطويل ،
فماذا ينتظر منه اليوم ؟ ! ولقد انبأنا الله تعالى في كتابه العزيز ان بنى اسرائيل
لم يقبلوا دعوة موسى وما أوتيته من خير وهداية الا مكرهين مضطرين ، كما يعلم
ذلك من نتق الجبل فوقهم كأنه ظلة ، ليأخذوا ما آتاهم الله من الدين على لسان
موسى عليه السلام . وهل ينتظر من هذه حالته وتلك سجيته ان يتغلى عن أراض
المسلمين ويعيد اليهم حقوقهم المغتصبة بقوة السلاح الا مضطرين ، مكرهين ؟ ،

بقوة الايمان وصدق المعزيمة التي لا تلين ولا تتزعزع في مقارعة الباطل وأهله .
اللهم هي لهذه الامة قيادة تحقق على يدها آمال المسلمين وتزيل بها الالامهم
وتعيد بها الحقوق الى اصحابها انك سميع مجيب .

وختاماً أوجه ندائي الى كل من يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم
الآخر ان لا يحمله ما فعله اليهود من جرائم وما يفعلونه اليوم بالمسلمين على
ان تزل أسنتهم ويقدحوا في أنبياء الله تعالى الذين شوه اليهود تاريخهم
النير . أو ينكروا ما ثبت من أمور يؤدى انكارها الى الكفر بالله تعالى .
أقول هذا لا أننى وقعت أثناء هذا البحث على بعض العبارات التي تسمى
الى نبي من أنبياء الله كوصف يوسف بأنه طليعة المحتكرين وانكار القاء موسى
الألواح في حالة غضبه كل ذلك مخالف للإسلام ومن فعل ذلك فقد
جأى اليهود وحذا حذوهم واتبع سننهم وهو لا يدري . وجرائم اليهود مخالفة
لدعوة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، فكيف يحمل أولئك الصفوة المختارة
من ذرية آدم أخطاء اليهود وجرائمهم ؟ ان ذلك لا مرفى غاية الخطر والضرر ،
ينبغى عدم الاقدام عليه والتورط فيه . لأن زلة الأقدام قد تؤدى الى
زلة الأقدام يوم المعاد . وليكن قول الله تعالى هادينا وقائدا في مثل
هذه المنهات .

" يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم
شان قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله
خبير بما تعملون " ٨ - سورة المائدة . وأسأل الله تعالى التوفيق والقبول انه
نعم المولى ونعم المؤمل " وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين " .

مصادر البحث

(١)

القرآن الكريم وكتب التفسير

(٢)

كتب السنة

(٣)

مصادر أخرى غير الكتاب واليئة

(١)

القرآن الكريم وكتب التفسير

- ١ - القرآن الكريم
- ٢ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن
تأليف الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي
الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ
- ٣ - ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم (المعروف بتفسير
أبي السعود) .
تأليف أبي السعود محمد بن محمد العمادى المولود سنة ٨٩٦ هـ
والمتوفي ٩٥١ هـ
طبع بمطبعة على صبيح وأولاده
- ٤ - الجواهر في تفسير القرآن الكريم
تأليف الشيخ غنطاوى جوهرى
طبعة مصطفى البابي الحلبي الثانية سنة ١٣٥٠ هـ
- ٥ - كتاب التسهيل لعلوم التنزيل
تأليف محمد بن احمد بن جزى الكلبي الفرناغي المولود سنة ٦٩٣ هـ
والمتوفي سنة ٧٤١ هـ
تحقيق محمد عبد المنعم الیونسى وابراهم عطوة عوض
طبع بمطبعة حسان بالقاهرة
- ٦ - الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل .
تأليف أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي المولود سنة
٤٦٧ هـ والمتوفي سنة ٥٣٨ هـ
طبعته مطبعة مصطفى الحلبي الطبعة الاخيرة سنة ١٣٨٥ هـ

- ٧ - محاسن التأويل (المعروف بتفسير القاسمي)
تأليف العلامة الشيخ محمد جمال الدين القاسمي المولود سنة ١٢٨٣ هـ
والمتوفى سنة ١٣٣٢ هـ
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي
طبعه عيسى الحلبي الطبعة الاولى سنة ١٣٧٦ هـ
- ٨ - فتح القدير الجامع بين فن الرواية والدراية من علم التفسير
تأليف محمد بن علي بن عبد الله الشوكاني الصنعاني اليماني المولود
سنة ١١٧٣ هـ والمتوفى سنة ١٢٥٠ هـ
طبعة مصطفى الحلبي الثانية سنة ١٣٨٣ هـ
- ٩ - في ظلال القرآن
تأليف السيد قطب
طبعة دار الشروق اللبنانية الثامنة سنة ١٣٩٩ هـ
- ١٠ - قاموس القرآن او اصلاح الوجوه والنظائر في القرآن
تأليف الحسين بن محمد الدامغاني
تحقيق عبد العزيز سيد الأهل
طبعة دار العلم للملايين بيروت الطبعة الثانية سنة ١٩٧٧ هـ
- ١١ - تفسير القرآن العظيم (المعروف بتفسير ابن كثير)
تأليف الحافظ عماد الدين ابي القداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي
المتوفى سنة ٧٧٤ هـ
طبعة مصطفى البابي الحلبي
- ١٢ - تفسير المنار المسمى بتفسير القرآن الحكيم
تأليف السيد محمد رشيد رضا
طبعة دار المنار الرابعة سنة ١٣٧٣ هـ
- ١٣ - غرائب القرآن و رغائب الفرقان
تأليف نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري المتوفى
سنة ٧٢٨ هـ - طبعة مصطفى الحلبي الاولى سنة ١٣٨٩ هـ

(٢)

كتب السنة

- ١٤ - صحيح البخارى
تأليف ابي عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه
البخارى الجعفى المولود عام ١٩٤هـ والمتوفى سنة ٢٥٦هـ
- ١٥ - صحيح مسلم
تأليف الامام ابي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابورى المولود
سنة ٢٠٦هـ والمتوفى سنة ٢٦١هـ
تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي
- ١٦ - فتح البارى
تأليف الامام الحافظ احمد بن حنبل بن حجر العسقلاني المولود سنة
٧٧٣هـ والمتوفى سنة ٨٥٢هـ
نشرته رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والاشراف
بتحقيق سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز
- ١٧ - النهاية في غريب الحديث والاثر
تأليف الامام مجد الدين ابي السعادات المبارك بن محمد الجزوى بن
الاثير المولود سنة ٥٤٤هـ والمتوفى سنة ٦٠٦هـ
طبعة عيسى الحلبي الاولى سنة ١٣٨٣هـ

(٣)

مصادر أخرى غير الكتاب والسنة

- ١٨ - الله (كتاب في نشأة العقيدة الالهية)
تأليف عباس محمود العقاد
طبعته دار المعارف طبعة سادسة ١٩٦٩م
- ١٩ - الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام
تأليف علي عبد الواحد وافي ، طبعته دار العالم العربي بـمصر
رقم الايداع بدار الكتب ٤٩٠٥ لسنة ١٩٧١م
- ٢٠ - أصول الصهيونية وآلها
تأليف عبد الحميد بن أبي زيان بن شهبو
طبعته الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر
- ٢١ - اغاثة اللهبان من مصادد الشيطان
تأليف الجافظ ابي عبدالله محمد بن أبي بكر الشهير بان قيم الجوزية
المولود سنة ٦٩١ هـ والمتوفي سنة ٧٥٢ هـ نشرته دار المعرفة للطباعة
والنشر في بيروت طبعة ثانية سنة ١٣٩٥ هـ
- ٢٢ - أصول الدين
تأليف ابي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي المتوفي سنة ٤٢٩ هـ
طبعته دار الكتب العلمية في بيروت طبعة ثانية سنة ١٤٠٠ هـ
- ٢٣ - الأنبياء الاقدمون يتكلمون
تأليف حبيب سميد
طبعته المطبعة الفنية الحديث بالقاهرة
- ٢٤ - انجيل برنابا
ترجمه من الانجليزية الى العربية الدكتور خليل سمادة
طبعه السيد محمد رشيد رضا منشىء مجلة المنار بمطبعة علي صبيح
بالأزهر سنة ١٩٥٨م

٢٥ - اظهار الحق

تأليف رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي
طبعة وزارة الشؤون الإسلامية المصرية بمطبعة الرسالة بالقاهرة سنة
١٣٨٤هـ

بتحقيق واخراج عمر الدسوقي

(ب)

٢٦ - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع

تأليف محمد بن علي بن محمد الشوكاني
طبعة مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٤٨هـ

٢٧ - بروتوكولات حكماء صهيون

تأليف عجاج لويهض

منشورات فلسطين المحتلة الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ

(ج)

٢٨ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح

تأليف شيخ الاسلام احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن
القاسم بن تيمية الحراني الدمشقي ، تقي الدين ابو العباس المولود بحران
سنة ٦٦١ هـ والمتوفي سنة ٧٣٨ هـ بدمشق

(د)

٢٩ - دفع شبه التشبيه بألف التنزيه

تأليف أبي الفرج عبد الرحمن ابن أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن
عبد الله بن حماد بن احمد بن محمد بن جعفر الجوزي القرشي
التميمي البغدادي الفقيه الحنبلي الواعظ الملقب جمال الدين الحافظ
المولود سنة ٥١٠ هـ وأقبلها والمتوفي سنة ٥٩٧ هـ

تحقيق محمد زاهد الكوشري نشرته المكتبة التوفيقية بالقاهرة

٣٠ - د فائن النفسية اليهودية

تأليف محمد علي الزعبي

طبع في بيروت سنة ١٩٦٨ م

٣١ - ديوان البوصيري

تأليف أبي عدالله محمد بن سعيد الشهير بالبوصيري

تحقيق محمد سعيد كيلاني

طبع بمطبعة مصطفى الحلبي الطبعة الثانية سنة ١٣٩٣ هـ

٣٢ - الدين المقارن - اليهودية

تأليف احمد عبد المنعم عبدالسلام الحلواني

طبعته مطبعة المعرفة الطبعة الاولى سنة ١٩٦٨ م

(هـ)

٣٣ - همجية التعاليم الصهيونية

تأليف بولس حنا مسعد

تقديم محمد خليفة التوضي طبعته دار الكتاب العربي في بيروت طبعة

ثانية سنة ١٩٦٩ م

(و)

٣٤ - الوحي المحمدي

تأليف السيد محمد رشيد رضا

طبعته شركة الطباعة الفنية المتحدة بالقاهرة الطبعة السادسة سنة ١٣٨٠ هـ

(ي)

٣٥ - اليهود بين الدين والتاريخ

تأليف صابر عبدالرحمن طعيمة

طبعته مكتبة النهضة المصرية الطبعة الاولى عام ١٩٧٢ م

٣٦ - اليهود من كتابهم المقدس

تأليف كمال حسن عون

٣٧ - اليهود في القرآن

تأليف عفيف عبد الفتاح طباره

طبعته دار العلم للملايين الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٤م

٣٨ - اليهودية بين المسيحية والاسلام

تأليف خلف محمد الحسيني

طبعته المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة عام ١٩٦٤م

(ك)

٣٩ - كتاب النبوات

تأليف شيخ الاسلام ابن تيمية

طبع سنة ١٣٤٦هـ

٤٠ - الكنز المرصود في قواعد التلمود

تأليف الدكتور روهلنج ترجمة الدكتور يوسف حنا نصر الله واسمه الاصل

"اليهود على حسب التلمود" .

طبع في بيروت طبعة ثانية سنة ١٣٨٨هـ

٤١ - الكتاب المقدس (العهد القديم) .

(ل)

٤٢ - لهذا اكره اسرائيل

تأليف امين سامي الفمراوى

طبع الطبعة الاولى بدار النهضة العربية سنة ١٩٦٤م

(م)

٤٣ - مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية

جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد

طبع بأمر صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز آل سعود مصورا

من الطبعة الاولى سنة ١٣٩٨هـ

- ٤٤ - محاضرات في النصرانية
تأليف الشيخ محمد ابي زهرة
طبع بمطبعة يوسف الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٥ هـ
- ٤٥ - مفاتيح كنوز الاسفار الالهية
تأليف متى بهنام
طبعته مطبعة الفجالة الجديدة في مصر الطبعة الثانية سنة ١٩٦٧ م
- ٤٦ - محصل افكار المتقدمين والمتأخرين
تأليف فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي
طبعته مكتبة الكليات الازهرية
- ٤٧ - مصادر الكتاب المقدس
تأليف القس صموئيل مشرقي
طبعته مطبعة الامة بمصر سنة ١٩٧٣ م
- ٤٨ - المصباح المنير
تأليف احمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي المتوفي سنة ٧٧٠ هـ
- ٤٩ - المسيح في القرآن والتوراة والانجيل
تأليف عبد الكريم الخطيب
طبعته دار التأليف بمصر الطبعة الاولى سنة ١٣٨٥ هـ
- ٥٠ - مقارنة الاديان ١ - اليهودية
تأليف الدكتور احمد شلبى
طبعته مكتبة النهضة المصرية الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٤ م
- ٥١ - مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين
تأليف الامام ابي الحسن علي بن اسماعيل الاشعري المتوفى سنة ٣٣٠ هـ
تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد
طبعته مكتبة النهضة المصرية الطبعة الثانية.

٥٢ - موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية

تأليف زكي شنودة المحامي

طبعته مكتبة النهضة المصرية الطبعة الأولى سنة ١٩٧٤م

٥٣ - المواقف

تأليف عضد الله والدين القاضي عبدالرحمن بن أحمد الأيجي

طبع عالم الكتب ببيروت

٥٤ - موسوعة تاريخ العالم

تأليف وليم لانجر

أشرف على ترجمته الدكتور مصطفى عبادة ونشرته مكتبة النهضة المصرية

(ن)

٥٥ - النصيحة في صفات الرب جل وعلا

تأليف عماد الدين أحمد بن إبراهيم بن عبدالرحمن الواسطي وللسيد

بواسطة سنة ٦٥٧ هـ وتوفي بدمشق سنة ٧١١ هـ

تحقيق زهير الشاويش من مطبوعات المكتب الإسلامي في بيروت طبعة ثانية

سنة ١٣٩٤ هـ

٥٦ - نظرية النسخ في الشرائع السماوية

تأليف الدكتور شعبان محمد اسماعيل

طبعته مطابع الدجنوى بالقاهرة رقم الأيداع بدار الكتب ٣٠٥٨ / سنة

١٩٧٧م

(س)

٥٧ - السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم

تأليف وليم مارش

صدر عن مجلس الكنائس في الشرق الأدنى في بيروت سنة ١٩٧٣م

(ع)

٥٨ - المرب قبل الاسلام

تأليف جرجى زيدان

طبعته مطابع الهلال الخاصة بالموء لف

٥٩ - على التوراة (كتاب في نقد التوراة اليونانية)

تأليف الشيخ على بن محمد بن عبد الرحمن بن خطاب علاء الدين الباجي

المتوفي سنة ٧١٤ هـ

تحقيق احمد حجازى السقا

طبعته مطابع الحلبي الطبعة الاولى سنة ١٤٠٠ هـ

٦٠ - عصمة الانبياء

تأليف الدكتور محمد ابي التور الحديدي

طبعته مطبعة الانمانة بمصر سنة ١٣٩٩ هـ

(ف)

٦١ - الفصل في المل والاهواء والنحل

تأليف ابي محمد على بن احمد بن حزم الظاهري الاندلسى المولود

بقرطبة ٣٧٤ هـ والمتوفي سنة ٤٥٧ هـ

طبعته دار الافاق الجديدة في بيروت الطبعة الاولى سنة ١٩٧٨ م

(ص)

٦٢ - الصهيونية العالمية واسرائيل

تأليف الدكتور حسن ظاظا والدكتورة عائشة راتب والدكتور محمد فتح الله

الخطيب

طبعته الهيئة العامة للكتب والاجهزة العلمية بالقاهرة عام ١٩٧١ م

٦٣ - الصهيونية بين الدين والسياسة

تأليف عبد السميع الهراوى

طبعته الهيئة المصرية العامة

(ق)

٦٤ - قصة الحضارة

تأليف ول ديورانت

طبعته جامعة الدول العربية

ترجمة محمد بدران

٦٥ - القاموس المحيط

تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي

٦٦ - قصص الأنبياء

تأليف عبدالوهاب النجار

طبعته دار الفكر في بيروت

(ر)

٦٧ - الرد على ابن التفريلة اليهودي

تأليف ابي محمد علي بن حزم الظاهري

طبعته مطبعة المدني بالقاهرة (المؤسسة السعودية بمصر) سنة ١٣٨٠ هـ

٦٨ - رسالة الفتوى الحنوية الكبرى

تأليف شيخ الاسلام ابن تيمية

قدم لها ونشرها محمد عبد الرزاق حوّة

طبعتها مطبعة المدني الطبعة الرابعة

٦٩ / - رسالة التوحيد

تأليف الشيخ محمد عبده

طبعته دار الفكر الطبعة الرابعة في بيروت

(ش)

٧٠ - شرح أم البراهين

تأليف أبي عبد الله محمد بن محمد بن يوسف السنوسي

طبع بمطبعة الاستقامة الطبعة الاولى سنة ١٣٥١ هـ بالقاهرة.

٧١ - شرح الفقه الاكبر

تأليف الملا علي القاري

طبعته دار الكتب العلمية في بيروت سنة ١٣٩٩ هـ

(ت)

٧٢ - تاريخ بني اسرائيل من اسفارهم

تأليف محمد عزة دروزه

طبعته المطبعة المصرية للطباعة والنشر في صيدا بلبنان سنة ١٣٨٩ هـ

٧٣ - تاريخ شعب العهد القديم

تأليف الأب ديلي الاستاذ بجامعة باريس الكاثوليكية

وعربه جرجس مارديني

وطبعته المطبعة الكاثوليكية في بيروت

٧٤ - توجيه النظر الى علم الاثر

تأليف طاهر بن صالح الجزائري الدمشقي

نشره صاحب المكتبة العلمية بالمدينة المنورة محمد النمنكاني رحمه الله

٧٥ - التلمود تاريخه وتعاليمه

تأليف ظفر الاسلام خان

طبعته دار النفائس للطباعة والنشر في بيروت سنة ١٩٧١ م طبعة أولى

٧٦ - تحفة المريد على جوهر التوحيد

تأليف شيخ الاسلام ابراهيم بن محمد البيجوري

طبع بمطبعة مصطفى الحلبي الطبعة الاخيرة سنة ١٣٥٨ هـ

٧٧ - تبين كذب المفترى

تأليف مؤرخ الشام أبي القاسم علي بن الحسين هبة الله ابن عساكر الدمشقي

المتوفي سنة ٥٧١ هـ

طبعته مطبعة التوفيق بدمشق عام ١٩٤٧ م

٧٨ - التاريخ في الكتاب

تأليف المستشرق كاترين هنري

تلخيص حبيب سعيد

صدر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الاسقفية بمصر

٧٩ - التطور التاريخي لبنى اسرائيل

تأليف عماد عبد الحميد النجار

طبعته مطبعة المعرفة الطبعة الاولى سنة ١٩٧٣م

(ح)

٨٠ - خليل الله في اليهودية والمسيحية والاسلام

تأليف حبيب سعيد

صدر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الاسقفية بالقاهرة مطبعة النيل

المسيحية .

(ز)

٨١ - ذم الهوى

تأليف ابي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي

تحقيق مصطفى عبد الواحد

طبع سنة ١٣٨١ هـ الطبعة الاولى

جدول الخطأ والصواب (الجزء الثاني)

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤١١	٧ من أسفل	الخبر والشأن	الخبر ذو الشأن
٤١٣	٩	للرجل الله	لرجل الله
٣١٤	٧ و ٨ و ١٠	ترك فواصل	وضع فواصل
٤١٥	٨ من أسفل	البيئات . فهدى	البيئات بغيا بينهم فهدى
٤١٦	٧ — —	لا لالجا	لا الالجا
٤٢١	١٠	أولئك يؤت بهم	أولئك سوف يؤت بهم
٤٣٥	٥	يهو ياداع هو أن يهو	يهو ياداع أن يهو ياداع
٤٤٣	٨	قد أخذ طريقه	قد أفسد طريقه
٤٤٨	١٠	عاديا	تاريخيا
٤٥٠	١٠	خارطة	خريطة
٤٥٤	٣ من أسفل	عاش	وليت
—	١ — —	فقال هو	فقال وهو
٤٧٧	١٠	أية بارة	امسة بارة
٤٨٧	١٠	رفعت	دفعت
٤٩٢	٥	وكيف أخاف أشركم	وكيف أخاف ما أشركم
٤٩٣	٨	ان كذلك	انا كذلك
٥٠٢	الاخير من الهامش الأول	في أنه	من أنه
٥١٣	الاخير في الهامش	يزقون	يزفون
٥٢٢	٧ من أسفل	عرض محرما	عرضا محرما
٥٢٦	٤	وهو لا يتعارض	وهو يتعارض
—	١٢ من أسفل	هلال قرية	هلاك قرية
٥٢٧	٣ من الهامش الثاني	ويحبها	ويحبها
٥٣٩	١	والقنا	والقنا
٥٤٠	١١ من أسفل	هذا اليوم	هذا الموقف
—	١٢ — —	فتكلمت	وتكلمت
٥٤٨	١	اظهروه	أظهروا
٥٥١	٨	يعطهم	يعطيهم
٥٦٦	٩	ومن ايذاهم عليه . .	ومن ايذاهم له عليه . .
٥٦٩	٣	يفتة	يفنة

صفحة	سطر	خطاً	صواب
٥٧٧	٨	راجعاً	راكعاً
٥٧٩	١ من الهاشني رقم ٢	نسخة أخرى لفتح	نسخة قريشة من فتح ...
٥٨٨	٤ من أسفل	وأنه لما بلغ	وأنه ما بلغ
٥٩١	٦ - -	يا أيها الناس قد علمنا	يا أيها الناس علمنا
٥٩٨	٨	ذروتها	ذروتها
٦١٣	٨ من أسفل	بنى اسماعيل	بنى اسرائيل
٦٣٢	٦ - -	نهو عنه	نهوا عنه
٦٣٦	٨	يفكروا	يكفروا
-	٣ من أسفل	والحكم	والحكمة
٦٣٨	٦	اذا هم	ان هم
-	٨	جوزو	جوزوا
٦٤٢	٥	ان الحدور	ان الجذور
٦٦٣	يضاف في أسفل الصفحة ما يأتي :		

٨٢ - الكتاب المقدس

أصدرته دار الكتاب المقدس في العالم العربي

٨٣ - التوراة السامرية

ترجمة الكاهن السامري أبي اسحاق الصوري

نشرها وعرف بها الدكتور أحمد حجازي السقا

ونشرتها دار الانصار بطبعة دار البيان بالقاهرة

الطبعة الاولى سنة ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م